

International Islamic University, Islamabad.
Faculty of Usuluddin,
Department of Tafseer & Quranic Sciences.



الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد
كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)
قسم التفسير وعلوم القرآن

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية

(من بداية سورة الأعراف إلى آخر سورة الناس، دراسة تحليلية موضوعية في ضوء تفسير روح المعاني)
بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن

اسم الطالب:

حافظ محمد رمضان

رقم التسجيل: 270-FU/PHDTQS/F16

تحت إشراف:

فضيلة الأستاذ الدكتور ضيف نظور حفظه الله

العام الجامعي: 2022م - 1443هـ

موجود
K

Accession No TH25669

PhD
۲۹۷ء ۱۲۲۰۷

م ح د

قرآن کریم - بحوث
قرآن کریم - تفاسیر
قرآن کریم - اصول
قرآن کریم - آیات
قرآن کریم - تعارض
قرآن کریم - دفع
قرآن کریم - توہم
قرآن کریم - سور

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فقد قال الله عز وجل: "لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ"¹ وورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"² والله الحمد والثناء والشكر الجزيل كما ينبغي لوجهه وعظيم سلطانه أولاً وقبل كل شيء وبعد: أتقدم بجزيل شكري وتقديري إلى والدي الكريمين الذين سهر الأيام والليالي لأجلي، ورياني فأحسننا تربيتي وتعليمي، وشجعاني على العلم والعمل، وقدما لي كل غال ونفيس لأجل راحتي وسعادتي، وأعطياني الفرصة لتكميل الدراسة، فلا أستطيع أن أحزبهما بإنعامهما عليّ إلا الدعاء لهما بالرحمة والعافية قال الله تعالى في حق الوالدين: "وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا"³، وكما أتقدم بجزيل شكري العميق إلى أستاذي الكريم فضيلة الدكتور الضيف بن رابع نظور حفظه الله؛ والأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد-باكستان، المشرف على هذا البحث، الذي أفادني من علمه الغزير في سبيل الدراسة وفي سبيل إكمال هذا البحث كخادم للعلم (بارك الله في علمه وعمله وصحته وأهله وأولاده). ولا أنسى أن أتقدم بجزيل شكري العميق إلى أستاذي الكريم فضيلة الدكتور عبد المحسن جمعة حفظه الله، عضو البعثة الأزهرية بالجامعة، ومشرف سابق على الرسالة.

وأقدم الشكر الجزيل والامتنان للوفور إلى جميع الأساتذة الكرام الذين تتلمذت على أيديهم، وأقدم الشكر الجزيل والامتنان إلى كل من أفادني بالاقتراحات والتوضيحات القيمة أثناء الدراسة والذين أناروا لي طريق العلم والمعرفة وإلى دعاة الحق والهدى.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل لهذه الجامعة العريقة الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد-باكستان، التي أتاحت لي فرصة إكمال الدراسة في مرحلة الدكتوراة، ولكل القائمين عليها، وخاصة كلية أصول الدين وقسم التفسير وعلوم القرآن.

1 سورة: إبراهيم: 7.

2 سنن أبو داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ن: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت؛ بدون تاريخ، حكم الشيخ الألباني صحيح، (255/4)، رقم الحديث: 4811.

3 سورة الإسراء: 24.

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (2)

وأقدم بجزيل شكري إلى إخواني وأخواتي الذين ساعدوني في كل عسر ويسر وحثوني على تحصيل العلم والخيرات، وأقدم بجزيل شكري إلى الزملاء والأصدقاء الذين هم مصدر العون ومنبع الحب والإخلاص.
فجزاهم الله عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا إله إلا هو المتوحد في الجلال بكمال الجمال الذي أنزل الفرقان على عبده؛ ليكون للعالمين نذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً -.

التعريف العام بالموضوع:

فإن قراءة القرآن من الأمور التعبدية، ولا بد للمسلم أن يقرأه كل يوم، ويتلوّه حسب استطاعته كما أمر الله تعالى في كتابه الكريم قوله: "اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ"¹ والقرآن الكريم هو مصدر التشريع الأول للأمة المحمدية، وعلى فقه معناه، ومعرفة أسرارها، والعمل بما فيه تتوقف سعادتها. ولا يستوي الناس جميعاً في فهم ألفاظه وعباراته مع وضوح بيانه وتفصيل آياته، فإن تفاوت الإدراك بينهم أمر لا مراء فيه، فالعامي يدرك من المعاني ظاهرها ومن الآيات مجملها، والذكي المتعلم يستخرج منها المعنى الغامض الرائع. وبين هذا وذاك مراتب فهم شتى، فلا غرو أن يجد القرآن من أبناء أمته اهتماماً بالغاً في الدراسة لتفسير غريب أو تأويل تركيب، أودفع تعارض ظاهري حسب العقل الإنساني بين الآيات الكرمات. وقد وقع للبعض إشكال في فهم آيات القرآن الكريم ولا شك أن لهذا الإشكال أسباباً مختلفة سيأتي تفصيلها في البحث غير أنني أذكر بعضها فيما يلي:

- الجهل العميق بلغة القرآن
- عدم معرفة علوم القرآن وأصول التفسير.
- الفهم الضعيف نتيجة عدم التدبر التام.
- اتباع الشبهات التي يثيرها بعض أعداء الدين حول بعض الآيات.

إن هذه الأسباب أنتجت اهتمام رسول الله - ﷺ - والصحابة - رضي الله عنهم - والعلماء في مختلف العصور برفع هذا الإشكال. فأثبتوا لهم أن كلام الله، "لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ

¹ سورة العنكبوت: 45.

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (4)

حجيد¹ ونشأ في أوائل تاريخ الإسلام علم مستقل سمي بمشكل القرآن. والمناهج المعروفة لدى العلماء في تفسير القرآن الكريم: منها تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وغير ذلك من المصادر العلمية المعتمدة، وكذلك اختار العلماء في دفع التعارض الظاهري مناهج مختلفة، وقد وقع اختياري على دراسة واحدة من هذه المناهج لإمام وعالم كبير ألا وهو الإمام الألوسي البغدادي صاحب التصانيف المتعددة والكتب النافعة المتوفى سنة 1270 هـ.

وبالإجمال، إن موضوعي هو النظر في الآيات التي ظاهرها التعارض والتناقض، والحال أنها ليست كذلك، لأن كتاب الله - تعالى - منزّه عن تلك الادعاءات المفتريات. وسيكون أصل هذا التدبر في ضوء ما يبينه الإمام الألوسي - رحمه الله - في كتابه المشهور "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

أهمية الموضوع:

- 1- يجب علينا أن نقرأ كتاب الله فلا نتخذه مهجوراً، لأن الله أنذرنا في الآية بقوله تعالى هكذا: "وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا"² ولكن القارئ يرى كثيراً مما يوهم التعارض والتناقض بين الآيات القرآنية، وليست هي بمتعارضة ومتناقضة في الأصل.
- 2- لا يوجد في القرآن أي تعارض أو تناقض كما قال تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"³ ولكن يمكن أن يرى أحد ما ظاهره التعارض بين الآيات إن لم يتدبر القرآن في ضوء "علم موهم الاختلاف والتناقض في القرآن" فمن أجل ذلك قال تعالى في بداية هذه الآية: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ"⁴.
- 3- ليس كل المسلمين متخصصين في العربية وعلوم القرآن فتشكل عليهم بعض الآيات ومن ثم يخطئوا في فهم معاني الآيات المشككة. ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى دراسة طرق دفع الإشكالات عن الآيات التي ظاهرها التعارض والتناقض. ويظهر إذن أن مراجعة أقوال العلماء مثل الإمام الألوسي أمر مهم

1 سورة فصلت: 42.

2 سورة الفرقان: 30.

3 سورة النساء: 82.

4 سورة النساء: 82.

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (5)

للمسلمين الذين لا يعلمون موهم التعارض والتناقض؛ لأن الله تعالى يقول "فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"¹

4- إنا نؤمن أن القرآن "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"² ولكن معرفة الآيات الموهمة للتعارض وطرق دفع هذا التعارض مهمة للغاية؛ لنستطيع أن نرد على من اعترض على كتاب الله.

5- كون هذا الموضوع موضوعاً عصبياً حيث لا يزال المبغضون للإسلام يثيرون الشبهات حول آيات القرآن الكريم الموهمة للتعارض والتناقض.

أسباب اختيار الموضوع:

1- اعتقادي أن أشرف العلوم هو التفسير وأن علم "موهم التعارض والتناقض" من أهم فروع علم التفسير من علوم القرآن إضافة إلى أن "تفسير روح المعاني" للإمام الألوسي³ من أهم المصادر التي يحتاج إليها الباحثون في الدراسات القرآنية؛ ليفهموا المعاني على وجهها الصحيح.

2- أهمية معرفة الأسباب التي توهم التعارض بين الآيات، ومعرفة طرق دفع توهم التعارض؛ وذلك في ضوء تفسير روح المعاني للإمام الألوسي.

3- رغبتني في إزالة الشبهات عن أذهان قارئ القرآن، والرد على أعداء الإسلام بإبطال ادعاءاتهم حول تعارض نصوص القرآن.

4- القدر العلمي الكبير الذي تمتع به الإمام الألوسي لاسيما في مجال دفع توهم التعارض بين آيات القرآن حيث استوعب في تفسيره معظم الآيات التي توهم فيها التعارض إضافة إلى أنه توسع في الرد عليها وأضاف أوجها لم يذكرها المفسرون قبله بشهادة العلماء له³.

1 سورة النحل: 43.

2 سورة فصلت: 42.

3 قال الشيخ الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ) الإمام الألوسي: لم يزل متطبلاً لاستكشاف سر كتاب الله المكتوم، وبذلك وفقه الله للوقوف على كثير من حقائقه، وحل وفير من دقائقه، وذكر أنه قبل أن يكمل سنه العشرين، شرع يدفع كثيراً من الإشكالات التي ترد على ظاهر النظم الكريم، ويتجاهر بما لم يظفر به في كتاب من دقائق التفسير، ويعلق على ما أغلق مما لم يتعلق به ظفر كل ذي ذهن خطير. انظر: التفسير والمفسرون، للدكتور السيد محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى عليه، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، عدد الأجزاء: 3 (252/1)

الدراسات السابقة في الموضوع:

لقد بحثت عن الدراسات التي ألفت باللغة العربية في موضوعي فرأيت أنه لم يتناول أحد من الباحثين - في حدود اطلاعي - دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية في تفسير روح المعاني دراسة مختصة، ولكن هناك بعض الدراسات حول قضية مشكل القرآن بشكل عام، وهذه إشارة إلى بعضها:

1- "موهم الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم، بقلم الباحث: "ياسر بن أحمد علي الشمالي" من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة. هذه الرسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في عام 1408هـ، وهي تشتمل على ثلاثة أبواب: "الباب الأول" في تعريف هذا النوع من مشكل القرآن وأسباب وجود موهم الاختلاف في القرآن. و"الباب الثاني" في موهم الاختلاف في نص القرآن. و"الباب الثالث" ثلاثة عشر فصلاً مثل موهم آيات النبوة، وموهم آيات أهل الكتاب. لقد اعتنى الباحث بالآيات الكثيرة التي زعم أن بعضها ينقض بعضها وأشار إلى طرق إزالة الإشكال باستفادة أقوال العلماء والمفسرين وأهل العلم في علوم القرآن. و قد رأيت هذه الدراسة مثمرة واستفدت من آراء الباحث استفادة واسعة ولكن ما رأيت فيها ذكر بعض الآيات التي أظن أنها تشكل على كثير من الباحثين فأردت في بحثي ألا أترك أي آية يمكن أن تشكل على من لا يعلم من الباحثين.

2- "دفع إيهام التعارض عن الآيات الواردة في الإيمان بالرسول والقدر، بقلم الباحث: "خالد بن عبدالله بن عمر الدميحي" من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة. هذه الرسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في عام 1428هـ.

3- "مشكل القرآن الكريم، بحث حول استشكال المفسرين لآيات القرآن الكريم، أسبابه وأنواعه وطرق دفعه، بقلم الطالب: "عبد الله بن حمد المنصور". وهي رسالة ماجستير من كلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وتحتوي هذه الرسالة على أربعة فصول ولا يتعلق أكثرها بموضوعي.

4- "مقدمة تحقيق كتاب باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن"، للعلامة ابن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي، بقلم الطالبة: "سعاد بنت صالح بن سعيد باقي". وقد قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الماجستير في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة. قامت هذه الرسالة بدور مهم لأتعرف إلى تفسير العلامة النيسابوري.

5- دفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

مشكلة البحث:

- 1- ما منهج الإمام الألوسي في دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية؟
- 2- ما المصادر التي اعتمد عليها الإمام الألوسي في حل المشكلات القرآنية؟
- 3- هل كان الإمام الألوسي يفسر الآيات المشككة بالتصريح أو بالتضمين؟

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (7)

4- هل استوفى الإمام الآلوسي من بداية سورة الأعراف إلى آخر سورة الناس المواقع التي يوهم ظاهرها التعارض أم لا؟

فرضية البحث

1- لم يوجد في القرآن الكريم أي مشكل حقيقي بمعنى التعارض؛ لأنه كتاب منزل من الله تعالى كما صرح في قوله تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"¹.

2- يوجد في أذهان بعض الناس أن هناك تناقضا وتوها في القرآن الكريم، ولأجل هذا الشبه يظنون بأن القرآن كتاب فقط لقراءة العلماء دون عامة الناس.

3- إن التناقض ينشأ بسببين: الأول: لنقص العلم والثاني: عدم معرفة الناس للعلوم والأصول المتعلقة بدفع التناقض والتعارض الظاهري في القرآن الكريم ولأجل هذه الأسباب، يواجهون الناس شبهات ومشكلات في فهم الكتاب العزيز.

منهج البحث:

سأتبع في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي الذي يتمثل في جمع المواضع التي يوهم ظاهرها التعارض في ضوء تفسير الإمام الآلوسي ثم القيام بدراستها ومناقشتها للتعرف على طريقة الإمام في دفع هذا الإشكال.

خطوات البحث:

- أجمعت الآيات التي يدهم ظاهرها التعارض في القرآن من بداية سورة الأعراف إلى آخر سورة الناس.
- بينت طرق دفع إيهام الاضطراب والتناقض التي تقوم بدور مهم رفع توهم التعارض في القرآن.
- بينت موقف الإمام الآلوسي من الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض مع بعض بأسلوب سهل و واضح.
- ذكرت كيف دفع الإمام الآلوسي توهم التعارض والتناقض مستفيدا من الآيات المبينة في مجملها؛ لأن خير ما يفسر به القرآن هو القرآن نفسه، ومن الأحاديث الصحيحة، ومن أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (8)

- ذكرت ترجمة الأعلام المطمورة الواردة في البحث.
- ذكرت أرقام الآيات القرآنية الواردة في البحث مع بيان أسماء سورها.
- وضعت فهرساً للآيات وفهرساً للأحاديث النبوية، ثم فهرساً للأعلام وفهرساً للمصادر وكذا للموضوعات .
- وافقت مع التوجيهات التي ذكرها الإمام الألوسي لرفع التعارض بين الآيات القرآنية في تفسيره.
- وفي الختام أسأل الله العون وعليه الاتكال، كما أسأل الله أن ينفعني بهذا العمل ويتقبله مني بقبول حسن. والله ولي التوفيق

■ خطة البحث:

ويشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد و ثلاثة أبواب وخاتمة

● المقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختيار لهذا البحث، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، ومنهج في كتابة هذا البحث كما ذكرت، خطوات البحث، وخطة البحث.

● التمهيد: ويشتمل على أمرين كما يلي:

الأول: ترجمة الإمام الألوسي وعصره.

الثاني: منهج الإمام الألوسي في تفسيره.

● الباب الأول: الدراسة النظرية، و تشتمل على فصلين:

الفصل الأول: علم توهم التعارض والتناقض في القرآن:

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعارض والتناقض لغة واصطلاحاً والفرق بين التعارض الحقيقي والظاهري.

المبحث الثاني: بيان سلامة القرآن من الاختلاف والتناقض مع حكمة وجود الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض.

الفصل الثاني: أسباب توهم التعارض والتناقض:

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: عدم الإلمام بعلم الناسخ والمنسوخ في القرآن.

المبحث الثاني: اتفاق الموضوع مع اختلاف أمكنته وأزمته في الآيات.

المبحث الثالث: متشابهات القرآن التي تعتبر نوعاً من مشكل القرآن.

المبحث الرابع: عدم معرفة بدقائق اللغة العربية.

المبحث الخامس: عدم معرفة السياق القرآني.

الباب الثاني: الدراسة التطبيقية، وهو يشتمل على فصلين:

الفصل الأول: منهج الإمام الألوسي في الاستفادة من علوم القرآن وأصول التفسير لدفع التعارض

والتناقض المتوهم في بعض الآيات:

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: جمع الآيات التي يتفق موضوعها ولكن تختلف أزمته أو أمكنتها.

المبحث الثاني: الرجوع إلى الأحاديث الصحيحة والآثار الصحيحة.

الفصل الثاني: منهج الإمام الألوسي في الاستفادة من علوم القرآن وأصول التفسير لدفع

التعارض والتناقض المتوهم في بعض الآيات:

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أسلوب القرآن في العام والخاص.

المبحث الثاني: دلالة اللغة العربية.

الباب الثالث: الدراسة التطبيقية: المواضع التي يوهم ظاهرها التعارض وبيان موقف الإمام الألوسي

منها وطريقته في دفعها: ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول من بداية سورة الأعراف إلى آخر سورة الروم:

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: من بداية سورة الأعراف إلى آخر سورة التوبة.

المبحث الثاني: من بداية سورة يونس إلى آخر سورة النحل.

المبحث الثالث: من بداية سورة الإسراء إلى آخر سورة الأنبياء.

المبحث الرابع: من بداية سورة الحج إلى سورة النور.

المبحث الخامس: من بداية سورة الفرقان إلى آخر سورة الروم.

الفصل الثاني: من بداية سورة لقمان إلى آخر سورة الناس:

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: من بداية سورة لقمان إلى آخر سورة الزمر.

المبحث الثاني: من بداية سورة غافر إلى آخر سورة الأحقاف.

المبحث الثالث: من بداية سورة محمد إلى آخر سورة الحجرات.

المبحث الرابع: من بداية سورة ق إلى آخر سورة الواقعة.

المبحث الخامس: من بداية سورة الحديد إلى آخر سورة التحريم.

المبحث السادس: من بداية سورة الملك إلى آخر سورة الناس.

الخاتمة: وفيها: نتائج البحث والفهارس

الفهارس:

فهرس آيات القرآن.

وفهرس أحاديث النبي ﷺ، و فهرس الآثار .

وفهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

التمهيد

يشتمل على أمرين كمايلي:

الأول: ترجمة الإمام الألوسي وعصره:

اسمه: هو "السيد محمود أفندي بن السيد عبد الله أفندي بن محمود بن درويش بن عاشور الحسيني الألوسي".

كنيته: "أبو الثناء، وقيل: أبو عبد الله".

لقبه: شهاب الدين¹.

نسبه: "ينسب من جهة أبيه إلى الحسين بن علي، وينسب من جهة أمه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما"².

نسبته: اختلفوا في نسبته فقيل: نسبته إلى "ألوس"³ بالقصر، وهي قرية علي الفرات. وقيل: نسبته إلى "ألوس" بضم الألف واللام⁴، وقيل: نسبته إلى "ألوسة"، بالمد وضم اللام وسكون الواو بعده سين مهمل مفتوحة، وقيل غير ذلك⁵.

مولده ونشأته:

مولده:

"ولد الإمام الألوسي رحمه بكرخ بغداد¹، قبيل ظهر الجمعة، رابع عشر يوم الجمعة، في شهر شعبان، سنة 1217هـ" (عشر بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام)².

1 حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، للشيخ عبد الرزاق البيطار، ن: دار صادر بيروت، ط: ثانية، ت: محمد مجتد البيطار،

نقلا عن الأستاذ محمد مهجة الأثري في ترجمة السيد محمود الألوسي (1453/1)

2 حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (1450/1)

3 تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، ن: دار الهداية،

مادة "ألوس" (405/15)، ومعجم البلدان، لأبي عبد الله باقوت الحموي، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ن: دار إحياء التراث

العربي، بيروت، لبنان، ط: أولى 1417هـ - 1997م (246/1)

4 اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير الجزري، ط: دار صادر، بيروت 1400هـ (82-83)

5 تاج العروس (405/15)، ومعجم البلدان (246/1)

نشأته:

وبما أنه ولد في بيت علم وفضل في بيئة علمية سنية عريقة صالحة متدينة، عاشت جنباً إلى جنب البيئة العلمية الشيعية المهيمنة آنذاك بالعراق، في ظل الحكم التركي العثماني الصوفي، فامتزج فيها المذهب الحنفي مع العقيدة الأشعرية والطريقة الصوفية، فإنه وجد العناية الفائقة منذ صغره مما كان له الأثر الحسن على حياته العلمية في مستقبله، فقبل أن يبلغ سبع سنين وهو مشغول بحفظ القرآن حفظاً أيضاً متن الأجرومية، وألفية ابن مالك، والمنظومة الرحبية في الفرائض، وقرأ غاية الاختصار في فقه الشافعية، وقبل من العاشرة استوفى الغرض من علم العربية، وقرأ طرفاً جليلاً من فقه الشافعية والحنفية، وبعض المسائل المنطقية، والكتب الحديثة.

والطريقة الصوفية التي هي أقوى العناصر نفوذاً في إشاعة حرمة البيئة السنية بين الجمهور، ورفع منزلتها في النظر العام، تكونت بذلك لعلماء السنة منزلة نفوذ روحي، يضاهي ما لعلماء الشيعة عند عامتهم من اعتبارات روحانية، لم يكن علماء السنة من قبل يعرفونها.

نشأ الألوسي في أسرة علمية عريقة صالحة متدينة من أب كان رئيساً للمدرسين في بغداد، ومن أم من سلالة علمية، يتصل نسبها من جهة الأم بالأشراف القادرين الحسينيين، وهي ابنة الشيخ حسين العشاري³، وكان منزلهم ببغداد قبلة القاصدين من طلبة العلم، حيث تعقد جلسات العلم، وتطرح مسائله وقضاياها المختلفة، في الفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة والبيان وغيرها من العلوم.

وكان ذا حافظه عجيبة، فكثيراً ما كان يقول: "ما استودعت ذهني شيئاً فخانني، ولا دعوت فكري لمعضلة إلا وأجابني، وكان رحمه الله يؤاسي طلبته من ملبسه ومأكله، ويُسكنهم البيوت الرفيعة من منزله، حتى صار في العراق

1 الكرخ: بالفتح ثم السكون، وخاء معجمة، قال باقوت الحموي: "وما أظنها عربية إنما هي نبطية، وهم يقولون: كرحت الماء وغيره من البقر والغنم إلى موضع كذا جمعه فيه"، وكانت الكرخ أولاً في وسط بغداد والحال حولها، وهي الآن على الجانب الغربي لنهر دجلة. معجم البلدان (447/4)

2 المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، لأبي المعالي الألوسي، ت: عبد الجبوري، ن: دار العلوم، الرياض 1402 هـ - 1982 م، ص: 82-83

3 حسين بن علي بن حسين، العشاري، البغدادي، فقيه أصولي، شاعر، كان يسمى الشافعي الصغير، يعود أصله إلى العشارة وهي بلدة تقع على صفة نهر الخابور وكانت تابعة في العهد العثماني إلى لواء دير الزور، ولد وتعلم ببغداد، من شيوخه الشيخ جمال الدين عبد الله ابن حسين السويدي وولده الشيخ عبد الرحمن السويدي، له حاشية على شرح الحضرمية لابن حجر الميمني وحاشية على جمع الجوامع في أصول الفقه، توفي بالبصرة سنة 1195 هـ. أنظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، بيروت: دار العلم للملايين، 2002 م)، (248/2).

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (14)

القلم المفرد، وانتهت إليه الرياسة لمزيد فضله الذي لا يُجحد، وكان نسيج وحده في النثر وقوة التحرير، وغزارة الإملاء وجزالة التعبير¹.

ولما تجاوز العاشرة من عمره، أذن له والده في الأخذ من علماء عصره ومصره، فأخذ عن جماعة منهم وخاصة الكبراء، ولازم بعضهم أكثر من عشر سنين، ولما بلغ الخامسة والعشرين أجازته أكبر مشايخه، وهو الشيخ علاء الدين علي أفندي الموصل²، في يوم مشهود اجتمع فيه جميع الفضلاء والأجلاء، وعي إثر ذلك مباشرة بأمر التدريس، ورفع ذكره وذاع صيته، رغم أنف كل حسود وخسيس، إذ كل ذي نعمة محسود³، ولما وصل العشرين كان والده قد توفي في سنة 1242هـ بالطاعون الذي ضرب بغداد⁴.

وبعد ذلك رحل الإمام الألوسي وهجر داره وسكن جوار مسجد الشيخ عبد الله العاقولي بالرصافة، وفي عام 1238هـ تولى الوعظ في جامع الشيخ عبد الله العاقولي، فسمع وعظه مرة الوزير علي رضا، فدعاه لزيارته، وولاه أوقاف المدرسة المرجانية، وقد كانت مشروطة لأهل بغداد، ثم انتشر اسمه وذاع صيته، حتى أمه الناس وصار علما في الفقه الحنفي فعينه علي رضا مفتيا للحنفية⁵. وفي هذه الفترة بدأ في تفسير روح المعاني، وألف كثيرا من الكتب، وراسله الأدباء وشرع في تدريس العلوم بداره، حتى ذاعت شهرته وطبقت الآفاق وملأت العراق وراجت في أركان الدنيا. وفي هذه الأثناء عزل رضا باشا عام 1258هـ فاشتغل الألوسي بالتفسير، حتى أمه عام 1267هـ⁶.

رحلاته: سافر الإمام الألوسي إلى القسطنطينية ليعرض على السلطان كتابه روح المعاني في التفسير، ويعرض أسانيده، وعلمه على علماء السلطنة ويلتقي من لم يسمع منه من علمائها، فسافر من دار السلام بغداد ونزل بدار الضيافة السلطانية، ورفع مذكر للمصدر الأعظم "رئيس الوزراء" مصطفى باشا راشد، وقابل السلطان محمود خان

1 التفسير والمفسرون (251/1).

2 هو علاء الدين علي بن صلاح الدين يوسف بن رمضان الموصل الحنفي، قال فيه الألوسي: "واحد العلماء وأوحد الفضلاء، الضارب في كل فن يسهم، والقارع صفاة كل قريعة وفهم... والحق أنه كان في كل علم آية الله تعالى الكبرى. انظر: المسك الأذفر (ص: 61-64)

3 أعلام العراق، للأثيري محمد بهجة، ن: الدار العربية للموسوعات، ط: 2002م (ص: 22)

4 اعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، لأحمد تيمور، ن: دار الآفاق العربية، ن: 1421-2001، عدد المجلدات: 1 (ص: 167)

5 معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ن: المكتبة الوقفية 1414هـ-1993م، عدد المجلدات: 4 (815/3)

6 معجم المؤلفين (815/3)

العدلي ابن السلطان عبد الحميد وهو الذي هذا التفسير¹. وجلس في رحلته هذه إلى الشيخ أحمد عارف حكمت الحنفي، مفتي البلاد وشيخ الإسلام، فأجاز الألوسي على ما عنده من أسانيد، وألف فيه كتابه "شهي النعم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم أحمد عارف حكمت" وبعد ذلك عاد الإمام إلى بغداد وألف كتابه "نشوة الشمول في السفر إلى استانبول" وصف فيه رحلته منذ خروجه من بغداد حتى وصوله إلى الأستانة. وألف كتابه الآخر المسمى "نشوة المدام في العودة إلى دار السلام" شرح فيه عودته إلى بغداد، وألف كتابه "غرائب الاغتراب" ووصف فيه من لقيه من أهل العلم، ومن أجازته من أهل الفضل، في رحلته هذه².

الحالة السياسية:

إن من الضروري أن نذكر في البدء أن الاستقرار السياسي سبب رئيس من أسباب الإزدهار العلمي، وهذا يتضح جليا من قراءة تاريخ الأمم، وعالم في مقام الألوسي تولى منصب الإفتاء الرسمي، لابد وأن يكون ذا صلة قوية بالوضع السياسي، ولذا لا ينبغي أن يغفل هذا الجانب من التعريف به، والعصر الذي سنعطي عنه هذا اللمحة تمتد من سنة 1217هـ-1270هـ.

وفي هذه الحقبة من التاريخ لم يكن الوضع مستقرا في العراق لعوامل عدة، بعضها يرجع إلى نظرة السلطة في الأستانة إلى الوالي في العراق، وفقدان الثقة بينهما، وهناك أسباب داخلية مثل الثورات، وأسباب خارجية مثل أطماع الدول الكبرى الكافرة في دولة الخلافة، والعمل من أجل إسقاطها.

وفي هذا الحين كانت الدولة العثمانية قد بلغت سن الشيخوخة، بعد أن كانت من قبل دولة عظيمة رافعة راية الجهاد، تحارب الدول الكافرة وتخشي سطوتها³.

عاش الإمام في عصر كثرت فيه التقلبات السياسية والفتن المذهبية، والانقلابات داخل الدولة العراقية. فتارة يزحف عليها الجيش البريطاني، وتارة يغزو حدوده الجيران من إيران، ومرة يحكمها الأتراك، وأخرى يستولى عليها المماليك، فكثرت الاضطرابات، وعدم الاستقرار في بغداد. وقد كان في القرن الثالث الهجري (التاسع عشر الميلادي) كما هو معروف يسيطر الأتراك والعثمانيون، والذين حكموا بغداد وما حولها حتى جاءها المماليك،

1 تفسير روح المعاني (3/1)

2 اعيان القرن الثالث عشر (ص: 51)

3 انظر: تاريخ الدولة العلمية العثمانية، لمحمد فريد بك، ت: إحسان حق، ن: دار النفائس، بيروت، ط: ثانية 1403هـ، (ص: 120)

وكانت هذه الفترة عصيبة، حيث ظهرت الفتن المذهبية، والعصبية العراقية، وعدم الاستقرار السياسي والحروب بين العشائر ونفوذ زعماء القبائل، مع وجود التمرد على السلطة والثورات السياسية¹.

في هذه الفترة مع ظهرت التهديدات الإيرانية على حدود العراق، وكثرت التدخلات السياسية فيه. وبدأ النفوذ البريطاني بالزحف نحو العراق، والعمل على السيطرة عليه، وقد عاصر الإمام عددا من القادة السياسيين الذين تعاقبوا على بغداد أشهرهم².

وأمن الأحداث السياسية التي أثرت على الألوسي أن محمد نجيب باشا، الذي كان قبل على دمشق، ثم جئى به إلى بغداد سنة 1258هـ فلم يكن هذا الوالي على وفاق مع الألوسي، فأساء معاملته، وعزله عن الإفتاء، ومنع عنه وقف المدرسة المرجانية، وقد عزل سنة 1265هـ³.

و في السنوات الخمس الباقية من عصر الألوسي، تولى فيها أربعة وزراء، هم: عبد الكريم نادر باشا، ومحمد وجيه باشا، ومحمد رشيد باشا الكوزلي، ونامق باشا الكبير⁴.

فهذه الحقبة التي استعرضت حكامها لم يكن الوضع فيها مستقرا عما كان له كبير الأثر في حياة الألوسي رحمه الله ، وخاصة إذا علمنا أن صلته بالسلطة كانت بين المد والجزر ؛ بسبب موقف بعض الولاة منه.

الحالة الاجتماعية:

كما هو ظاهر من حال البلاد العراقية، إنما حتى الآن تسيطر عليها القبائل ويوجد أثر فاعل لزعماء العشائر الكردية العربية، وهذا من أبرز ما يميز العراق في عصر الإمام الألوسي، فالقبائل في العراق كانت هي التي تحكم وزعمائها هم من يأمر في المجتمع، مع وجود تقدير للعلماء وأهل اللغة والأدب، وهناك بعض الأقليات المسيحية التي ترك لها العثمانيون حرية العبادة والعلم والعمل، والمسلمون الذين ينقسمون بين السنة والشيعة مع وجود تعاون تام بينهما واحترام متبادل وذلك لقوة علماء الجانبين (السنة والشيعة).

أما من ناحية العمل فالمجتمع فيه طبقات التجار العراقيين وغيرهم، وطبقة الزراع وأصحاب الحرف، والمزارعون هم الغالبية العظمى، ولكل طبقة ترتيب خاص بها وزعماء يقودونها، والزراعون ينقسمون إلى:

1 دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، لعبد العزيز سليمان نور، ن: دار النهضة العربية للطباعة، بدون تاريخ (ص:87).

2 موسوعة التاريخ الإسلامي، لأحمد شلبي، ن: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1982م، ص: (220)

3 الألوسي مفسرا، لمحسن عبد الحميد، ن: مطبعة المعارف، بغداد، ط: 1388هـ-1968م (ص:33)

4 أعلام العراق (ص:26)

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية.....(17)

أ- **إقطاعيين:** وهم من يملكون الأرض والمال، ومن القادة العسكريين والزعماء السياسيين وشيوخ القبائل وهم مجموعة واسعة النفوذ.

ب- **فلاحيين:** وهم من يزرع الأرض ويعمل فيها حتى يحصد الزرع، وهؤلاء غالبهم أجراء أو فقراء يعملون بالأجر خلال العام أو اليوم¹.

ت- **التجار:** فهم جماعات، أهل كل نوع من أنواع البضائع تربط بهم صلة ولهم رئيس ويوجد نظام دقيق يدير شئون السوق مع التجار الزراع.

ث- **وهناك طبقة الرجال المدافعين عن الدولة:** وهم الجنود والقادة وقد ظهرت الإنكشارية في هذه الفترة، وكانت لهم رواتب وكل حاكم أو وال له جنود وشرطة لضبط الأمن والإشراف على السوق والسجون، مع وجود إقطاعيين وحكام يسيطرون على هؤلاء².

ومع ذلك كله لم يكن الإمام الألوسي رحمه الله في معزل عن مجتمعه بل كان له المشاركة الفاعلة في خدمة مجتمعه وتنقيتهم ويظهر ذلك من خلال إسهاماته العلمية التي نفع بها مجتمعه الكائن فيه.

الحالة العلمية والدينية:

كانت بغداد حاضرة العالم الإسلامي، حتى غشاها التار ودمروها، وأحرقوا مكتبتها وقتلوا علماءها، فجاء الأتراك العثمانيون فأعادوها سيرتها الأولى، وقد كانت بغداد تتمتع بنهضة علمية لا بأس بها خصوصاً في ولاية داود باشا الذي طالت ولايته أكثر من غيره وكان يقدر العلم وأهله، فقد كثرت في عهده المدارس بتشجيع منه ورعاية لها وللعلماء والمتعلمين، فكان عصره بداية للنهضة العلمية الحديثة في العراق، كما يرى بعض الكتاب³.

وأما الحالة الدينية فقد بدأت بالانحدار قبل عصر الألوسي، وأدرك ذلك العام والخاص، وقد أقر بذلك بعض الحكام، وفي هذا يقول السلطان عبد المجيد الأول في خطاب له موجه إلى عامة الناس، عقب توليه منصب الخلافة عام 1255هـ، قال: قال لا يخفى على عموم الناس أن دولتنا العلية من مبدأ ظهورها وهي جارية على رعاية الأحكام القرآنية الجليلة، والقوانين الشرعية المنفية بتمامها، ولذا كانت قوة ومكانة سلطتنا السنية، ورفاهية وعمارية أهلها وصلت حد الغاية، وقد انعكس الأمر منذ مائة وخمسين سنة بسبب عدم الانقياد والامتثال للشرع

1 دراسات تاريخ العرب الحديث والمعاصر، عبد العزيز سليمان نور (ص: 87).

2 الاتجاهات الفكرية عند العرب، ن: الدار الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان 1987م (ص: 123)

3 الألوسي مفسراً (ص: 33)

الشريف ولا للقوانين المنيفة، بناء على طروء الكوراث المتعاقبة والأسباب المتنوعة، فتبدلت قوته بالضعف وثرثرتها بالفقر... إلخ¹.

وهكذا فإن الاعتراف بالتقصير فضيلة، وربما نتج عنه إصلاح ما فسد، ولكن العاطفة الدينية لا تكفي في الإصلاح إذا لم يصحبها العلم الصحيح، فقد كثر في ذلك الوقت انشار الطرق الصوفية ولاسيما النقشبندية². ومع هذه الأحوال فلم يتأثر الألوسي - رحمه الله - سلباً بل أسهم في خدمة العلم والعلماء ولا أدل من ذلك علي كتابة العظيم الذي بين أيدينا كما أنه تقلد منصب الإفتاء في بغداد فترة من الزمن.

نظام التعليم: زاد الأتراك عدد المدارس، وجعلوا نظام التعليم أن يتلقى الطالب مبادئ القراءة والكتابة فيما يعرف بالكتاب داخل القرية، ومن ثم يحفظ القرآن الكريم ويدرس النحو والصرف وينتقل بعد ذلك إلى الفقه وأصوله حتى يصل إلى العروض والقوافي والحساب، وقامت الكتاتيب في كل القرى وانتشر التعليم بها، وكان التدريس يتم باللغة العربية والفارسية والتركية³.

مدارس الشيعة: كانت للشيعة مدارس خاصة بهم وحوزاتهم الدينية التي يدرسون فيها المذاهب وأصوله⁴.

التصوف وأثره: كان الناس ينقسمون بين السنة والشيعة، وفي عصر الإمام الألوسي ظهرت الدعوة الوهابية وانتشرت بين عدد من الأفراد حتى جاء الشيخ خالد بن الحسين النقشبندي الذي نشر الطريقة النقشبندية، وأحبه الإمام الألوسي، وأيده داود باشا والي بغداد، فظهرت طريقته ونشرت العلم وحفظ القرآن والفقه، فكثر أتباعه ودخل الناس في سلكها⁵.

شيوخه: لقد أسلفنا بأن إمامنا نشأ في بيت علم وفضل، فأبوه واحد من كبار علماء بغداد، وكان بيته كعبة للعلماء والطلاب، حيث تعقد جلسات العلم وتطرح مسائله وقضايا المختلفة في الفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة والبيان وغيرها من العلوم، و تلقى العلامة الألوسي العلم يافعا، وحرص على الازدياد منه، فجلس إلى العلماء وأجازهم الفضلاء وتلقى من أهل الأدب واللغة والحديث والتفسير حتى اجتمع له شيوخ أهله و زمانه، وأخذ منه طلاب عصره وأوانه.

1 تاريخ الدولة العثمانية، لليلماز يورتونا، ن: مؤسسة فيصل للتمويل تركيا، تاريخ الطبعة: 2008م. (ص: 481)

2 تاريخ العراق بين احتلالين، للعباس المزاري، ن: الدار العربية للموسوعات، تاريخ الطبعة: 1425م. (6/ 298)

3 العراق في التاريخ، للدكتور كمال ديب، الناشر، دار الفارابي، لبنان، بدون تاريخ النشر (ص: 621)

4 دراسات تاريخ العرب الحديث والمعاصر (1/ 140)

5 الأعلام الزركلي (8/ 53)

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية..... (19)

كان الألوسي ممن برعوا في شتى العلوم، فهو لم يترك علما من العلوم إلا تعلمه، ولا شيئا برع في علم إلا وصله فأخذ عن خلق كثير منهم:

- 1- والده عبد الله بن محمود الألوسي، وهو عبد الله بن محمود بن درويش الألوسي، قال عنه أبو الشاء: (مارأته عيون الأسحار إلا قائما، وما أبصرته مواسم الأبرار إلا صائما)، مات بالطاعون سنة (1246هـ) وقد حفظ عليه الألوسي عددا من متون النحو والفقه والشافعي وعلم الفرائض¹.
- 2- الملا حسين الجبوري، كان رجلا تقيا صالحا وكان مقيما في مسجد قرب سوق حمادة، تلقى عنه الألوسي القرآن العظيم².
- 3- علاء الدين علي بن يوسف بن رمضان الموصللي، الحنفي: لازمه الألوسي أربع عشرة سنة حتى تخرج به وأجازه³.
- 4- عبد الله العمري، هو عبد الله بن محمد بن عبد الله العمري الموصللي من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولد في الموصل (1208هـ)، أحد مشايخه في القرآن فقد أخذ عنه الألوسي بعض القراءات⁴.
- 5- عبد العزيز أفندي شواف زاده، كان متضلعا في علم العربية، قرأ عليه الألوسي في علم الوضع والبحث والمناظرة⁵.
- 6- علي بن أحمد ابن عم أبي الشاء⁶.
- 7- الملا درويش بن عرب حضر⁷.
- 8- محمد أمين بن علي الحلبي كان مفتي الحلة⁸.

1 غرائب الاغتراب، لأبي المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الشاء الألوسي، ن: مكتبة الفقاهة بدون تاريخ (ص:3)، أعلام العراق (11-12)

2 الألوسي مفسرا، محسن عبد الحميد (ص:55)

3 معجم المؤلفين (267/7)

4 نشوة الشمول، للمحمود آلوسي، ن: دار الكتب العلمية، بدون التاريخ. (ص:7)

5 غرائب الاغتراب (ص:3)

6 المسك الأذفر (ص:240)

7 ذكرى أبي الشاء الألوسي، لعباس العزاوي، د: شركة التجارة والطباعة، تاريخ النشر: 2015، (ص:13)

8 ذكرى أبي الشاء (ص:13)

- 9- ضياء الدين خالد بن أحمد بن حسين النقشبندي المجددي، ضياء الدين، أبو البهاء، ولد سنة (1190هـ) درس في العراق على مشايخ كثيرين وتولى التدريس ثم سافر إلى الهند وبها صار نقشبنديا ثم رجع إلى العراق ونشر طريقته، وله بعض المؤلفات، توفي بدمشق سنة (1242هـ) قرأ عليه الألوسي مسألة الصفات، وأخذ عنه التصوف¹.
- 10- علي بن محمد سعيد بن عبد الله السويدي أبو المعالي، قال فيه أبو الثناء: "وبالجملة كان ذلك الشيخ من كبار المتبعين، وحاشاه ثم حاشاه أن يكون من المبتدعين، وكان لأهل السنة برهانا، وللعلماء المحدثين سلطانا، ما رأيت أكثر منه حفظا، ولا أعذب منه لفظا" توفي (1237هـ)².
- 11- يحيى بن خالد المروزي العمادي الشافعي البغدادي توفي سنة (1255هـ)³.
- 12- أبو المحاسن وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري، محدث دمشق ولد فيها سنة (1184هـ) أخذ عن العطار وأخذ عنه البيطار، توفي بمكة المكرمة سنة (1262هـ)⁴.
- 13- عبد اللطيف بن اللفي الشيخ علي فتح الله البيروني الحنفي تولى الإفتاء ببيروت مدة تزيد على عشر سنين ثم رحل إلى دمشق وبها مات سنة بضع وخمسين ومائتين وألف⁵.
- 14- حسين أفندي الداغستاني⁶.
- 15- أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت بن إسماعيل، شهاب الدين، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما تولى القضاء في القدس ثم مصر ثم المدينة المنورة وأخيرا تقلد منصب شيخ الإسلام في الآستانة أي مفتي عام الدولة التركية ثم أقيل منه بعد ثمان سنوات فانقطع للعبادة والقراءة، توفي بالآستانة سنة (1275هـ)⁷ وغيرهم.

1 حلية البشر (570/1-587) معجم المؤلفين (95/2)

2 المسك الأذفر (ص:14)

3 حلية البشر (1591-1587/3)

4 غرائب الاغتراب (ص:9)

5 كشف الطرة عن الغرة، لخالد حامد البديوي، ن: دار الآفاق، دمشق، بدون التاريخ. (ص:240)

6 غرائب الاغتراب (ص:87)

7 حلية البشر (141/1-146)

تلاميذه: لما ظهرت نعمة الله على الألوسي واتسع رزقه، اشترى دار واسعة، وجعل قسماً منها مسكناً لطلابه الذين يغدون إليه من أطراف العراق وكردستان لتلقي العلم عليه، ولم يكتف الألوسي باستقبالهم في مسكنه، وإنما امتدت إليه مظلة كرمه، فكان يطعمهم ويتكفل بهم وقيامه بالتدريس في عدة مدارس فتصدر للتدريس فيها وأجاد واشتهر منها: مدرسة الحاج نعمان في بغداد، ومدرسة عبد الفتاح الراوي، ومدرسة الحاج أمين والتدريس في الحضرة القادرية والمدرسة العمريّة¹، وقد تتلمذ له وأخذ عنه خلق كثير من أقاصي البلاد ودانيها، وتخرج عليه جماعات من الفضلاء من بلاد مختلفة كثيرة، حتى صار في العراق العلم المفرد²، عالماً كبيراً بأن شهاب الدين الألوسي كان له الدور الأبرز في نهضة العراق في العصر الحديث، وبرع وتفوق في شتى العلوم، وتجراً البعض أن يقول إن هذا العصر ينبغي أن يسمى و بجدارة عصر الألوسي، ولولا وجوده لتأخرت النهضة في بلاد العراق إلى مدى لا يعلمه إلا الله لا بد وأن يكون قد قصده طلبة العلم من كل حذب وصوب وأن له تلاميذ عظماء حظوا بشهرة كبيرة وعظمت مكانتهم بالتلمذة على يد الإمام شهاب الدين الألوسي، وهم لا يحصون كثرة، ولكن سنقتصر على بعض من اشتهر منهم بالتلقي عنه وهم:

- 1- عبد الرحمن الألوسي: وهو أخو شهاب الدين³.
- 2- نعمان خير الدين الألوسي: وهو ابن شيخنا شهاب الدين⁴.
- 3- عبد الغفار الأخرس: عبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب المعروف بالأخرس⁵.

1 الألوسي مفسراً (ص: 80)

2 النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د. محمد رجب البيومي، معاصر، ن: دار القلم- بيروت 1425 هـ (33/2)

3 عبد الرحمن بن عبد الله بن محمود البغدادي، الشافعي، المشهور بالألوسي، واعظ بغداد الكبير، وفيصلها العدل، صرف غالب عمره في التعليم والإرشاد، كان محمود السيرة طيب السريرة، يحب الفقراء ولا يحيل إلى الأمراء، توفي سنة 1283 هـ، أنظر: أعلام العراق للأثيري (ص: 15)، ومعجم المؤلفين، لرضا كحالة (97/2)

4 هو السيد نعمان بن محمود بن عبد الله بن محمود الألوسي البغدادي ولد يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من المحرم سنة 1252 هـ، كان عالماً وقيل أن يبلغ سن العشرين صار من الأساتذة للمعتبرين، أخذ العلم عن والده والبرور، وغيره من العلماء الأعلام الذين أجازوه بجميع العلوم، تولى في شبابه القضاء في بلاد متعددة ثم ترك المناصب من أجل العلم، توفي رحمه الله صبيحة يوم الأربعاء السابع من محرم سنة 1317 هـ، وقد ترك مؤلفات عديدة أشهرها جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: أنظر: أعلام العراق، للأثيري (ص: 13)

5 شاعر من فحول المتأخرين، ولد بالموصل حوالي سنة 1220 هـ-1805 م. ارتفعت شهرته و تناقل الناس شعره، ولقب بالأخرس لحسبه كانت في لسانه، وسافر إلى بغداد فسكنها، وتوفي بالبصرة في 9 ذي الحجة 1290 هـ-1874 م. من آثاره: ديوان شعر جمعه أحمد عزت العمري وسماه الطراز الأنفس في شعر الأخرس. أنظر: الأعلام (31/4)، ومعجم المؤلفين (174/2)

- 4- عبد الحميد بن عبد الله بن محمد الألوسي، أخو الألوسي¹.
- 5- ابنه عبد الله².
- 6- ابنه عبد الباقي³.
- 7- عبد السلام الشواف⁴.
- 8- عبد الفتاح الشواف⁵.
- 9- محمد سعيد أفندي⁶.
- 10- محمد أمين بن محمد الأدهمي، الشهير بالواعظ⁷.
- 11- محمد بن حسين آل عبد اللطيف⁸.

قد تلمذ على الإمام، وأخذ عنه عدد من علماء ذلك الزمان، نالوا منه صنوف العلم، في القرآن وعلومه والسنة وفنونها، واللغة وآدابها والنحو والصرف، وعلوم الفلك، وعلم الكلام، والتصوف واشتهر منهم أبنائه أجمعون، وكثير ممن جاء بعده¹.

- 1¹ ولد سنة 1232هـ وأصيب بالعمى في عامه الأول بسبب الجدري، وحفظ القرآن لست، وأخذ عن والده وأخيه، وأخيه، وكان شاعراً حسن الأسلوب (ت: 1324هـ). انظر: أعلام العراق (ص: 14)
- 2 هو أبو السعود بهاء الدين عبدالله بن محمود بن عبد الله الألوسي، ولد سنة 1248هـ اشتغل بالتدريس فخرج عليه جماعة من الطلبة، توفي 1291هـ. انظر: المسك الأذفر (ص: 89)، وأعلام العراق (ص: 44)
- 3 هو سعد الدين عبد الباقي بن محمود بن عبد الله الألوسي، ولد سنة 1250هـ، أخذ عن والده، ثم عن البندنجي، وتولى القضاء، توفي 1298هـ. انظر: المسك الأذفر (ص: 105)
- 4 هو عبد السلام بن سعيد البغدادي شواف زاده، ولد سنة 1236هـ، أخذ عن الألوسي، وعنه على بن نعمان خير الدين، توفي 1318هـ. انظر: المسك الأذفر (ص: 204)
- 5 مات سنة، توفي 1318هـ قبل بلوغه الثلاثين، من مصنفاته، حديقة الورود في مدح أبي الشاء محمود. انظر: المسك الأذفر (ص: 206)
- 6 محمد سعيد أفندي البغدادي الشهير بالأخفش، أديب وشاعر، شرح ألفية السيوطي في النحو، توفي 1280هـ. انظر: المسك الأذفر (ص: 176)
- 7 هو محمد الأمين بن محمد الأدهمي البغدادي الشهير بالواعظ، فقيه أصولي أديب ناظم، توفي 1273هـ. انظر: المسك الأذفر (ص: 176)
- 8 هو الشيخ محمد بن حسين آل عبد اللطيف البغدادي، قال في المسك الأذفر (ص: 167) كان أواحد زمانه في فقه الشافعية، له دراية تامة بفنون العربية، وكان ذا تقوى وعفاف، متصفاً بأحسن الأوصاف.

مذهبه: كان الإمام الألوسي رحمه الله عالماً باختلاف المذاهب، شافعي المذهب، كما كان أسلافه من آل الألوسي، فنفقه في مذهب أسلافه، إلا أنه في كثير من المسائل يقلد الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان² رحمه الله، ورسخت قدماء فيه، حتى أصبح من فقهاءه، وكان في آخر عمره يميل إلى الاجتهاد³.

ولقد صرح الألوسي في بعض كتبه بأنه كان في أول الأمر شافعيًا، ثم تحول بعد ذلك إلى المذهب الحنفي... يقول رحمه الله "وعلى المرء نصرة مذهبه والذب عنه وذلك بإقامة الحجج على إثباته وتوهمين أدلة نفيه، وكنت من قبل أعد السادة الشافعية في غزوة ولا أعد نفسي إلا منها، وقد ملكت فؤادي غرة أقوالهم كما ملكت فؤاد قيس ليلي العامرية فحيث لاحت لامتقدم ولا متأخر لي عنها: أثنائي هواها قبل أن أعرف الهوي : فصادف قلباً خالياً فتمكناً⁴، إلى أن كان ما كان فصرت مشغولاً بأقوال السادة الحنفية، وأقمت منها برياض شقائق النعمان، واستولى على من حبها ما جعلني أترجم بقول القائل:

محامها حب الأولى كن قلبها : وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل⁵.

ويقول حفيده أبو المعالي⁶، عن ذلك فقال: "وكان في صباه شافعي المذهب، لا يميل لسواه ولا يذهب إلى غيره، وقلد مدة إفتائه الإمام أبا حنيفة في معاملاته وبقي على ما كان عليه في عباداته، وكان بعد عزله يقول:

1 أعيان القرن الثالث عشر (ص: 152)

2 النعمان بن ثابت بن زوطا أبو حنيفة التيمي مولاهم الكوفي، الإمام الأعظم صاحب المذهب وفقه العراق، ولد سنة (80هـ) حدث عن عطاء ونافع، وخلق كثير. تفقه به داود الطائفي والقاضي أبو يوسف ونجدة بن الحسن، وعدة آخرون. كان إماماً ورعاً عالماً متعبداً، كبير الشأن لا يقبل جوائز السلطان، بل يتجر ويتكسب قال في حقه الإمام الشافعي: الناس في الفقه عيال علي أبي حنيفة، توفي سنة (150هـ). انظر: الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، ت: إحسان عيسى، ن: دار صادر - بيروت (368/6) وتهديب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي نجدة القضاعي الكلبي المزني (المتوفى: 742هـ)، ت: د. بشار عواد معروف، ن: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1400 - 1980، عدد الأجزاء: 35 (1415/3)

3 التفسير والمفسرون (251/1)، و انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (145/3).

4 ديوان ديك الجن الحمصي، للديك الجن الحمصي، ن: دار الثقافة - بيروت - لبنان، تاريخ النشر: 2009م (ص: 179)

5 ديوان قيس بن اللؤلؤ مجنون ليلي، لرواية أبي بكر الوالي، دراسة وتعليق ليسري عبد الغني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: أولى: 1999م (ص: 170)، روح المعاني (41/1).

6 محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي أبو المعالي ولد في رصافة بغداد، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرها، له المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، مؤرخ وعالم بالأدب والدين من الدعاة إلى الإصلاح، توفي في بغداد سنة (1391هـ). انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص: 286)

أنا شافعي مالم يظهر لي الدليل، وإلا فليس عن العمل به من محيل، حيث إن العالم إذا علم الدليل لا يعذر بالتقليد، وليس عن العمل باجتهاده من محيد"¹.

وفاته: مرض الألوسي بالحمى والتي عاودته بعد أن شفي منها، حتى تمكنت منه مرة أخرى وأبليت جسده، فانتقلت روحه الطاهرة إلى ربها في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة سبعين ومئتين وألف (1270هـ) بعد أن صلى الظهر إجماعاً، وغسله طلابه وشيعه أهل بغداد. ودفن في جنازة مهية لم تعرفها بغداد من قبل ووري جثمانه الثروي في مقبرة الشيخ معروف الكرخي²، بالكرخ في بغداد ولم يتجاوز عمره الخمسين إلا قليلاً، وقبره الآن مشهور يزار³.

المقامات الألوسية: إن أجل إنتاج الألوسي وأعظم آثاره التي جعلت له اسماً مدوئاً، وجلبت له الذبوع والشهرة، وأنزلته منزلة رفيعة بين كبار العلماء هو تفسيره الذي نشتغل عليه والموسوم بـ "روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني" وهو تفسير جامع خلاصة كل ما سبقه من التفاسير مثل تفسير الطبري، تفسير ابن عطية، تفسير أبي حيان، الكشف للزمخشري، تفسير أبي السعود، تفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي، وصاغ من ذلك كله تفسيره بعد أن أطل النظر فيما قرأ، ووازن وقارن ورجع ما اختاره، معتمداً على زاد كبير من الثقافة الواسعة في علوم الشرع واللغة. ولقد كان الألوسي إماماً لدراسة كبيرة إلى مدة طويلة، وقد تأثر به تلاميذه منه واتصل تأثيره في الأجيال اللاحقة ولم ينقطع رأيه. وقد مدح في حياته ورثي بعد مماته بأشعار كثيرة لم تتح نظائرها إلا للملوك والأمراء، جمع تلميذه الأديب عبد الفتاح الشواف، وابنه أبو البركات نعمان خير الدين هذه الأشعار في كتاب كبير من مجلدين سماه: حديقة الورود في مدائح أبي الشفاء محمود.

ومما أثر عنه من الشعر قوله:

وإني مللت السجع من أجل أنه لمعظم أهل الروم قد كسد السجع
وكم فقرة قد أحكمتها قريحتي تلوت بأرجاها فما ساغها سمع⁽⁴⁾.

1 المسك الأذفر (ص: 78)

2 معروف الكرخي، أحد الأعلام الزهاد المتصوفة، ولد في كرخ بغداد وتوفي سنة (200هـ)، انظر: الأعلام الزركلي (185/8)

3 أعيان القرن الثالث عشر (ص: 51)

4 حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (1455/3)

ثناء العلماء عليه: كان الإمام الألوسي رحمه الله شيخ العلماء في العراق، ونادرة من نواذر الأيام. جمع كثيرا من العلوم حتى أصبح علامة في المنقول والمعقول، فهامة في الفروع والأصول، محدثا لاييجاري، ومفسرا لكتاب الله لايجاري، وكان غاية في الحرص على تزايد علمه، وتوفير نصيبه منه.

وكان الإمام الألوسي ورعا تقيا، له ملكة في الوعظة وقوة الشخصية وبلاغة وفصاحة فطرية، وذاكرة حافظة وقرينة متوقدة حتى أنه قال في حق نفسه: "ما استودعت ذهني شيئا فخاني"¹. وقد أثني المفسرون من بعده وبينوا فضله واتساع علمه، وسنفضل ذلك عند الحديث عن كتابه "روح المعاني"².

قال الفاروقي: يقولون مات الشهاب أبو الثناء وباتت عليه أعين العلم باكية فقلت لهم ما مات من زال شخصه وروح معانيه إلى الحشر باقية وقد أثني عليه عبد الغفور أفندي حيث قال: "لله دره ما من مؤلف فاق جميع المؤلفات وتاه جملة المصنفات"³. وأثنى عليه جملة من العلماء منهم الشيخ محمد سعيد أفندي مفتي بغداد، حيث مدح كتاب روح المعاني فقال: "وجدته شاملا لما بين العقل والسمع، عاما للغة وأحكامها مع النفع، تزه من الحشو الزائد مع القطع"⁴. وقد مدح الشعراء الألوسي، وأخذ عنه العلماء واعترف بفضل النبلاء وكتبوا في ذلك تقارير متفرقة علمي مقدمة روح المعاني، واختصرنا ذلك حتى لا يطول هذا المبحث⁵.

1- قال عنه ابنه نعمان الألوسي: "وقد انتهت إليه الرياسة في بغداد وأخذت عنه علماءها الأجداد وصار أستاذ الكل في الكل والمعول عليه في العقد والحل"⁶.

2- قال حفيده السلفي أبو المعالي: "وكان رحمه الله في الفطنة والذكاء، لايجاريه ذكاء، ذاهن أشد من البرق لمعا، وفكر أحد من السيف قطعا، شهابا ثاقبا، سهما لغرض الدقائق صائبا، وكان في قوة الاستحضار لايجاري، وفي البداة وسرعة الانتفال لايجاري"⁷.

3- وقال صاحب "حديقة الورد" هو أستاذنا ومقتدانا، إنسان عين الزمان بل عين إنسان، نوع الإنسان وسر الليالي المضر في خاطر الدهر بل نذرها الذي وقت به لهذا العصر، كشاف رموز

1 تفسير روح المعاني (3/1)

2 جلاء العين في محاكمة الأحمدين، لنعمان الألوسي ن: دار المدني، ط: القاهرة مصر، 1981م (ص:44).

3 التقرير مقدمة تفسير روح المعاني، (11/1)

4 أربع الند والعود (ص:6)

5 جلاء العين في محاكمة الأحمدين (ص:44)

6 جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص:59)

7 المسك الأذفر (ص:69)

- الحقائق وغواص بحر الدقائق، شيخ علماء العراق بل بدر الآفاق، علامة الفضلاء وسند النبلاء وحيد الدهر بالاتفاق، كريم الذات بديع الأخلاق، خاتمة المفسرين وسعد المحققين وفخر علماء المسلمين، والواصل إلى رتبة الاجتهاد، الذي شرق وغرب ذكره في البلاد، أخذ العلوم عن علماء محققين وأجلاء مدققين، وقد ألف ودرس وهو دون العشرين، وكان حسن المنظر والمحاضرة والمفاكهة، فصيح اللسان ورعا تقيا عفيفا، فريدا في وعظه وجودة خطه وقوة حافظته...¹
- 4- وقال العلامة صديق حسن خان² "كان رحمه الله خاتمة المفسرين، ونخبة المحدثين"³.
- 5- وقال الأستاذنا العلامة محمد مهجة الأثري⁴، هو طود العلم، عضد الدين، انفسحت في العلم خطاه فأدعن له الحب والمفتا، وأرزم سحاب أدبه فروي الغياض والرياض، فهو ابن العلم وأبوه، وعم الأدب وأخوه، ما يغني عن الإشادة بذكره والإطالة في إطرته⁵.
- 6- وقال الزركلي⁶ "مفسر محدث أديب من المحدثين... سلفي الاعتقاد مجتهد"⁷.

1 جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص: 57)

2 أبو الطيب شيخ محمد صديق خان بن حسن، القنوجي، ولد ونشأ بقنوج بالهند سنة (1248هـ)، له أيجد العلوم وتفسير فتح البيان في مقاصد القرآن، وغيرها، ارتحل إلى مدينة دهلي، ثم إلى بهوبال، طالبا للعلم وآخذا من أهله توفي سنة (1307هـ)، انظر: (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص: 738)

3 التاج للكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القنوجي، ن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط: الأولى، 1428هـ-2007م (ص: 517)

4 شيخ محمد مهجة بن محمود بن عبد القادر العراقي المعروف بالأثري، ولد سنة (1322هـ)، من أشهر مشايخه محمود شكري الألوسي وعلي علاء الدين الألوسي، له أعلام العراق، وتاريخ مساجد بغداد، والمجمل في تاريخ الأدب العربي ودعوة التوحيد والسنة. توفي رحمه الله سنة (1416هـ). انظر: إتمام الأعلام لنزار، أباطة-محمد رياض المالح، دار صادر-بيروت-لبنان، سنة النشر: 1999م (ص: 224-225)، وتاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، ليونس الشيخ إبراهيم السامرائي، الناشر: مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2008م (ص: 113-118)

5 أعلام العراق (ص: 21)

6 خير الدين بن محمود بن علي بن فارس، الزركلي (بكسر الزاء والراء) الدمشقي، ولد في بيروت لأبوين دمشقيين (1310هـ) عاش في لبنان وسورية ومصر والحجاز والأردن والمغرب والعراق، وزار إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة واليونان وتركيا وتونس وإيطاليا، له مؤلفات عدة أشهرها: الأعلام. سياسي مؤرخ توفي في ذي الحجة 1396هـ، معجم أعلام المورد، لخير يعلبكي، ن: دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1992م (ص: 220)

7 الأعلام (176/7)

7- وقال محمد حسين الذهبي¹ "شيخ العلماء في العراق، وآية من آيات الله العظام، ونادرة من نواذر الأيام"².

الثاني: منهج الإمام الألوسي في تفسيره:

التعريف بالمؤلف

الأسباب الباعثة على التأليف:

أولاً: الأسباب الباعثة على التأليف:

ذكر الإمام الألوسي رحمه الله تعالى أنه منذ الصغر لم يزل متطلباً لاستكشاف سر القرآن المكتوم، مترقباً لارتشاف رحيقه المختوم، وأنه طالما فرق نومه لجمع شوارده، وفارق قومه لوصال خرائده، وأنه يصافح بالجبين صفحات الكتاب من السهر، ويطالع إن أعوزه الشمع يوماً علي نور القمر في كثير من ليالي الشهر، لا يرفل في مطارف اللهو كما يفعل أقرانه، ولا يهب نفائس الأوقات لخسائس الشهوات كما يفعل إخوانه، وبذلك وفقه الله تعالى للوقوف علي كثير من حقائقه³.

كما أنه أضاف أنه قبل أن يكمل العشرين من عمره شرع يصرح ويصدع، ويدفع كثيراً من الإشكالات التي ترد على ظاهر القرآن الكريم، ويتجاهر بما ألهمه ربه، مما لم يظفر به في كتاب من دقائق التفسير، ثم ذكر أن استفاد من علماء عصره، واقتطف من أزهارهم، واقتبس من أنوارهم، وأودع علمهم صدره، "ذكر أنه كثيراً ما خطر بباله أن يؤلف كتاباً يجمع فيه ما عنده من ذلك، لكنه كان يتردد فيتعلل تارة بتشويش البال وبضيق الحال، وأخرى بفرط الملل لسعة المجال إلى أن رأي في بعض ليالي الجمعة من رجب سنة الألف والمائتين والاثنتين والخمسين بعد هجرة النبي ﷺ رؤية لم يعدها أضغاث أحلام حيث يقول "إن الله جل شأنه وعظم سلطانه أمرني بعلی السموات والأرض، ورتق فتقهما على الطول والعرض، فرفعت يدا إلى السماء وخفضت الأخرى إلى مستقرا الماء، ثم انتبهت من نومي، وأنا مستعظم رؤيتي، وجعلت أفتش لها عن تعبير فرأيت في

1 محمد حسين الذهبي ولد في مدينة مطوبس في محافظة كفر الشيخ بمصر سنة (1915م). له مؤلفات عدة: التفسير والمفسرون، والوحي والقرآن الكريم، عالم أزهرى كبير، عرف ببحوثه القيمة في مناهج التفسير، اغتيل في شهر رجب (1397هـ-1977م)، انظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، ن: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ-1997م (ص: 474)

2 التفسير والمفسرون (352/1)

3 تفسير روح المعاني (6/1)

بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير " فرددت هذا التفسير"¹، وكان هذا الشروع في الليلة السادسة عشرة من شعبان من سنة 1252هـ وهي السنة الرابعة والثلاثون من عمره رحمه الله تعالى وفرغ منه سنة 1257هـ.

كتب الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور الأسباب التي دفعت الألوسي إلى تأليف هذا التفسير: كما يقول ابن عاشور: "إننا إذا نظرنا إلى التفاسير التي كانت تروج في العالم الإسلامي في ذلك القرن وجدناها ثلاثة أصناف:

الـصنف الأول: منها التفاسير العلمية السنية مثل "تفسير البضاوي" و "تفسير أبي السعود"، وهي مصنوعة في قالب التجديد المدقق الذي يتطلب بيان المراجع، وبسط المقاصد، بطريقة يجعل الدروس الطويلة، مركزة على الكلمات القليلة، ويزور البحوث والتقارير في صورة التعليقات والحواشي.

والصنف الثاني: من التفاسير التي كانت رائجة في عصر الألوسي، التفاسير العلمية الشيعية وهي على منهج التفاسير إلا أن أسلوبها مبني على الإفضائية والبسط والإفصاح، مثل " تفسير الطوسي" و "تفسير القمي" و " تفسير الطبرسي" وهي في أسلوبها أقرب إلى أسلوب الفخر الرازي، ومع ما اشتملت عليه من إيضاح علمي وبحث نظري، فإنها قد اشتملت على ما لا تقره المذاهب غير الشيعية وخاصة ما يرجع إلى المحامل الباطنية لمعاني الآيات.

والثالث: من التفاسير الرائجة قبل تفسير الألوسي، صنف التفاسير الصوفية التي تعتمد على أذواق غير متقيدة بالطرائق العلمية، ولا محكمة الاستخراج على قواعد اللغة وعلومها، وأكثرها تداولاً يومئذ بين أيدي الناس أحدثها ظهوراً وأقربها إلى "مسايرة الطريقة العلمية": وهو تفسير العالم التركي الشيخ إسماعيل حقي من أهل القرن الثاني عشر، فكان الملاحظ أن الصنف الأول من هذه الأصناف الثلاثة وهو التفاسير العلمية السنية، لم يكن له مرجع كاف واف يقوم الأصول وحواشيه، وضم الحديث من ذلك إلى القديم ، فكانت تلك الثغرة هي التي تلفت نظر من يريد أن يبدى في تفسير القرآن شيئاً جديداً ذا بال كما أراد الألوسي، لاسيما وإن الأذواق في ذلك العصر قد كانت متشربة روحاً للمناهج الصوفية والأفكار العلمية كانت قد تقلبت شيئاً كثيراً من منازع الصوفية وأنظارهم، فراقت بذلك التفاسير المشتعلة على المحامل الباطنية والمنازع

الذوقية بما جعل تفاسير الشيعة والتفاسير الصوفية تجدها من كفيات النفوس والأفكار مسائما لا تجده التفاسير العلمية السنية¹. فهذا الأمر جعل الألوسي يؤلف تفسيره.

ومن الأسباب التي ساهمت في تأليف الألوسي لهذا التفسير هو خطر انتشار المذهب الشيعي في العراق وميل الشيعة إلى مناصرة الدولة الإيرانية حاملة لواء مذهبها ومقاومة الدولة العثمانية، حاملة لواء المذهب السني الأمر الذي أدى بـ الألوسي إلى التفكير في تأليف هذا التفسير الذي قارع فيه الحجة بالحجة².

ثانياً: يتكون هذا التفسير في أصله من تسعة مجلدات ضخمة ولكن تختلف عدد المجلدات والأجزاء حسب الطبعة. حيث بدأ الألوسي رحمه الله تعالى تفسيره كالعادة بخطبة الكتاب، ثم ذكر إن العلوم وإن تباينت وتنوعت فإن أشرفها وأفضلها وأعلاها قدراً هي العلوم الدينية، وإن من أفضل العلوم الدينية علم التفسير، ثم بين بعد ذلك أنه انشغل منذ صغره بهذا العلم، وحل مسائله وأقوال العلماء فيه³.

حيث بدأ الألوسي رحمه الله تعالى تفسيره كالعادة بخطبة الكتاب، ثم ذكر إن العلوم وإن تباينت وتنوعت فإن أشرفها وأفضلها وأعلاها قدراً هي العلوم الدينية، وإن من أفضل العلوم الدينية علم التفسير، ثم بين بعد ذلك أنه انشغل منذ صغره بهذا العلم، وحل مسائله وأقوال العلماء فيه⁴. ثم ذكر بعد ذلك تاريخ تفسيره و أنه عرضه على وزير الوزراء في ذلك الوقت علي رضا باشا، واستشاره ماذا يسميه فسماه "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"⁵. وبعدها بين معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما، ثم تحدث عن شرف هذا العلم، وشروط المفسر، ومناهج أهل الرأي والمتصوفة في التفسير⁶. وبعد ذلك انتقل و دخل في موضوع كلامي حول القرآن و مراتب الكلام، ونقل آراء العلماء و أورد اعتراضات بعضهم على بعض⁷. وبعدها انتقل إلى الكلام عن الأحرف السبعة و جمع القرآن و ترتيبه و تكلم بعدها في إعجاز القرآن و عرض آراء العلماء في ذلك⁸.

1 التفسير و رجاله، لابن عاشور، محمد فاضل بن عاشور ط: 1، ن: دار الكتب الشرقية، تونس، سنة 1966م، (ص: 192-194)

2 الألوسي مفسراً (ص: 333)

3 تفسير روح المعاني (1/37-389)

4 تفسير روح المعاني (1/5-6)

5 تفسير روح المعاني (1/7-8)

6 تفسير روح المعاني (1/8-13)

7 تفسير روح المعاني (1/14-28)

8 تفسير روح المعاني (1/28-37)

وبعد المقدمة بدأ الألوسي رحمه الله تعالى في التفسير للصور القرآنية، فهو في بداية تفسيره لأي سورة يقدم لهذه السورة بمقدمة يذكر فيها أسماء السورة إذا كان لها أكثر من اسم، وفضلها، وعدد آياتها واختلاف علماء العد في عدد الآيات، ووجه مناسبتها للسورة التي قبلها وبعدها يدخل في تفسير الآيات ومن عاداته أن يقطع الآيات كلمة أو جملة ناقصة أو تامة دون أن يكتب حزبا أو نصف حزب أو ربع حزب أو آيات معينة.

التعريف بتفسير روح المعاني ومنهجه: من المعلوم أن تفسير "روح المعاني" يعد من أشهر كتب التفسير، ويجد أهميته القاري حينما يشاهد بنظره، اختار الألوسي منهجا جديدا، وبرع في العلوم التي وضعها في تفسيره هذا أن يشير إلى ذلك: **أبرز نكات منهج الإمام الألوسي في كتابة تفسيره، وهي كما يلي:** جمع الإمام الألوسي في تفسيره بين المأثور والرأي الذي يقوم على قوانين العلم والنظر السديد. وقد تجلّت عناية الإمام الألوسي بالمأثور فيما أورد في تفسيره من الأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين واللغة والأدب والبلاغة والفصاحة والعلوم كالفلك وغيره، وهذا ما لم يؤلف من قبل ولم يعرف من بعد.

اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن: استمد الإمام الألوسي تفسيره من القرآن الكريم؛ وذلك إشارة إلى تفسير آيات أخرى¹

اهتمامه بالسنة النبوية ﷺ: يورد الإمام الألوسي الأحاديث النبوية، ويذكر الآية، ويشير إلى الحديث النبوي ﷺ الذي شرحها أو قول النبي ﷺ، وأحيانا يعزو الحديث بذكر الكتاب الذي ورد فيه الحديث من البخاري أو مسلم أو كتب السنة الأخرى؛ وذلك كثير من تفسيره، وأحيانا لم ينسب إلى الكتب السنة، وأحيانا يذكر الحكم هذا صحيح أو حسن، وأحيانا يذكر بدون الحكم².

اهتمامه بأقوال الصحابة والتابعين: يذكر الإمام الألوسي في تفسيره أقوال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ببيان الآيات القرآنية أو الكلمات القرآنية، فيروي التفسير منسوبا للصحابي فيقول: قال ابن عباس رضي الله عنه أو ابن مسعود رضي الله عنهما، وأيضا أقوال التابعين مثل عكرمة ومجاهد وغيرهم رحمه الله عليهم أجمعين³.

1 انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: أولى، 1415 هـ، عدد الأجزاء: 16 (238/1)

2 انظر: المصدر السابق (237/1)

3 انظر: المصدر السابق (238/1)

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (31)

منهج في توظيف المسائل اللغوية والبلاغية في التفسير: جعل الألوسي تفسيره على أساس من اللغة والنحو والبلاغة حيث أنه يتبع التركيب اللغوي في الآية، ويهتم بذكر اللغات الواردة في الألفاظ كما أنه يكثر في تفسيره من الشواهد الشعرية على معاني القرآن، ويكثر من ذكر الوجوه الإعرابية في الآية، وبيان المذاهب النحوية¹.
اهتمامه بالقراءات المستعملة والشاذة وتوجيهها: أن الإمام الألوسي أورد في تفسيره القراءات المستعملة والشاذة، ووضع ما تحتمله هذه القراءات من المعاني كما أنه بين في مقدمة تفسيره أهمية القراءات، وتبين المعاني، وجميع محتملات الألفاظ. وقام بتوجيه هذه القراءات².

موقفه من الإسرائيليات: اجتنب الإمام الألوسي في تفسيره عن ذكر القصص الإسرائيلية والقصص المطولة عموماً كما أن التفاسير الأخرى السابقة مملوءة منها أكثر، ونحن لا ندعي عدم وجودها فيه أصلاً؛ ولكن من خلال التتبع والتقصي لا توجد إلا قليلاً، وإن وجدت. وهذا ينم عن علم عظيم وفهم كبير، وإدراك لهذه القصص، فاستبعدنا من تفسيره وخلا منها هذا السفر الجليل أو يكاد³.
ربط السور السابقة واللاحقة: وهذا المنهج اختاره الإمام الألوسي في كتابه بوضوح، واستعمله مع الإشارة للصوفية، والسلفية دون إخلال بالمعنى⁴.

إيراد بعض الآيات الكونية: وقد نصح الإمام الألوسي بذكر الآيات الكونية، والسنن الربانية، وبعض علوم الفلك، والنجوم وعلاقة الأجرام السماوية ببعضها ببعض، وربطها بالآيات⁵.

منهج في دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية: إن العلماء من المتقدمين والمتأخرين الذين تكلم في هذا العلم يتبين لنا من ذلك أن كتاب الله المجيد لم يزل منذ عهد الرسالة فما بعده عرضة لشبهات أعداء الإسلام وافتراءاتهم المنطوية على جهلهم بكتاب الله لغة وبلاغة وإحكاماً وما فيه من تناسق وتوافق وانسجام مع طوله وكثرة آياته. إن علماء الإسلام ورثة الأنبياء قد تصدوا لهؤلاء وبينوا جهلهم وأحقادهم ومقاصدهم الدنيئة، وجاء من الأئمة المتأخرين والمعاصرين من تكلم في هذا العلم ورد على الشبهات والافتراءات التي ما يزال أعداء الإسلام

1 انظر: تفسير روح المعاني (334/6-335)، (159/13)

2 انظر: تفسير روح المعاني (20/14-23)، (93/12-94)

3 انظر: المصدر السابق (7/7)، (403/4)

4 انظر: المصدر السابق (294/15)

5 انظر: المصدر السابق (366/12)

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (32)

يُرددونها تبعاً لأسلافهم، والمقاصد واحدة وإن تنوعت الأساليب والمواضيع، ومن أهم من تكلم في هذا العلم من المتأخرين الإمام الألوسي وقد أكثر المصنف رحمه الله من الاهتمام بموهم الاختلاف، وذكر في مقدمة كتابه أن طول القرآن وامتداده وهو مع ذلك غير متناقض وجه من وجوه إعجازه، ثم ذكر أن هذا الوجه اعترض عليه بوجهين الأول: عدم التسليم بخلو القرآن من الاختلاف والتناقض، والثاني: أنا لو سلمنا السلامة من جميع ذلك، لكنه ليس بإعجاز إذ هو موجود في كثير من الخطب والشعر وخاصة ما كان على مقدار قصار السور بتقدير التحدي بها، ثم أجاب رحمه الله من هذين الاعتراضين ببيان سلامة القرآن من الاختلاف، وأن من إلى أن وجه الإعجاز عدم التناقض والاختلاف مع الطول والامتداد يقول: القرآن بحملته معجز...¹، وقد أكثر الإمام الألوسي رحمه الله من الاهتمام بالتوفيق بين الآيات التي ظاهرها التعارض في تغييره، وقد أفدت منه كثيراً كما هو ملاحظ في ثنايا البحث.

1 انظر: تفسير روح المعاني (29/1)

الباب الأول: الدراسة النظرية، وهو يشتمل على فصلين:

الفصل الأول: علم توهم التعارض والتناقض في القرآن:

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعارض والتناقض لغة واصطلاحاً والفرق بين التعارض الحقيقي والظاهري

ويشتمل المبحث على أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعارض لغة واصطلاحاً:

اجتهد العلماء من هذه الأمة، وأعلامها فجهودات رائعة في تبيان ذلك وتحريره في كتبهم عن إيضاح معاني مفرداته في اللغة، وتعريف التعارض، فأحييت أن أذكر آراء أهل اللغة بكلمة "توهم" وآراء علماء الأصوليين في تعريف توهم باعتبار الاصطلاح كما يلي:

توهم: لغة: توهم في اللغة: مصدر (توهم) من باب التفعّل، معناه: الشيء ظنه وتمثله وتخيله كان في الوجود أو لم يكن والخير فيه توهمه وتفرسه¹.

اصطلاحاً: كما عرفه الإمام الجرجاني: الوهم هو قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات².

وأيضاً جاء تعريف آخر: الوهم وهو: تغليب مرجوح مع وجود راجح³.

1- اعتقاد خاطئ غير مبني على أساس.

2- قسم من الإدراك، وهو إدراك المعنى الجزئي المتعلق بالمحسوسات¹.

1 المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، ن : دار الدعوة، ت: مجمع اللغة العربية عدد الأجزاء: 2 (1060/2)

2 التعريفات علي بن محمد الشريف الجرجاني، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ن: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: أولى 1403هـ - 1983م (ص: 255)

3 للمأمول من لباب الأصول، لأبي حسام الدين سيف النصر الطرفاوي، طرفا . سمالوط . الدنيا، هاتف : 0867680213، saefnaser@hotmail.com، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، رقم الإيداع : 2003/14598. (ص: 3)

التعارض: لغة: تعارض في اللغة مصدر (تعارض) من باب التفاعل معناه: عارض أحدهما الآخر². تعارضت الأقوال: تقاطعت، تضاربت ولم تتطابق "تعارضت آراؤهم"³. وعارض الشيء بالشيء معارضة: قابله، وعارضت كتابي بكتابه أي قابلته. وفلان يعارضني أي يباريني⁴. وفي الحديث: إن جبريل، عليه السلام، كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضه العام مرتين⁵.

اصطلاحاً: عند الأصوليين: ذكر العلماء الأصوليون في تعريف التعارض؛ لكن أذكر بعض التعاريف التي بين الأصوليون للتعارض؛ لأن في ذكر هذا البعض غنى عن ذكر الكل، أن التعاريف كلها ترجع في الأكثر إلى معني واحد:

قال الإمام الغزالي⁶: "معنى التعارض و التناقض"⁷.

ويؤخذ على هذا التعريف أربعة مآخذ:

أولها: أن هذا التعريف موجز ليس فيه ما يشعر بحقيقة التعارض ومتى يكون؟

ثانياً: أن التناقض أخص من التعارض، إذ إن المتعارضين يمكن الجمع بينهما بأحد وجوه الجمع، بخلاف المتناقضين فإنهما لا يجتمعان أبداً.

1 معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل ن: عالم الكتب، ط: أولى، 1429 هـ - 2008، عدد الأجزاء: 4 (2502/3)

2 المعجم الوسيط (594/2)

3 معجم اللغة العربية المعاصرة (1481/2)

4 لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) ن: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - 1414 هـ، عدد الأجزاء: 15 (167/7)

5 صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، كتاب فضائل الصحابة ر، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: 5 (1904/4) رقم الحديث: 2450.

6 هو الشيخ، الإمام، البحر، حجة الإسلام، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، ولادته ووفاته: (450-505هـ) أنظر: شذرات الذهب، في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق عبد

القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ن: دار بن كثير، سنة النشر 1406هـ، مكان النشر دمشق، عدد الأجزاء 10. (60 /4)

7 المستصفي من علم الأصول، لأبي حامد محمد الغزالي الطوسي (450-505هـ)، ت: محمد بن سلمان الأشقر، ط: الأولى:

1417هـ/1997م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان (232/2)

وتعين هذا المعنى الإمام الغزالي في كتابه: حيث قال "والقضيتان المتناقضتان هما: المختلفان بالإيجاب والسلب، على وجه يقتضي لذاته أن تكون إحداها صادقة والأخرى كاذبة".¹

ثالثاً: اختلف الأصوليون هل يطلق التعارض على التناقض؟ أم بينهما فرق؟

القول الأول: إن التعارض هو التناقض بمعنى الترادف² اختار هذا المسلك الإمام محمد بن إسماعيل البخاري والإمام الغزالي والإمام التفتازاني³ والإمام ابن قدامة⁴، يقول الإمام البخاري: "والظاهر أنهما يعني التعارض والتناقض بمعنى المترادفين هاهنا؛ لأن التناقض في الكلام في عامة الاصطلاحات هو: "اختلاف كلامين بالنفي والإثبات بحيث يقتضي لذاته أن يكون أحدهما صدقاً، والآخر كذباً، وهذا عين التعارض"⁵.

القول الثاني: إنهما ليسا مترادفين، بل بينهما فرق، وهذا هو المفهوم من صنيع كثير من الأصوليين القائلين بالجمع بين الأدلة المتعارضة والتوفيق بينها، فلو كان التعارض يفيد معنى التناقض لما للجمع سبيل: يقول الإمام محمد بن إسماعيل البخاري مخبراً عن وجهة نظر هذا الفريق⁶، والتعارض تقابل الحجتين المتساويتين على وجه لا يمكن الجمع بينهما بوجه فالتناقض يوجب بطلان الدليل والتعارض يمنع ثبوت الحكم من غير أن يتعرض الدليل⁷.

1 معيار العلم في فن المنطق، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، ت: الدكتور سليمان دنيا، ن: دار المعارف، مصر، عام النشر: 1961 م، عدد الأجزاء: 1 (ص: 121)

2 الترادف: ردف: الردف: ما تبع الشيء. وكل شيء تبع شيئاً، فهو ردفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء، فهو الترادف، كإنسان وبشر، وليث وأسد. لسان العرب، لأبي الفاضل محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الإفریقی، ن: دار صادر، بيروت، ط: الثالثة، عدد الأجزاء: 15 (9/114)

3 هو أحمد بن يحيى بن محمد بن سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الهروي: شيخ الإسلام، من فقهاء الشافعية، يكنى بسيف الدين، ويعرف بحفيد السعد (التفتازاني) كان قاضي هراة مدة ثلاثين عاماً، ما وجدت ولادته و لكن وفاته (916 هـ) أنظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، ن: مكتبة المثنى - بغداد تاريخ النشر: 1941 م، عدد الأجزاء: 6 (ص: 93)

4 هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين: فقيه، من أعيان الحنابلة. ولد وتوفي في دمشق. ولادته و وفاته: (597 - 682 هـ) أنظر: فوات الوفيات، لمحمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر، ن: دار صادر-بيروت (1: 262)

5 كشف الأسرار شرح أصول البردوي، لعبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، ن: دار الكتاب الإسلامي، ط: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: 4 (76/2)

6 التعارض والترجيح، بين الأدلة الشرعية، لعبد اللطيف عبد الله البرزنجي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ (32/1)

7 كشف الأسرار (76/3)

قال البرزنجي¹: هناك فروق بين التعارض والتناقض وأشهرها ثلاثة:

- 1- إن التعارض الأصولي محله الأدلة الشرعية، والتناقض محله علم المنطق.
 - 2- التناهي في التعارض يكون صوريا بين الأدلة الشرعية، بينهما التناهي في التناقض لابد أن يكون ذاتيا حقيقيا.
 - 3- يترتب على التعارض نتائج، منها النسخ، أو الجمع، أو الترجيح، أو التساقط، ويترتب على التناقض التساقط فقط².
- قال السرخسي³: وأما الركن⁴: فهو تقابل الحجتين المتساويتين على وجه يوجب كل واحد منهما ضلما توجبه الأخرى، كاخلل والحرمة، والنفي والإثبات⁵.
- قال الإمام النسفي⁶: إبطال إحدى الحجتين بالأخرى، وركن المعارضة تقابل الحجتين المتساويتين على وجه يوجب كل منهما ضلما توجبه الأخرى؛ لأن ركن الشيء ما يقوم به ذلك الشيء، وبالحجتين المتساويتين تقوم المقابلة إذ الضعيف لا يقابل القوي⁷.
- تعريف التعارض عند المحدثين: لم يستعمل المحدثون لفظ التعارض، بل استعملوا لفظ: مختلف الحديث.
- ل- مختلف الحديث عدة تعريفات وهي متقاربة كما يلي:

- 1 هو محمد بن عبد الرسول الحسني البرزنجي: فاضل، له علم بالتفسير والأدب. من فقهاء الشافعية ولادته ووفاته (1040-1103هـ)، برزنجي الأصل. ولد وتعلم بشهرزور، واستقر في المدينة، فتصدر للتدريس، وتوفي بها، أنظر: سلك الدرر، في أعيان القرن الثاني عشر، لأبي الفاضل محمد خليل بن علي الحسيني: دار البشائر الإسلامية، ن: دار ابن حزم، ط: الثالثة، 1408هـ-1988م، عدد الأجزاء: 4 (4: 65).
- 2التعارض والترجيح (37/1-38)
- 3 هو أبو بكر: محمد بن أحمد السرخسي، القاضي، من كبار علماء الأحناف، مجتهد، صاحب كتاب المبسوط، توفي- رحمه الله تعالى- سنة 482هـ، أنظر: الفوائد البهية في تراجم الخنفية، لعلامة أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، ناشر: مطبعة السعادة- القاهرة. الطبعة الأولى. (2/ 196)
- 4 ركن الشيء: مالا وجود لذلك الشيء إلا به (كشف الأسرار: (76/3)
- 5أصول السرخسي، ل محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، ن: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: 2 (12/2)
- 6 هو أبو البركات: عبدالله بن أحمد النسفي، المفسر الفقيه. صاحب التصانيف الجليلة، من أشهرها: "مدارك التنزيل" في تفسير القرآن الكريم، و"المنار" في أصول الفقه، و"كنز الدقائق" في الفقه، و"الكافي شرح الوافي" وغيرها، أنظر: وطبقات المفسرين للسيوطي، ت: علي محمد عمر. ناشر: مكتبة وهبة - القاهرة. الطبعة الأولى 1396هـ (ص: 104).
- 7 كشف الأسرار شرح المنار، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، ط: 1406هـ، ن: دار الكتب العلمية، بيروت (2/ 88-89)

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (37)

يقول ابن حجر¹: الحديث المقبول المعارض بمثله مع إمكان الجمع. قوله: (عورض) أي معارضة ظاهرية أو صورية من وجهة نظر المجتهد وليست معارضة حقيقة، فالأدلة لا يكون بينها تعارض حقيقي².
يقول السيوطي³: وهو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهراً فيوفق بينهما أو يرجع أحدهما⁴، وضح المحدثون معنى مختلف الحديث عندنا معناه: التعارض الظاهري فقط ليس تعارضاً حقيقياً.
تعريف التعارض عند المفسرين وعلماء القرآن:
اهتم علماء علوم القرآن معنى موهم⁵ الاختلاف⁶ والتناقض كما يلي:

1 هو أحمد بن علي بن محمد الكتاني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن خبَر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (فلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، ولادته ووفاته (773 - 852 هـ)، أنظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت: إبراهيم باجس عبد المجيد، ن: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: أولى، 1419 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 3 (106-101/1)
2 الشرح المختصر لنخبة الفكر لابن حجر العسقلاني، لأبي المنذر عمود بن محمد النياوي، ن: المكتبة الشاملة، مصر، ط: أولى، 1432 هـ - 2011 م، عدد الأجزاء: 1 (ص: 32)
3 هو عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ولادته ووفاته، (849-911 هـ) تعريفه: عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم، وعدد مؤلفاته بلغ 725 مصنفًا. من أشهر كتبه: الإتقان في علوم القرآن؛ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، أنظر: شذرات الذهب (51/8)
4 تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)، ت: أبو قتبية نظر محمد الفارابي، ن: دار طيبة، (651/2)
5 وهي من أوهم يومهم إيهاما فهو موهم، اسم فاعل من أوهم والأصل الثلاثي: "وهم" ومعناه في اللغة: من خطرات القلب، والجمع أوهام، وللقلب وهم. وتوهم الشيء: تخيله وتمثله، كان في الوجود أو لم يكن. وقال: توهمت الشيء وتفرسته وتوسمته وتبيته بمعنى واحد؛ قال زهير في معنى التوهم: فلأما عرفت الدار بعد توهم... والله عز وجل لا تدركه أوهام العباد. ويقال: توهمت في كذا وكذا. وأوهمت الشيء إذا أغفلته. (لسان العرب: 643/12)

فالوهم: هو إدراك المعنى الجزئي المتعلق بالمعنى المحسوس، انظر: كتاب التعريفات (ص: 255)
6 من اختلف يختلف باختلاف الاختلاف، والأصل الثلاثي خلف قال ابن منظور: (والخلفة اختلاف الليل والنهار، وفي التنزيل: "وَقَوْلاً الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَكِرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا" سورة الفرقان، آية: 62) خلفه؛ أي هذا خلف من هذا، يذهب هذا ويحيى هذا، وكل شيء يحيى بعد شيء، فهو خلفه، (لسان العرب: 86/9) الاختلاف ينقسم في التفسير إلى قسمين: اختلاف التنوع واختلاف التضاد: الأول: اختلاف التنوع: هو أن تحمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت معان صحيحة غير متعارضة، اختلاف التضاد: هما القولان المتنافيان بحيث لا يمكن القول بهما معاً، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالآخر،

يقول الزركشي¹: وهو ما يوهم التعارض بين آياته وكلام الله ﷻ منزه عن الاختلاف².
يقول الإسفراييني³: قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: إذا تعارضت الآية وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ وترك المتقدم منهما بالتأخر ويكون ذلك نسخاً له وإن لم يوجد التاريخ وكان الإجماع على استعمال إحدى الآيتين علم بإجماعهم أن الناسخ ما أجمعوا على العمل بها⁴.
وبناء على ماسبق، فيمكن تعريف التعارض في هذا البحث كمايلي: "تعارض دلالة آية مع دلالة آية أخرى في الظاهر" أن التعارض بين الآيات القرآنية فقط ظاهري وليس حقيقياً فهو تعارض يتشتر ذهن القاري إلى التشابه أو الشبهات وليس له وجود في الواقع، لما يجهل القاري ارتفاع الشبه أو الشبهات من ذهنه ذلك التعارض المتوهم بين الآيات.

(فصول في أصول التفسير، للدكتور مساعد الطيار، تقديم: د محمد بن صالح الفوزان، ن: دار ابن الجوزي، ط: الثانية، 1423هـ، ص: 80)

1 هو الإمام أبو عبد الله بدر الدين الزركشي الشافعي، مولده سنة (745هـ)، وله تصانيف كثيرة: (النكت على ابن الصلاح) و (البرهان في علوم القرآن) وغيرهم، توفي يوم الأحد ثالث شهر رجب سنة (794هـ)، ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من تربة الأمير بكتمر الساقى. انظر: طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، عدد الأجزاء: 2 (162/2-163)

2 البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: أولى، 1376هـ-1957م، ن: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: 4 (45/2)

3 هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، عالم بالفقه والأصول، نشأ في إسفرايين (بين نيسابور، وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر له كتاب: "الجامع" في أصول الدين و "رسالة" في أصول الفقه، وكان ثقة في رواية الحديث، مات في نيسابور، ودفن في إسفرايين، وكانت وفاته في سنة (418هـ) أنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

لأبي العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان البرمكي الإربلي، ت: إحسان عباس، ن: دار صادر-بيروت، عدد الأجزاء: 7 (4/1)، وشذرات الذهب (209/3)

4 البرهان في علوم القرآن: (48/2)

المطلب الثاني:

تعريف التناقض:

لغة: التخالف يقال نقض البناء والحبل والعهد من باب نصر. والنقاضة بالضم: ما نقض من حبل الشعر. والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه: أي يتخالف¹. اصطلاحاً: فهو اختلاف قضيتين² في الكيف³ بحيث تكون إحداها صادقة والأخرى كاذبة دائماً⁴. قال ابن قدامة⁵: كل نقيضين ينتج إثبات إحداها نفي الآخر ونفيه إثبات الآخر. وعلي هذا فالنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان في شيء واحد وحال واحد كالحياة وعدم الحياة مثلاً⁶. والتناقض عند الأصوليين: هو تقابل الدليلين المتساويين علي وجه لا يمكن الجمع بينهما بوجه، وهو مرادف للتعارض في إطلاق كلامهم⁷.

شروط التناقض:

- الأول أن تكون إحدى القضيتين سالبة والأخرى موجبة.
- الثاني: أن يكون موضوع المقدمتين واحداً فإذا تعدد لم يتناقضا.
- الثالث: أن يكون المحمول واحداً.
- الرابع: ألا يكون المحمول في جزئين مختلفين من الموضوع.
- الخامس: ألا يختلف ما إليه الإضافة في المضافات.
- السادس ألا يكون نسبة المحمول إلى للموضوع على جهتين مختلفتين.

1 مختار الصحاح، لزين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، ت: يوسف الشيخ محمد، ن: المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت- صيدا، ط: الخامسة، 1420 هـ / 1999 م، عدد الأجزاء: 1 (ص: 318)

2 القضية: قول يحتمل الصدق والكذب لذاته. انظر: معيار العلم في فن المنطق، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: الدكتور سليمان دنيا، ن: دار المعارف، مصر، عام النشر: 1961 م، عدد الأجزاء: 1 (ص: 125)

3 المراد بالكيف: هو الإيجاب والسلب (معيار العلم في فن المنطق: ص: 147)

4 انظر: المختصر في المنطق، لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ص: 7)

5 سبقت ترجمته

6 روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي محمد موفق الدين، الشهير بابن قدامة المقدسي، ن: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الطبعة الثانية 1423 هـ-2002 م، (86/1)

7 المستصفي (ص: 34)

السابع: ألا يكون في زمانين مختلفة.

الثامن: وهذا في القضية التي موضوعها كلي على الخصوص، فإنه يزيد في التي موضوعها كلي أن يختلف القضيتان بالجزئية والكلية مع الاختلاف في السلب والإيجاب، حتى يلزم التناقض لا محالة، وإلا أمكن أن يصدقا جميعا كالجزئيتين في مادة الإمكان¹.

المطلب الثالث: أقسام التعارض:

القسم الأول: تعارض بلا ترجيح، وهذا يوجد بين الدليلين القطعيين. فإذا وقع بين القطعيين لا يتصور الترجيح، لأنه فرع التفاوت وهو لا يكون إلا بين الظنيين. وعليه فإذا ما تعارض القطعيان ففي هذه الحالة ننظر إن علم التاريخ فإن المتأخر يكون ناسخا للمتقدم، وإن جهل فإن أمكن الجمع بينهما جمع، وإلا ترك المجتهد الدليلين لتعارضهما ولارجحان لأحدهما على الآخر فتساقطا. لأن العمل بأحدهما على التعيين ترجيح من غير مرجح، والتخير مما لا وجه له لأن أحدهما منسوخ كما هو الظاهر.

القسم الثاني: تعارض يتأتى فيه الترجيح، وذلك إذا تعارض دليلان ظنيان²، الحجتان بكوئهما متساويتين وذلك لتحقيق المقابلة بينهما. إذا الضعيف لا يقابل القوي لترجيح القوي عليه فمثلا: المتواتر لا يقابل خبر الواحد وذلك لعدم المساواة فالمتواتر أقوى من خبر الواحد وهكذا. لذلك قال بعض علماء لأوصول عند الكلام على ركن المعارضة: إن الركن هو: تقابل الحجتين على السواء لامزية لإحدهما على الأخرى في الذات والصفة³. نتائج الأمر: إنه من أجل تحقق المعارضة لا بد أن تكون الحجتان متساويتين فإن كانت إحدهما قوية والأخرى ضعيفة، أو كانت إحدهما قوية والأخرى أقوى فلامعارضة، حيث أنه في هذه الحالة يهمل الأدنى بالأعلى ويعمل به والله تعالى أعلم.

أركان التعارض: أتكلم في أركان التعارض؛ لكي يتضح معنى التعارض على حقيقته، ولا يدخل فيه ما ليس منه.

ولكي نوضح أن التعارض ليس في الحقيقة في الأدلة بل عدم فهم الأدلة على حقيقتها من قبل القاري.

حددنا معنى التعارض الآن نحدد أركان التعارض، والأركان اثنان لا يثبت التعارض إلا لأجلهما، وهما:

¹ معيار العلم في فن المنطق (ص: 125)

² انظر: تسهيل الوصول إلى علم الأصول، للشيخ محمد عبد الرحمن المحلاوي الحنفي، ط: مصطفى الحلبي، ن: 1441هـ. (240)-

(241)

³ قمر الأقطار علي نور الأنوار شرح المنار، للعلامة محمد عبد الحليم الكنوي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان. (51/2)

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية.....(41)

الركن الأول: حجية الأدلة وتعددتها: لا يثبت التعارض في الأدلة إلا ما ساء في موضوع واحد ويجب أن يكون كلا الدليلين حجة معتبرة، فلا تعارض بين غير الحجتين، أو كون أحد الدليلين حجة، ولآخر غير حجة¹.

الركن الثاني: تقابل الأدلة: معناه لا بد تقابل الأدلة بحيث يوجب كل واحد منهما ضدهما يوجب الدليل الآخر، كأن يكون الدليل الأول يفيد الحل، والدليل الآخر يفيد الحرمة، أو يكون أحد الدليلين يفيد النفي والدليل الآخر يفيد الإثبات².

المطلب الرابع:

الفرق بين التعارض الحقيقي والظاهري:

التعارض الحقيقي لم يوجد في الآيات القرآنية، والتعارض الظاهري ينشأ لقلة علم القاري بالمدلولات وبالمصطلحات وبأصول اللغة، كذلك عدم إتقان قانون التعارض. عندما القاري يقرأ القرآن وما فهم معنى الآيات لقلة فهمه وأشكل عليه معنى الآيات بعد هذا لم يذهب إلى إنكار الآيات قبل تعليمها ولم يحكم بنفسه بإنكار الآيات؛ لأجل هذا يرجع القاري إلى أهل العلم "ويعشي على طريقة الصحابة ك- لما الصحابة يقومون في المشكلة يرجعون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم"، ويسألون النبي ﷺ عن الآيات القرآنية المتعارضة فتتحل مشكلتهم وينصرف ذهنهم من التشكيك إلى التيقن. فكان لزاما علينا هنا أن تحقيق القول في هذه المسألة حتى تكون في ما من أن يثبت علينا الأصل بالتعارض في هذا البحث.

الدلائل التي يثبت القرآن الكريم خاليا من التعارض في الواقع ونفس الأمر:

أدلة القرآن الكريم:

قوله تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"³ فنفي أن يقع فيه الاختلاف ألبته، ولو كان فيه ما يقتضي قولين مختلفين لم يصدق عليه هذا الكلام على حال. وفي القرآن الكريم: "فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا"⁴ وهذه الآية صريحة في رفع النزاع والاختلاف، فإنه رد المتنازعين إلى الشريعة، وليس ذلك إلا ليرفع

1 أصول السرخسي (12/2)، التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية (162/1)

2 أصول السرخسي (12/2)

3 سورة النساء: 82.

4 سورة النساء: آية: 59.

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (42)

الاختلاف، ولا يرتفع الاختلاف إلا بالرجوع إلى شئ واحد، إذ لو كان فيه ما يقتضي الاختلاف لم يكن في الرجوع إليه رفع تنازع، وهذا عبث لا يطلبه الشارع.

إن عامة أهل الشريعة أثبتوا في القرآن، والسنة الناسخ والمنسوخ¹، والمعلوم أن الناسخ والمنسوخ إنما هو فيما بين دليلين يتعارضان بحيث لا يصح اجتماعهما بحال، وإلا لما كان أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً². فلو كان الاختلاف من الدين لما كان لإثبات الناسخ والمنسوخ من غير نص قاطع فيه فائدة بمعنى أنه لم يكن هناك مقتض للبحث والاجتهاد عن الناسخ والمنسوخ بل كان يجب الوقوف في ذلك عند حد ما ثبت بنص قاطع فقط؛ لكن هذا باطل كله بإجماع، فدل على أن الاختلاف لأصل له في الشريعة، وهكذا القول في كل دليل مع معارضه، كالعموم والخصوص، والمطلق³ والمقيد⁴، ونحو ذلك، فكانت تنخرم هذه الأصول كلها، وذلك فاسد، فما أدي إليه مثله.

1 الموافقات، لإبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ن: دار ابن عفان، ط: أولى 1417هـ / 1997م، عدد الأجزاء: 7 (61/5)

2 انظر: أصول السرخسي (12/2)

3 المطلق: ما يدل على واحد غير معين. التعريفات (ص: 218)

4 المقيد: ما قيد لبعض صفاته. التعريفات (ص: 225)

المبحث الثاني: بيان سلامة القرآن من الاختلاف والتناقض مع حكمة وجود الآيات التي توهم ظاهرها التعارض:

جزى الله تعالى العلماء الذين بذلوا جهدهم في الإسلام، واهتموا اهتماما كبيرا في حل دفع التعارض بين الآيات القرآنية والشرعية فاعملوا جهدهم في فسيح مجالته، وركبوا الصعب من أجل تحديد معالمة حتى جعلوه قائما بذاته، وغرضهم في إنما هو الوصول إلى حكمة وجود هذا الاختلاف، وأوجه دلالة ألفاظ القرآن الكريم على المعاني المقصودة، وبالتالي الوصول إلى استنباط الأحكام المستفادة من الأدلة الإجمالية والتفصيلية. وسبب ذلك أن الأدلة متفاوتة في المرتبة وفي القوة، ومن ثم فإنه لزاما على المجتهد أن يكون عالما بدرجات الأدلة وقوتها، وأن يقف على ما يلزمه نحوه عند تعارض الآيتين. ولقد أدرك العلماء أهمية هذا الموضوع فتناولوه بالشرح والبيان، وكتبوا فيه العديد من الكتب.

إن الناظر لم يجد في الآيات القرآنية تنافر ولا اختلاف بينها وظاهر التعارض الذي يكتنف بعض النصوص الشرعية والذي ليس بواقع حقيقة، لاستحالة وقوع تعارض فيما يصدر عن الشارع الحكيم حذا بعلماء الأمة الأبرار إلى التمشير عن سواعد الجد في إزالة تعارضها وإشكالها، وإمالة لثامها، والكشف عن مخدراتها، طلبا لحكم الله ورسوله، وإبانة للوفاق الذي يحيط بنصوص الشرع المظهر، وإن كان في بادئ النظر بخلاف ذلك، مصدقا لقول الله عز وجل: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"¹ غير أنه قد يظهر أمام بعض الناظرين في الأدلة تعارض بين آيتين، والحق أنه ليس بتعارض، والسبب هو نقص في علم هذا الناظر في الأدلة وخلل في فهمه. حيث أن هذا التعارض الذي خيل له قد يكون نتيجة لنسخ أحد الآيتين للأخر عاما والآخر خاصا "مثلا" ويمكن الجمع والتوفيق بينهما، ولكن لكون الناظر لم يتعمق في مباحث هذا الفن فإنه يعجز عن الجمع بين الآيتين ومن ثم يحكم بالتعارض.

لما كان كتاب الله هو السبب في ذلك:

وهذا مهم لو أتوجه إلى ذلك: أن أعداء الإسلام يتخذون من الأدلة التي يدعون تعارضا سهما يطعنون به في الإسلام ونبي الإسلام ﷺ.

أدرك هذا أعداء الإسلام منذ بداية الإسلام فلاجرم أنهم حاولوا التصدي لهذا الكتاب بإثارة الشبهات والأباطيل والتخرصات من أجل أن يحولوا بين المسلمين، وبين هذا الكتاب الذي هو مصدر عزهم وصلاحهم وقوتهم.

ومن خلال قراءتي في كتب التفسير وعلوم القرآن وجدت أن من الشبهات والأباطيل التي تناقلها أعداء الإسلام من زنادقة ويهود ونصارى ومنافقين، الادعاء بأن في القرآن اختلافا وتناقضا وكل ذلك بدافع الكيد والحسد أو الجهل وعدم التدبر.

وقد جري هذه المسائل التي من عهد النبي ﷺ عصر نزول القرآن، وحتى يومنا هذا ما زالت تلك الادعاءات والأباطيل تزج بمختلف السبل والأساليب للنيل من عظمة القرآن، ولتشكيك المسلمين به إن استطاعوا، وكذلك لثبیت أهل أديانهم ومعتقداتهم على ما هم عليه من الباطل ببيان أن ما عند المسلمين إنما هو كتاب متناقض.

واني على الرغم لم أستطع السعة في هذا المجال وعدم أهليتي للخوض في البحر الكثير أحببت وكلي أمل في الله أن أطرق باب هذا الموضوع، وأتجج فتح علمائنا الأجلاء الأوائل راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يكرمني بسببهم، وأن يعينني على جلاء هذا الموضوع حتى أرد كيد أعداء الإسلام في غورهم.

وإنه لا يمكن لي أبدا أن ادعى أنني أعطيت للموضوع حقه وكل ما يستحق، فهو موضوع مستطيل ولا أكون مبالغا حين أقول أن كل جزء من أجزائه له صلة وثيقة بمبحث من مباحث الأصولية.

أقوال العلماء بسلامة القرآن من الاختلاف:

تحدث العلماء في إعجاز القرآن، ووجوه إعجازه، وبيان القدر المعجز منه، ودلالة الإعجاز القرآني على نبوة الرسول ﷺ، وكيف أن الله سبحانه تعالى قد تحدى العرب أهل اللغة والإنس والجن جميعا على أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله، ثم ذكر العلماء الغاية التي من أجلها جعل الله سبحانه معجزة الرسول الأساسية هي القرآن وليس كما كانت معجزات السابقين من الأنبياء.

قال ابن قتيبة¹: "قد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"² بأفهام كلية، وأبصار عليقة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن

1 هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من أئمة الأدب، ومن المصنفين للكثيرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة. ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. وتوفي ببغداد سنة 276هـ. من مصنفاته: "غريب القرآن"، "غريب الحديث"، "كتاب المعارف"، "كتاب مشكل القرآن"، "كتاب مشكل الحديث"، "كتاب أدب الكاتب" وغيرها. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ن: مؤسسة الرسالة، الطبعة: غير متوفرة، عدد الأجزاء: 23 (10/ 265)

2 سورة آل عمران: 7.

سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم، والاختلاف، وأدلووا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور... فأحييت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفت هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن، مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملاً ما أعلم فيه مقالاً لإمام مطلع على لغات العرب، لأري المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل، ولم يجر لي أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير، إذ كنت لم أقصر على وحي القوم حتى كشفته. وعلى إيمانهم حتى أوضحت، وزدت في الألفاظ ونقصت، وقدّمت وأخرت، وضربت لذلك الأمثال والأشكال، حتى يستوي في فهمه السامعون¹.

قال الماوردي²: "إن معجز كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره والشائع المنتشر في ناس دهره، لأن موسى عليه السلام حين بعث في عصر السحرة خص من فلق البحر يساً وقلب العصا حية ما يهر كل ساحر وأذل كل كافر، وبعث عيسى عليه السلام في عصر الطب فخص من إبراء الزمنى وإحياء الموتى بما أدهش كل طبيب وأذهل كل لبيب، ولما بعث محمد ﷺ في عصر الفصاحة والبلاغة خص بالقرآن في إيجازه وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء وأذعن له البلغاء وتبلد فيه الشعراء ليكون العجز عنه أقهر والتقصير فيه أظهر³

قال الإمام السيوطي: تكلم الإمام السيوطي في معجزات القرآن واستدل بالآيات والأحاديث، وأثبت لم يستطع أي إنسان هو يقبل تحدى القرآن "اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلاذهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة

1 انظر: تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت: إبراهيم شمس الدين، ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (ص: 4-23)

2 هو علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، أقضي قضاء عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد بالبصرة سنة (364هـ) وتوفي (450هـ)، أنظر: وفيات الأعيان (326/1)، وشذرات الذهب (285/3)

3 أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد، الشهير بالماوردي، ن: دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط: الأول - 1409 هـ، عدد الأجزاء: 1 (ص: 73)

خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراهما ذوو البصائر¹ كما قال ﷺ "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"².

أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه، أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالابصار كنافذة صالح وعصا موسى ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهدته والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً³.

قال شيخ رشيد رضا⁴: إن رسالة النبي الأُمِّي قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وفي موضوعها؛ لأن البشر قد بدءوا يدخلون بها في سن الرشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لا تبع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم العقلي مع هذا الخضوع، بل هو من موانعه، فجعل حجة نبوة خاتم النبيين عين موضوع نبوته، وهو كتابه المعجز للبشر بهدياته وعلومه، وبإعجازه اللفظي والمعنوي، وبأنبياء الغيب الماضية والحاضرة والآتية. "قال تعالى: "أَرْأَيْتُمْ كَيْفَ

أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُفْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"⁵ "وَرَأَيْتُمْ كَيْفَ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ"⁶ وقال تعالى: "لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ. وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً"⁷، وبما

1 الإتيان في علوم القرآن (1873/5-1874)

2 صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (رحمه الله)، جعفي، كتاب العلم، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ن: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: أولى، 1422هـ، عدد الأجزاء: 9 (باب كيف نزل الوحي... (182/6)، رقم الحديث: 4981.

3 الإتيان في علوم القرآن (1874/5)

4 هو محمد رشيد بن علي رضا، خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، ولادته ووفاته (1282 - 1354 هـ)، أنظر: الأعلام للزركلي (126/6)

5 سورة العنكبوت: 51.

6 سورة هود: 14.

7 سورة النساء: 166.

الرسول والكتب السابقة التي لم يكن يعلمها هو ولا قومه، وبمدياته وبعلمومه وبإعجازه، وعدم استطاعة أحد ولا جماعة ولا العالم كله على الإتيان بمثله¹: "قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا"² فجعل الله سبحانه وتعالى إنزال الكتاب وسماعه حجة كافية في اثبات صدق الرسول وأنه نبي مرسل، وأن القرآن حق، دلالة صدقة من ذاته، وجعل عدم استجابتهم للتحدي وعجزهم عن الاتيان بمثل أقصر سورة منه دليلا كافيا أنه أنزل بعلم الله، فالله سبحانه يشهد بهذا القرآن أي بإعجازه وبما احتواه من أدلة على النبوة وأنه من عند الله الحكيم الحميد.

ولابد من الإشارة إلى أنه مادام التحدي قد وقع بأقصر سورة من القرآن كما قال تعالى: "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ"³، مادام الأمر كذلك وعلمنا أن كثير من قصار السور لا تحتوي على أخبار عن الغيبات أو علوم كونية أو غير ذلك مما قيل في أوجه إعجاز القرآن تأكيد لدينا أن إعجاز القرآن المتحدي به منحصر في الناحية البيانية التي امتاز بها القرآن⁴. وما ضمنه من أمور أخرى إنما هي أدلة على النبوة رادفة للإعجاز البياني لها حكم وغايات كثيرة، وقد ذكر الإمام الخطابي: رأي الطائفة التي زعمت أن إعجاز القرآن بما تضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان، ثم نقده بقوله: "ولا يشك أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها فقال: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ...) من غير تعيين، فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه⁵.

1 الوحي المحمدي، لمحمد رشيد بن علي رضا، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: أولى، 1426هـ-2005م، عدد الأجزاء: 1 (ص: 53).

2 سورة الإسراء: 88.

3 سورة البقرة: 23-24.

4 إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق الرفاعي، ن: دار الكتاب العربي-بيروت، ط: الثامنة-1425هـ-2005 م، عدد الأجزاء: 1 (ص: 26).

5 إعجاز القرآن، للباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، ت: السيد أحمد صقر، ط: الثالثة، ن: دار المعارف بمصر-1119 كورنيش النيل-القاهرة، عدد الأجزاء: 1 (ص: 13).

يقول الإمام الرازي¹: "اعلم أن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى احتج بالقرآن على صحة نبوة محمد ﷺ إذا لو لم تحمل على ذلك لم يبق لها تعلق بما قبلها البتة، والعلماء قالوا: دلالة القرآن على صدق محمد ﷺ من ثلاثة أوجه: أحدها فصاحته: وثانيها: اشتماله على الإخبار عن الغيوب، والثالث سلامته من الاختلاف. ثم قال: الذي ذهب إليه أكثر المتكلمين أن المراد منه أي الوجه الثالث أن القرآن كتاب كبير وهو مشتمل على أنواع من الكلمات المتناقضة؛ لأن الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك، ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا أنه ليس من عند غير الله².

ويقول ابن كثير³: "يقول تعالى أمرا عباده بتدبر القرآن، ونهايا لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه الحكمة والفاظه البليغة، وعبرا لهم أنه لا اختلاف ولا اضطراب ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق؛ ولهذا قال تعالى "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"⁴ ثم قال: "ولو كان من عند غير الله" أي لو كان مفتعلا مختلفا كما يقوله من يقوله من جهلة المنافقين والمشركين في بواطنهم (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) أي اضطرابا وتضادا كثيرا أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله، كما قال تعالى عبرا عن الراسخين في العلم حيث قالوا: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ

1 هو أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر، أُوحد زمانه في للعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري واليهما نسبه، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هرات سنة ست وست مئة. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (54/16) وطبقات المفسرين، للسيوطي (59/1-60).

2 التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، ن: دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط: الثالثة-1420هـ، عدد الأجزاء: 32 (325/17-326).

3 هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: ولادته ووفاته (701 - 774 هـ الموافق 1302 - 1373 م) تعريفه: حافظ مؤرخ فقيه، له تصنيفات: (البداية والنهاية) و (شرح صحيح البخاري) و (طبقات الفقهاء الشافعيين) و (تفسير القرآن الكريم)، انظر: طبقات المفسرين للداودي (111/1-112) 4 سورة محمد: 24.

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلُ الْأَلْبَابِ¹ أي محكمه ومتشابهه حق، فلهذا ردوا للتشابه إلى الحكم فاهتدوا، والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغفوا².

ويقول القاضي عضد الدين الإيجي³ في معرض ذكر وجوه إعجاز القرآن "وقيل عدم اختلافه وتناقضه مع ما فيه من الطول، وقال في موضع آخر: بعد أن رد علي منكري الإعجاز البلاغي، قال: "سلمنا لكن لم لا يجوز أن يكون المعجز ما انتفي عنه الاختلاف"⁴.

ويقول الإمام الألوسي: في معرفة تعقيبه على الرازي حول الإعجاز: "ولانتم احتمال كونه الأسلوب الغريب وعدم اشتماله على التناقض وقال موضع آخر والاعتراض على كون وجه الإعجاز عدم التناقض والاختلاف مع الطول والامتداد بوجهيه مدفوع"⁵.

ويقول السيد محمد رشيد رضا⁶: "سلامته على طوله من التعارض والتناقض والاختلاف خلافا لجميع كلام البشر وهو المراد بقوله تعالى: "ولو كان من عند غير لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" وإنا نجد كبار العلماء في كل عصر يصنفون الكتاب فيسودون ثم يصححون ويبيضون ثم يطبعون وينشرون ثم يظهر لهم ولغيرهم كثير من التعارض والاختلاف والأغلاط اللفظية والمعنوية، لاسيما إذا طال الزمان... ولكن هذا النوع من الإعجاز إنما يظهر في جملة القرآن في السور الطويلة فيه لا في كل سورة، فإن سلامة السور القصيرة من ذلك لا يعد أمرا معجزا يتحدى به⁷. وفي هذا القدر كفاية من أقوال العلماء الذين استدلوا بظاهرة سلامة القرآن من الاختلاف على نبوت خاتم المرسلين عليه أفضل الصلا والتسليم أو اعتبروا سلامة القرآن من الاختلاف من وجوه إعجازه، وقد ثبت من

1 سورة آل عمران: 7.

2 تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: محمد حسين شمس الدين، ن: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط: أولى - 1419 هـ (322-321/2)

3 هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي: عالم بالأصول والمعاني والعربية. من أهل إيج (بفارس) ولي القضاء، و وفاته (756هـ)، انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ن: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، عدد الأجزاء: 2 (62/2)

4 كتاب للمواقف، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ن: دار الجيل - بيروت، ط: الأولى، 1997، ت: د. عبد الرحمن صميرة، عدد الأجزاء: 3 (383-378/3)

5 تفسير روح المعاني (31/1-223/6)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م، عدد الأجزاء: 12 (171/1)

خلال ماتقدم أن اعتماد هذا الدليل القوي الذي احتواه القرآن للتدليل على نبوة خاتم المرسلين من أهم ما يتمسك به، ويحتج به ويحتج به حيث أنه دليل واضح وظاهر خاصة، وأن الله سبحانه قد نص عليه، وقوع المناقذين لغفلتهم عن أولعدهم إدراكهم له بسبب عدم تدبرهم للقرآن، ونستطيع مقابل ذلك الاحتجاج بالتناقض والاضطراب في كتب أهل الكتاب على أنها في جملتها لا يمكن أن تكون من عند الله تعالى وإنما لذلك محرفة ومبدلة.

حكمة وجود المشكل في القرآن الكريم: رسالتي عن موضوع "دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية" وفي خطتي مبحث باسمها "ما الحكمة في وجود الآيات التي توهم ظاهرها التعارض؟، لأجل هذا أن أوضح بعض الأشياء؛ لكي أنتهي الريب من ذهن القاري" التعارض جزء من مشكل ولفظ "المشكل" كلي ولفظ "التعارض جزئي" يعني المشكل أعم بنسبة التعارض؛ لأن أبين حكمة المشكل في القرآن الكريم. إن معرفة المشكل من آيات القرآن الكريم، وأوجه دفع إشكاله ذات أهمية بالغة؛ إذ أن خطابات القرآن للمسلمين تكليف لهم، فيتوجب عليهم إدراك فحواها، فهم المراد منها، حتى يتسنى لهم القيام بواجب التكليف، وهذا يفتقر إلى معرفة ما أشكل منه.

ومن هنا تتبع أهمية معرفة المشكل من القرآن، فلا غنى لأي مفسر لكتاب الله، أو مستنبط لأحكامه، عن هذا العلم؛ إذ هو إحدى الدعائم التي يقوم عليها علم التفسير، وينبغي عليها الاستنباط السليم لأحكام الشرع، كما أنه يعتبر باباً من أبواب بيان الإعجاز في القرآن الكريم، بما يكشف عنه من أسرار الإعجاز القرآني، وفصاحته، وما يفصح عنه من دقائق معانيه وتشريعاته، وما يبرزه من حقائقه العلمية المدهشة، ودروسه الحوية الباهرة، إلى جانب أن هذا العلم هو السيف المصلت، والرمح المشرع تجاه الطاعنين في كتاب الله، يقف في وجه تلك الحراب الطاعنة فيتصدى لها بالقمع والإبادة، ولشبهها بالرد والإبادة.

يضاف إلى هذا ما في معرفة المشكل من التوصل إلى استقامة النفس على الطمأنينة بآي ومعو. نزل الزين التي قد يقذف الشيطان في قلب المتأمل للآيات عند استغلاق معناها. ذلك القرآن الكريم، وإن نزل بلغة العرب، وموافقاً لأساليبهم في الخطاب، ومما هجم في التعبير عن المراد - من إيجاز وإطناب، وتصريح وتلميح، وقلب وتوكيد، واستعارة وتشبيه. ر. ه. م. وأخيراً، ونحو ذلك، إلا أنه عندما نزل على الصحابة رضوان الله عليهم، وهم أفصح العرب كانوا يعلمون ظواهره، وأحكامه، أما دقائقه فما كانت تنجلي لهم وتظهر، إلا بعد البحث والنظر، مع سؤا لهم النبي ﷺ في الأكثر من أمرهم. كسؤا لهم لما نزل قوله تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ"¹ فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ ففسره النبي ﷺ: بالشرك، واستدل عليه

بقوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ"¹ وكسؤال عائشة رضي الله عنها عن الحساب اليسير في قوله تعالى: "فَسَوْفَ يَحْشَابُ حِمْلًا يَا سَيِّدِي"² ففسره النبي صلى الله عليه وسلم "ذَاكَ عِنْدَ الْقَرْصِ". ومثل قصة عدي بن حاتم رضي الله عنه في الخيط الأبيض والأسود³ وغير ذلك مما سألوها عنه⁴. فلما تباعد الزمن عن عهد نزول القرآن، وبعد الناس عن العربية الفصحى بسبب ما شابها من الألفاظ الدخيلة المولدة، وتقاشرت المدارك والأفهام، عن معرفة أسرار اللغة وأحكامها، اتسع نطاق ما استغلق فهمه، كبرت دائرة ما استشكل وغمض منه، حيث إن الله جلّت قدرته، لم يشأ أن يجعل كتابه على درجة واحدة في البيان والظهور، بل اقتضت حكمته أن يجعل في كتابه ما هو بين لكل أحد، وما يحتاج إلى تدبر وتأمل، وإعما نظر، والثاني هو الذي يعرفه العلماء الخالص، ويستنبطه الراسخون منهم، كما بين ذلك ابن عباس رضي الله عنهما التفسير على أربعة أوجه: الأول: وجه تعرفه العرب من كلامها والثاني: تفسير لا يعذر أحد بجهالة والثالث: تفسير يعلمه العلماء والرابع: تفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره⁵.

لوجود المشكل والمشتابه في القرآن الكريم حكم ظاهرة، استخرجها أهل العلم، فمن ذلك:

أولاً: أنه كانت للعرب قبل الإسلام أسواقهم الأدبية التي تقام في المواسم، وكانوا يجتهدون في الاستعداد لها، فيأتي إليها فصحاء القبائل وأدباؤها، فيتحاورون ويتدارسون ويتناقلون، فيتناقل بعضهم ألفاظ بعض، فتتوحد بذلك كثير من ألفاظهم وأساليبهم، مما ساعد على نشأة ما يسمى بوحدة اللغة الأدبية، والتي غلبت أمام جودتها وفصاحتها لغات القبائل المحلية⁶.

والقرآن الكريم لما نزل أرسى ورسخ تلك الوحدة اللغوية، حيث نزلت آياته على ما عرف العرب من أوجه القول وأساليب الخطاب. ومن هنا نفهم أن التحدى بالقرآن الكرم لم يكن خاصاً بقبيلة دون أخرى، بل كان عاماً

¹ سورة لقمان: 13.

² سورة الانشقاق: 8.

³ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَسْبَغَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّلَاةَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) [البقرة: 187]، " (26/6)، رقم الحديث: 4509.

⁴ جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ن: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: أولى، 1422هـ-2001م، عدد الأجزاء: 26 (250/3)

⁵ تفسير الطبري (75/1)

⁶ للموجز في تاريخ البلاغة، للدكتور مازن المبارك، أستاذ بجامعة قطر، ن: دار الفكر المعاصر، ن: 2014م (ص: 36-37)

للعرب، بل ولغيرهم كذلك. وبهذا يتبين كذلك أن نزول القرآن الكريم كان وفق أساليب العرب، والتي كانت تحفل بالكثير من الوجوه البلاغة والأنواع البيانية، فهناك الاختصار والإطناب، والتقديم والتأخير، والحقيقة والمجاز، والمطلق والمقيد... الخ. فكان وقع القرآن في قلوبهم عظيماً، واستقر في قلوبهم، وتأثروا به تأثراً بالغاً، فكان الكثير منهم يسمع الآيات فتؤثر فيه حتى يدخل في الإسلام، وذلك لروعة الألفاظ ودقة المعاني، وسلامة التراكيب، بل قد وصل الأمر ببعضهم ما حكاه الله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ"¹ وأقد كان من أساليبهم للمستحسنة ما يحتاج إلى إعمال الفكر وكد الذهن للوصول إلى مرمي قائله وقصده، فنزل القرآن الكريم بهذا الأسلوب أيضاً.

كلام علي ضربين:

أحدهما: الواضح الموجز الذي لا يخفى على سامعه، ولا يحتمل غير ظاهره. والآخر: على المجاز والكنائيات، والإشارات والتلويحات، وهذا الضرب هو المستحلي عندهم، الغريب من ألفاظهم، البديع في كلامهم، فلما قرعهم الله سبحانه، فعجزهم عن المعارضة بمثل سور أو سورة منه، أنزل على الضربين ليصح العجز منهم، وتؤكد الحجج ولزومها إياهم، فكانه قال: عارضوا محمد ﷺ في أي ضربين شئتم: في الواضح أو في المشكل، ولم يقدرُوا عليه، ولو أنزله كله واضحاً محكماً بحيث لا يخفى على أحد سمعه منه لوجد المشركون مقالا، وقالوا: ما باله لم ينزل بالضرب المستحسن عندنا والمستحلي في طباعنا؛ لأن ما وقع فيه الإشارة والكناية والتشبيه والتعريض كان أفصح وأعرَب².

ثانياً: أنه لو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت الحنة، وماتت الخواطر. فإنه مع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة، فكان في ذلك حث

1 سورة فصلت: 26.

2 مقدمتان في علوم القرآن (ص: 177) من المقدمة الأولى: مقدمة كتاب المباني لنظم المعاني، لأبي محمد حامد بن جعفر بن بسطام والمترجم في "غاية النهاية" (202/1) وإنما جزمتم بأن مؤلف هذه المقدمة هو من ذكرته - حيث كان مؤلف المقدمة غير معروف سابقاً - بعد قراءتي للمقال الممتع الجميل الذي كتبه الدكتور غانم قدوري الحمد بعنوان "مؤلف التفسير المسمي" كتاب المباني لنظم المعاني ونشره في: مجلة الرسالة الإسلامية ببغداد، في العددين 164-165 من صفحة 243 إلى 255، سنة 1404هـ، حيث أثبت أن للمؤلف لهذه المقدمة، والتي ظلت فترة غير قليلة من الزمن لا يعرف مؤلفها، إنما هو: أبو محمد حامد بن أحمد جعفر بن بسطام، والمقال جدير بالمطالعة.

للعلماء على النظر والموجب للعلم بغوامضه، والبحث عن دقائقه¹. فإن استدعاء المهتم لمعرفة ذلك من أعظم القرب².

ثالثاً: ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات إذ لو كان القرآن كله محكماً لا يحتاج إلى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره وإن كان مما لا يمكن علمه³.

رابعاً: ابتلاء الله لعباده، حتى يميز الخبيث من الطيب، وصادق الإيمان من المنافق، فإن من يحاول التشكيل في القرآن، وإظهار تعارض آياته فلاشك في نقاقه وإلخاد، ولذلك سمي الإمام أحمد كتابه "الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن" وسمي محمد المستير المعروف بقطرب كتابه "الرد على الملحدين في متشابه القرآن".

خامساً: إظهار إعجاز القرآن ؛ لأن البحث في المشكل يظهر بلاغة القرآن وإحكامه واتساق معانيه، وروعة ألفاظه⁴.

سادساً: البحث في المشكل يوجب بذل المزيد من الجهد والمشقة للوصول إلى ما يدفع الإشكال، مما يحصل معه المزيد من الثواب⁵.

سابعاً: البحث في المشكل يوجب على الباحث تحصيل علوم شرعية كثيرة من الحديث والفقه واللغة والنحو وغيرها، وذلك لاستعمالها في دفع المشكل، فكان وجود المشكل سبباً في تحصيل هذه العلوم⁶.

ثامناً: تربية المسلم على التواضع ولين الجانب، فإنه عندما يرى غيره يعلم ما لا يعلمه هو، فإن هذا يدعوه إلى التعلم والاعتراف بالعجز، وفي هذا يقول عمرو بن مرة رضي الله عنه: ما مررت بآية من كتاب الله لأعرفها إلا أحزنتي ؛ لأني سمعت الله يقول: "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ"¹.

1 تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص: 86)

2 الإتيان في علوم القرآن (35/3)

3 الإتيان في علوم القرآن (35/3)

4 متاعل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، ن: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة، عدد الأجزاء: 2 (129-297)

5 مفاتيح الغيب، المعروف بتفسير الرازي، للفخر الرازي، لإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ن: دار الكتب العلمية-بيروت

1421 هـ-2000 م، ط: أولى، عدد الأجزاء: 32 (149/7)

6 تفسير الرازي (149/7)

تاسعاً: البحث في المشكل يدعوا إلى إعمال العقل والفكر والنظر في الأدلة، مما يدفع عن العالم ظلمة التقليد².

1 سورة العنكبوت: 43.

2 تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، ن: مكتبة نزار مصطفى الباز-المملكة العربية السعودية، ط: ثالثة-1419هـ (3064/9)

الفصل الثاني: أسباب توهم التعارض والتناقض:

وهو يشتمل على التمهيد وخمسة مباحث:

التمهيد:

أسباب وجود موهم الاختلاف والتناقض في القرآن:

إن الوهم ناتج عن عدم إدراك العلاقة بين هذه الأسباب أو لعدم إدراك شروط حصول التناقض أو لعدم تدبر القرآن أول للجهل بمبادئ اللغة، فيحسب الوهم وجود تعارض بين بعض النصوص المرتبطة ببعضها أو المفسرة لبعضها لعدم فهم المراد من الآيات، ولقلة الاطلاع على الآثار ودراساتها، ولذلك ينبغي أن يدرك أسباب وجود الإيهام وأن يدرك أسباب وجود التناقض حتى لا يقع في الوهم والجهل وكتاب الله تعالى برئ منه، فالواجب على كل مسلم وكل عاقل أن يدرك أن كتاب الله مؤتلف غير مختلف "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"¹ فالقرآن هو كتاب الله الخالد المنزل لرحمة العالمين، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ولسعادة الدارين، كما أنزل لجمع العمل وتوحيد القلوب والصفوف، والتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا"²

وأستطيع أن أجمل الأسباب التي هي محل توهم الاختلاف في القرآن بتسعة أسباب وهي: الأول: النسخ

الثاني: الإطلاق والتقييد

الثالث: العموم والخصوص

الرابع: البيان والإجمال

الخامس: اختلاف الحكم

السادس: اختلاف الوقت

السابع: اختلاف المحل

الثامن: اختلاف الموضوع

التاسع: تعارض العمومين

1 سورة فصلت: 42.

2 سورة النساء: 59.

منهج الأصوليين في طرق دفع التعارض:

إن الشريعة الإسلامية الغراء لم تدع التعارض بين الأدلة، وإن كان ظاهرياً، دون حل بل جاءت بقواعد ثابتة وراسخة لحل أي تعارض قد يطرأ على فهم الآيات، والأحاديث النبوية. وقد اتفق العلماء على أن طرق حل التعارض أربع هي (النسخ، والجمع، الترجيح، والتساقط) ولكن اختلف العلماء في تقديم هذه الطرق أو تأخير بعضها على بعض، فمنهم من قدم النسخ، ومنهم من قدم الجمع: وبناء على ذلك ينقسم هذا إلى ثلاثة فروع:

الفرع الأول: طريقة جمهور الحنفية في حل التعارض.

الفرع الثاني: طريقة بعض الحنفية في حل التعارض.

الفرع الثالث: طريقة الجمهور في حل التعارض.

الفرع الأول: طريقة جمهور الحنفية لم رأي في حل التعارض، وبعض الحنفية لم رأي آخر في حل التعارض، ففي هذا الفرع بينت رأي جمهور الحنفية في حل التعارض، والفرع الذي يليه أبين بعض الحنفية في حل التعارض بمشيئة الله.

إن منهج جمهور الحنفية في دفع التعارض الواقع بين النصوص يتمثل في أربع طرق على الترتيب التالي:

الأولى: النسخ: إذا تعارض نصان شرعيان، فأول ما يبحث عند الحنفية عن التاريخ، فإن علم التاريخ، فيكون الدليل المتأخر ناسخ للدليل المتقدم، وإن لم يعلم التاريخ تنتقل إلى الطريقة الثانية من طرق دفع التعارض عند الحنفية، وهي الترجيح.

الثانية: الترجيح: يلجأ جمهور الحنفية إذا لم يعلم التاريخ إلى الترجيح¹، وذلك بترجيح أحد الدليلين على الآخر إن أمكن الترجيح بأحد طرق الترجيح.

الثالثة: الجمع والتوفيق: إذا تعذر النسخ والترجيح عند جمهور الحنفية فيلجأون إلى الجمع والتوفيق بين الأدلة، فإن لم يمكن الجمع بين الأدلة فعندئذ يلجأون إلى التساقط².

1 الترجيح مصدر "رجح" والراء والجيم والحاء أصل واحد، تدور معانيه على: التميل والتغليب، يقال: رجحت إحدى الكتفين، أي: مالت، ويقال: أرجح للميزان، إذا أقله حتى مال، ورجح الشيء بيده، أي وزنه ونظر ما ثقله (انظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، ن: دار الفكر، ط: 1399هـ-1979م، عدد الأجزاء: 6 (445/2) واصطلاحاً: تقوية أحد الطريقتين على الآخر ليعلم الأقوى فيعمل به وي طرح الآخر، انظر: المحصول، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، ت: الدكتور طه جابر فياض العلواني، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، 1418هـ-1997م (397/5)

2 أصول السرخسي (13/2)

الرابعة: التساقط: التساقط: هو ترك العمل بكلا الدليلين المتعارضين، والعمل بما دونهما من الأدلة، وذلك لتساوي الدليلين، وعدم وجود مزية لأحد الدليلين على الآخر.

الفرع الثاني: طريقة بعض الحنفية: نقل هذه الطريقة الأستاذ عبد اللطيف البرزنجي في رسالته هو تقديم النسخ أولاً إن علم التاريخ وهم يتفقون في ذلك مع جمهور الحنفية ثم إن لم يعلم التاريخ، ولم نستطع معرفة النسخ من المنسوخ، فنلجأ إلى محاولة الجمع بين الأدلة، ولو من وجه دون وجه؛ لأن إعمال الدليلين أولى من العمل بأحدهما وترك الآخر.

وهم بذلك قد خالفوا جمهور الحنفية، فجمهور الحنفية يقدمون الترجيح على الجمع، فإن لم يستطع هذا الفريق الجمع بين الدليلين يلجأون عندئذ إلى الترجيح، وهو إعمال أحد الدليلين، وإسقاط الآخر، فإن تعذر الترجيح لعدم وجود مزية لأحد الدليلين على الآخر، فعند ذلك تتساقط الأدلة، نبحت عن دليل أدني منهما رتبة، فهؤلاء الفريق متفقون مع باقي العلماء على أن التساقط هو آخر طريق للتخلص من التعارض، فتكون طريقتهم كما يلي: النسخ والجمع، والترجيح، والتساقط¹.

الفرع الثالث: منهج الجمهور: تتبع الجمهور في دفع التعارض أربع طرق، وهي كالآتي:

الأولى: الجمع والتوفيق: الجمع والتوفيق أول الطرق التي يتبعها الجمهور لحل التعارض، فإن أمكن الجمع بوجه مقبول بين المتعارضات كان الجمع أولى من غيره من طرق حل التعارض، وذلك لأن العمل بالدليلين معا أولى من العمل بدليل واحد، وإلغاء الدليل الآخر.

الثانية: النسخ: إذا تعذر الجمع بين الدليلين، وعلم تاريخ ورود الأدلة، وكان أحد الدليلين متأخراً عن الآخر، كان المتأخر ناسخاً للمتقدم.

الثالثة: الترجيح: إن تعذر الجمع بين الأدلة، ولم يعرف النسخ من المنسوخ، فحينئذ ينتقل الجمهور إلى الترجيح بين المتعارضات².

الرابعة: التساقط: إذا تعذرت الطرق السابقة من طرق حل التعارض، فإن الدليلين يتساقطان، أي لا يعمل بأي من الدليلين ونأخذ بدليل دونهما في الرتبة¹.

1 التعارض والترجيح (177/1)

2 الإشارة في أصول الفقه، لأبي الوليد سليمان بن خلف الأندلسي، ت، محمد حسن، ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: أولى، 1424هـ-2003م، عدد الأجزاء: 1 (ص: 62)

قانون العمل عند تعارض الآيات:

- وضع العلماء قانونا يعمل به عند تعارض آيتين من كتاب الله أو أكثر هو:
- 1- الجمع بين مدلولات النصوص والتوفيق بينها ما أمكن ذلك.
 - 2- فإن تعذر الجمع فالنسخ إن أمكن ذلك وعلم المتقدم والمتأخر.
 - 3- أن يكون أحد الظاهرين مستقلا بحكمه والآخر مقتضيا لفظا يزداد عليه، فيقدم المستقل بنفسه عند المعارضة والترتيب.
 - 4- أن يكون كل واحد من العمومين محمولا على ما قصد به في الظاهر عند الاجتهاد، فيقدم ذلك على تخصيص كل واحد منهما من المقصود بالآخر.
 - 5- أن يكون تخصيص أحد الاستعمالين على لفظ تعلق بمعناه، والآخر باسمه.
 - 6- ترجيح ما يعلم بالخطاب ضرورة على ما يعلم منه ظاهرا².
- ويضاف إلى هذا إن كان التعارض بين القرآن وحديث ظني الثبوت فيقدم قطعي الثبوت على الظني، أما التعارض الحقيقي بين قطعين فهذا لا يوجد.

1 نهاية السؤل شرح منهاج الوصول المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 772هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى 1420هـ - 1999م (219-215/3)

2 البرهان في علوم القرآن (50/2).

المبحث الأول: عدم إلمام بعلم الناسخ والمنسوخ في القرآن.

النسخ: إن معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه من أهم مباحث علوم القرآن التي بدونها لا يستطيع أحد أن يفسر كلام الله تعالى وهذا الفن العظيم من تتمات الاجتهاد، إذا الركن الأعظم في باب الاجتهاد معرفة النقل. والنقل بقسميه الكتاب والسنة قد حصل فيه النسخ لحكمة أرادها الله سبحانه مما فيه مصلحة العباد، حيث أن المصلحة تنصير في الناسخ بعدم زالت عن المنسوخ. وفي معرفة الناسخ والمنسوخ معرفة أول الأمرين وآخرها، ففيه الاهتداء إلى صحيح الأحكام خصوصا إذا ما وجدت أدلة ظاهرها التعارض فبمعرفة سابقها من لاحقها يندفع التعارض، ولهذا كان السلف الصالح يعنون بهذه الناحية، ويلفتون أنظار الناس إليها.

أخرج الحمذاني¹ في كتابه، والنحاس² في الناسخ والمنسوخ: عن علي عليه السلام "أنه مر على قاض فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ قال: لا، قال: هلكت وأهلك³."

النسخ لغة: النون والسين والحاء (ن س خ) أصل واحد، إلا أنه مختلف في قياسه علي قولين، كما ذكر ابن فارس⁴، والمعنيان اللذان يطلق بإزائهما النسخ هما⁵.

المعنى الأول: رفع الشيء وإزالته وهو على ضربين:

1 هو أبو بكر محمد بن موسى ابن حازم، المعروف بالحازمي، أصله من همدان، ووفاته ببغداد، ولادته و وفاته (548 - 584 هـ) أنظر: وفيات الأعيان (80/3)

2 هو أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، مفسر، أديب. مولده ووفاته (000 - 338 هـ) بمصر. وصنف (تفسير القرآن) و (إعراب القرآن) و (ناسخ القرآن ومنسوخه) أنظر: فوات الوفيات (294/3)

3 الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار، لحمد بن موسى الحازمي الحمذاني، زين الدين، ن: دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الدكن، الطبعة: الثانية، 1359 هـ (ص:4)، الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338 هـ)، ت: د. محمد عبد السلام محمد، ن: مكتبة الفلاح - الكويت، ط: أولى، 1408، عدد الأجزاء: 1 (ص:47)

4 هو أحمد بن فارس بن زكرياء القرويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب، أصله من قزوين، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، ولادته و وفاته (329 - 395 هـ)، أنظر: الأنباري (ص:392)، والنيمة (3: 214)، وآداب اللغة (2: 309)

5 معجم مقاييس اللغة (424/5)

أ- رفع الشيء وإثبات غيره مكانه يقال: نسخت الشمس الظل، إذا رفعت ظل الغداة وخلفه ضروؤها ومنه: نسخ الشيب الشباب، ومن هذا المعنى جاء قوله تعالى: "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"¹.

ب- رفع الشيء دون أن يخلقه أمر غيره يقال: نسخت الريح الأمر إذا أزالته فلم يبق منها عوض ولا حلت الريح محل الأثر بل زال جميعا ومن هذا المعنى قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"².

المعنى الثاني: نقل الشيء وتحويله من مكان إلى مكان مع بقاء الأول بتصوير مثله في محل آخر ومنه نسخ الكتاب بنقل صورته إلى كتاب آخر ومن هذا المعنى قوله تعالى: "إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"³. وربما أطلق النسخ بمعنى نقل الشيء مع عدم بقاء الأول فيقال: النسخ أن تحول ما في الخلية من النحل والعسل إلى أخرى ومنه تناسخ المواريث لانتقالها من قوم إلى قوم⁴.

فإن النسخ في اللغة موضوع بإزاء معنيين:

أحدهما: الزوال على جهة الانعدام وقد يكون إلى دليل وإلى غير بدل.

والآخر: الزوال على جهة الانتقال.

وقد اختلف في إطلاق النسخ على المعنيين المذكورين: أهو حقيقة في كليهما "بالاشتراك" أم "بمجاز" فيها أم "لحقيقة" في أحدهما مجاز في الآخر.

تعريف النسخ اصطلاحاً: هناك عدة تعريفات للأصوليين متقاربة المعنى وبعضها أدق من بعض لأجل هذا أحببت أن أبين التعريفات للنسخ:

الأول: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه⁵.

الثاني: رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متراخ عنه⁶.

الثالث: بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه¹.

1 سورة البقرة: 106.

2 سورة الحج: 52.

3 سورة المجاثية: 29.

4 لسان العرب (61/3)

5 كشف الأسرار (156-155/3)

6 روضة الناظر وجنة المناظر (219/1)

ثبوت النسخ:

أولاً: إذا كان هناك نص من الشارع على أن هذا ناسخ وهذا منسوخ.

ثانياً: إذا دل على ذلك الإجماع، والإجمال لا ينسخ ولا ينسخ به وإنما يدل على النسخ.

ثالثاً: أن يكون هناك تعارض بين النصين بحيث لا يستطاع العمل بكليهما، أم إذا استطعنا الجمع والتوفيق بين مدلولين النصين والعمل بهما معا فهو المقدم والأولى لأن إعمال الدليلين أولى من إعمال أحدهما والأصل في الأحكام بقاؤها وعدم نسخها، وإن لم يمكن الجمع ننظر أيهما المتقدم وأيها المتأخر في الزمان فيكون المتأخر ناسخاً لحكم المتقدم².

أمور مهمة للباحث:

أولها: أن الناسخ هو الشارع كما يدل قوله تعالى: "مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَمْ تُلْغَمُ أَنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"³.

ثانيها: أن النسخ لا يقع إلا في الأحكام الشرعية التي هي ليست من الكليات، قال الإمام الشاطبي رحمه الله "القواعد الكلية من الضروريات والحاجيات والتحسينيات لم يقع فيها نسخ، وإنما وقع في أمور جزئية بدليل الاستقراء، فإن كل ما يعود بالحفظ على الأمور الخمسة ثابت. والأمور الخمسة التي قصدها الشاطبي رحمه الله هي الضروريات التي جاءت الشريعة بحفظها لسعادة البشر في الدارين، وهي حفظ الدين والنفس، والعرض والعقل والمال، فما يعود على هذه الأمور بالحفظ والعناية لا ينسخ، لأنها من مصالح العباد، فموضوع النسخ هو ما كان من فروع العبادات والمعاملات، أما غير هذه الفروع من أمهات العقائد والأخلاق وأصول العبادات والمعاملات، ومدلولات الأخبار المحضة فلا نسخ فيها ولذلك فإن الأديان الإلهية متحدة في العقائد وأمهات الأخلاق وأصول العبادات والمعاملات"⁴، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ"⁵.

1 نهاية السؤل شرح منهاج الوصول (548/2)

2 الإتيان في علوم القرآن (24/2)

3 سورة البقرة: آية: 106.

4 الموافقات (79/3)

5 سورة الشورى: 13.

ثالثها: هناك كثير من النصوص ذكرت في النسخ والمنسوخ وهي ليست كذلك وقد نبه علي ذلك بعض المحققين ومنهم الإمام الزركشي في البرهان حيث قال: ما أمر به لسبب ثم يزول السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر وبالمغفرة للذين يرجون لقاء الله ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها ثم نسخه إيجاب لذلك وهذا ليس بنسخ في الحقيقة وإنما هو نسيء كما قال تعالى: "أو نفستهما" فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الأمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف وليست كذلك بل هي من المنسأ بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعله توجب ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ "إنما النسخ الإزالة" حتى لا يجوز امتثاله أبداً وإلى هذا "أشار الشافعي في الرسالة" إلى النهي عن ادخار لحوم الأضاحي من أجل الرأفة¹ ثم ورد الإذن فيه فلم يجعله منسوخاً بل من باب زوال الحكم لزوال علته حتى لو فاجأ أهل ناحية جماعة مضطرون تعلق بأهلها النهي ومن هذا قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَمِيتَنِيكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"² الآية كان ذلك في ابتداء الأمر فلما قوي الحال وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاتلة عليه ثم لو فرض وقوع الضعف كما أخبر النبي ﷺ في قوله: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ"³ عاد الحكم وهو سبحانه وتعالى حكيم أنزل على نبيه ﷺ حين ضعفه ما يليق بتلك الحال رأفةً بمن تبعه ورحمة إذ لو وجب لأورث حرجاً ومشقة فلما أعز الله الإسلام وأظهره ونصره أنزل عليه من الخطاب ما يكافئ تلك الحالة من مطالبة الكفار بالإسلام أو بأداء الجزية إن كانوا أهل كتاب أو الإسلام أو القتل إن لم يكونوا أهل كتاب ويعود هذان الحكمان أعني المسألة عند الضعف والمسايفة عند القوة يعود سببهما وليس حكم المسايفة ناسخاً لحكم المسألة بل كل منهما يجب امتثاله في وقته⁴.

الأمر الرابع: ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله من أن الكتاب لا ينسخه إلا الكتاب حيث قال في رسالته: وأنزل عليهم الكتاب تبييناً لكل شيء، وهُدًى ورحمة، وفرض فيه فرائض أثبتها، وأخرى نسختها، رحمةً لحلقه، بالتخفيف عنهم، وبالتوسعة عليهم، زيادة فيما ابتدأهم به من نعمه. وأثابهم على الانتهاء إلى ما أثبت عليهم:

1 الرسالة (ص: 34)

2 سورة المائدة: 105.

3 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدأ الإسلام (130/1) رقم الحديث: 145.

4 أنظر: البرهان في علوم القرآن (2/24-43)

جَنَّتْهُ، والنجاة من عذابه؛ فَعَمَّتْهُمْ رَحْمَتُهُ فيما أثبت ونسخ، فله الحمد على نعمه. وأبان الله لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب، وأن السنة لا ناسخة للكتاب، وإنما هي تَبَعَ للكتاب، يَمَثِلُ ما نَزَلَ نصاً، ومفتريةً معنى ما أنزل الله منه جُحْلاً. قال الله: "وَإِذَا قُلْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّمَا يَنْسِخُ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلُهُ. قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي؛ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ. إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"¹ فأخبر الله أنه فرضَ على نبيه اتباعَ ما يوْحَى إليه، ولم يجعل له تبديله من تِلْقَاءِ نفسه. وفي قوله: (مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي²)، بيانٌ ما وصفتُ، من أنه لا يَنْسَخُ كتابَ الله إلا بكتابه، كما كان المُتَدَيءُ لفرضه، فهو المزيلُ المُنْبَتِ لما شاء منه، جل ثناؤه، ولا يكون ذلك لأحد من خلقه.

وكذلك قال: "يَتَّبِعُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُفِئُوا، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ"³ وقد قال بعضُ أهل العلم: في هذه الآية - والله أعلم - دَلالةٌ على أن الله جعل لرسوله أَنْ يَقُولَ مِنْ تِلْقَاءِ نفسه بتوقيفه فيما لم يُنَزَّلْ فيه كتاباً، والله أعلم. وقيل في قوله: "يَتَّبِعُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ" يحو فرض ما يشاء، ويثبت فرض ما يشاء، وهذا يُشبه ما قيل، والله أعلم. وفي كتاب الله دَلالةٌ عليه، قال الله: "مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا. أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"⁴. فأخبر الله أن نسخ القرآن، وتأخير إنزاله لا يكون إلا بقرآن مثله⁵.

الأمر الخامس: لا بد من الإشارة إلى أن إطلاق لفظ النسخ عند السلف أعم منه عند الخلف، فلا بد من فهم ذلك عند دراسة موضوع النسخ، ولئلا نخلط النسخ بغيره مثل التخصيص ونحوه. قال الشاطبي "وذلك أن الذي يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين؛ فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخاً، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخاً، وعلى بيان المبهم والمجمل نسخاً، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخاً؛ لأن جميع ذلك مشترك في معنى واحداً، وهو أن النسخ في الاصطلاح المتأخر يقتضي أن الأمر المتقدم غير مراد في التكليف، وإنما المراد ما جيء به آخراً؛ فالأول غير معمول به، والثاني هو المعمول به. وهذا المعنى جارٍ في تقييد المطلق، فإن المطلق متروك الظاهر مع مقيدته؛ فلا إعمال له في إطلاقه، بل المعمول هو المقيد، فكان المطلق لم يفد مع مقيدته شيئاً؛ فصار مثل الناسخ والمنسوخ، وكذلك العام مع الخاص؛ إذ كان ظاهر العام يقتضي شمول الحكم لجميع ما يتناولُه اللفظ، فلما جاء الخاص

1 سورة يونس: 15.

2 سورة يونس: 15.

3 سورة الرعد: 39.

4 سورة البقرة: 106.

5 الرسالة (ص: 106).

أخرج حكم ظاهر العام عن الاعتبار؛ فأشبه الناسخ والمنسوخ؛ إلا أن اللفظ العام لم يهمل مدلوله جملة، وإنما أهمل منه ما دل عليه الخاص وبقي السائر على الحكم الأول، والمبين مع المبهم كالمقيد مع المطلق، فلما كان كذلك؛ استهل إطلاق لفظ النسخ في جملة هذه المعاني لرجوعها إلى شيء واحد¹.

الأمر السادس: إن النسخ لا يلزم منه أن الله قد انكشف له ما لم يكن عالماً به، فإن الله تعالى يعلم أنه يأمرهم بأمر مطلق ويديم عليهم التكليف إلى وقت معلوم يقطع فيه التكليف بالنسخ. قال ابن قدامة: العقل فلا يمتنع أن يكون الشيء مصلحة في زمان دون زمان، ولا يُغَدَّ في أن الله -تعالى- يعلم مصلحة عباده في أن يأمرهم بأمر مطلق حتى يستعدوا له فيثابوا، ويمتنعوا -بسبب العزم عليه- عن معاص وشهوات، ثم يخففه عنهم².

شروط النسخ:

إن للنسخ عدة شروط لا يتحقق إلا بها وهي تسعة:

الأول: أن يكون الحكم في الناسخ والمنسوخ متناقضاً، بحيث لا يمكن العمل بهما جميعاً.

الثاني: أن يكون الحكم المنسوخ ثابتاً قبل ثبوت حكم الناسخ فذلك يقع بطريقتين:

أحدهما: من جهة النطق، كقوله تعالى: "الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ"³

وثانيهما: إن يعلم بطريق التاريخ، وهو أن ينقل "بالرواية" بأن يكون الحكم الأول ثبوته متقدماً على الآخر فمضى ورد الحكمان مختلفين على وجه لا يمكن العمل بأحدهما إلا بترك الآخر، ولم يثبت تقديم أحدهما على صاحبه بأحد الطريقتين امتنع ادعاء النسخ في أحدهما.

الثالث: أن يكون الحكم المنسوخ مشروعاً "فأما إن كان ثابتاً بالعادة والتعارف لم يكن رافعة ناسخاً، بل يكون ابتداء شرع.

الرابع: أن يكون ثبوت الحكم الناسخ مشروعاً كثبوت المنسوخ، فأما ما ليس بمشروع بطريق النقل، فلا يجوز أن يكون ناسخاً للمنقول.

الخامس: أن يكون منفصلاً من المنسوخ، منقطعاً منه، فإن كان متصلاً به غير منقطع عنه، لم يكن ناسخاً لما قبله مما هو متصل به.

1 الموافقات (344/3-345)

2 روضة الناظر وجنة المناظر (229/1)

3 سورة الأنفال: 66.

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (65)

السادس: أن يكون غير متعلق بوقت معلوم، لا يعلم انتهاء وقت فرضية إلا بنص ثان يبين أن فرض الأول إلى الوقت الذي فرض فيه الثاني.

السابع: أن يكون الناسخ متراخيا عن المنسوخ، فعلى هذا يكون الحكم الثاني معتبرا وناسخا فإن كان متصلا بالأول كالشرط والصفة والاستثناء لا يسمى نسخا، بل يسمى تخصيصا.

الثامن: أن يكون النسخ واقعا في الأمور التي مما يجوز النسخ فيها كالأحكام الشرعية والمسائل الفقهية، فلا يدخل النسخ في الاخبار والقصص، ولا في المسائل العقيدية، كالتوحيد وما يناقضه وأمر الآخرة والمعاد، لأنها حقائق ثابتة لا تقبل التغيير والتبديل.

التاسع: أن يكون الطريق الذي ثبت به الناسخ مثل الطريق الذي ثبت به المنسوخ أو أقوى منه، فأما إن كان دونه فلا يجوز أن يكون الأضعف ناسخا للأقوى¹.

1 نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومسوخه، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت: محمد أشرف علي المليباري، ن: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (ص: 137)، والاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ في الحديث (6/1)، وإرشاد الفحول، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت: محمد سعيد البدري أبو مصعب، ن: دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة النشر 1412هـ-1992 (55/2) وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان، عام النشر: 1415هـ-1995 (451/3).

المبحث الثاني: اتفاق الموضوع مع اختلاف أمكنته وأزمته في الآيات:

إن منشأ ظهور التعارض بين الأدلة الشرعية تدافع الحكمين المختلفين الواردين في الظاهر على محل واحد في وقت واحد وحال واحد. وذلك لاستحالة أن يحكم على الشيء الواحد بحكمين متعارضين في وقت واحد وحال واحد. ولدفع هذا التعارض يعمل الناظر في هذه الأدلة على نفي الوحدة بين الدليلين المتعارضين في أحد هذه الأمور الثلاثة: المحل والزمن والحال ؛ لأنه متى ثبت اختلاف الدليلين ذوي الحكمين المختلفين في المحل أو الزمن أو الحال، انتفى التعارض وزال الإشكال ؛ لأن الحكمين المختلفين حينئذ ينزلان على محلين مختلفين أو زمنين مختلفين أو حالين مختلفين، ومن ثم كان من أوجه الجمع بين المتعارضين: الجمع باختلاف المحل. وهذا لأن التعارض إنما يقع بتدافع الحكمين، فإذا كان الثابت بأحدهما غير الثابت بالآخر لا يتحقق التدافع، فلا يثبت التعارض وهذا راجع إلى انتفاء الشرط في الحقيقة ؛ إذ الاختلاف في الحكم مما يحقق الاختلاف في المحل ضرورة¹.

معنى القاعدة: الجمع باختلاف المحل، معناه: الجمع بين النصين المتعارضين ببيان اختلاف محليهما، أي ببيان أن حكم أحدهما ينزل على محل غير محل الحكم الآخر، فيكون إثبات اختلاف المحل تبعاً لاختلاف الحكم، وبه يتم دفع التعارض، والعمل بالنصين، كل في محله.

مجال تطبيق القاعدة: يتم تطبيق هذه القاعدة بين النصين العامين عموماً مطلقاً أو الخاصين خصوصاً مطلقاً؛ لأنه إذا كان أحدهما عاماً والآخر خاصاً. فإذا كان النصان عامين: فإنه يجمع بينهما باختلاف المحل بأن يحمل أحدهما على بعض أفراده ويحمل الآخر على بعض آخر من أفراده أيضاً.

كما لو قال: اقتلوا المشركين، ولا تقتلوا المشركين، فيحمل الأول على الحريين، والآخر على الذميين².

أ- وإذا كان النصان خاصين: فإنه يجمع بينهما باختلاف المحل، بأن يحمل أحدهما على قيد والآخر على قيد غيره.

كما لو قال: اقتل مشركاً، ولا تقتل مشركاً، فيقال في الأول: إذا لم يكن ذمياً، وفي الثاني إذا كان ذمياً³.

1 كشف الأسرار لشرح المنار (95/2)

2 تيسير التحرير، لمحمد أمين بن محمود المعروف بأمير بادشاه الحنفى، ن: مصطفى البابي الحلبي - مصر (1351 هـ - 1932 م)، وصورته: دار الكتب العلمية-بيروت (1403 هـ-1983 م)، عدد الأجزاء: 4 (138/3)

3 تيسير التحرير (138/3)

القاعدة عند الأصوليين: هذه القاعدة من أعظم قواعد الجمع بين المتعارضين، وأشهرها عند الأصوليين، فإنهم كثيراً ما يعبرون بالجمع ببيان اختلاف محلي الحكمين المتعارضين، وربما أدرجوا فيه أنواعاً أخرى من أنواع الجمع بين المتعارضين التي يأتي ذكرها مستقلاً.

وبالرغم من وجود وجوه أخرى للجمع بين المتعارضين سوى الجمع باختلاف المحل، إلا أن الأصوليين لم يعنوا بما عنايتهم بهذا الوجه خاصة، وهذا مبني على تنصيصهم على أن اتحاد المحل من شروط تحقق التعارض، هو كما قال التفتازاني: "زيادة توضيح وتنصيص على ما هو ملاك الأمر في باب التناقض"¹.

اختلاف الحال: وهو أن يرد من الشارع نصان ظاهرهما التعارض بينما الواقع أن كلا منهما يدل على حكم يختلف عن الآخر لاختلاف الحال والظرف الواقع فيه المكلف يعرف ذلك من السياق ودلالة النصوص، ولا يخفى اختلاف الحكم بالنسبة للمسافر مثلاً: في قصره للصلاة، وجاز أفطاره في رمضان، ومسحه على الخف ثلاثة أيام بلياليها خلافاً للمقيم وغير ذلك من الأحكام التي جاءت بها الشريعة المطهرة رفعا للحرج وتيسيراً على الأمة، فاختلاف الحكم لاختلاف الحال في مثل هذه الظروف وغيرها لا يعني أن هناك اختلافاً أو تناقضاً في النصوص، بل هي في حالتها هذه تصور لنا روعة التنزيل وانسجامه في أحكامه الملائمة لطبيعة البشر وتقلب أحوالهم واختلاف ظروفهم ولا عجب فإن هذه الشريعة لم تأت إلا لإسعاد البشر في الدارين، فهي المصلح الوحيد لحياة الناس وفي اتباعها الفلاح والنصر والغلبة وفي مخالفتها ذل الدارين، كما قال الله تعالى: "وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى"².

ومن أمثلة اختلاف الحال:

ما ذكره الله سبحانه في كتابه الحكيم من اختلاف أحوال القيامة وما فيه من الشدة وتنوع أشكال الحساب، وقد صور لنا القرآن مناظر مختلفة لأهل القيامة يرجع اختلافها لاختلاف حالهم، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى في حق الكفار وأهل الضلال يصف أحوالهم في المحشر كما قال الله تعالى: "فَهُطُيْمٌ مُّقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءً"³ ومرة قال الله تعالى: "وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَنُكْمًا وَصُمًّا"⁴ ومرة قال الله تعالى: "أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"¹ يعني ما

1 شرح التلويع على التوضيح، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، ن: مكتبة صبيح بمصر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ
عدد الأجزاء: 2 (205/2)

2 سورة طه: 124.

3 سورة إبراهيم: 43.

4 سورة الإسراء: 97.

أسمعهم وأبصرهم، إلى غير ذلك من الآيات التي تتكلم عن حال الكفار من ناحية النظر والسمع يوم القيامة، فمرة يصف بصرهم بأنه مرفوع ومرة هم خاشعون من اطل، ومرة هم يسارقون النظر ينظرون من طرف خفي، ومرة هم عمي لا يرون، فمرة اختلاف هيباتهم وصفة حشرهم هونظرا لاختلاف حالهم وطبيعة حساسهم وما يريد الله تعالى بهم، فهم عندما يخرجون من قبورهم يكونون رافعي رؤوسهم من الخوف وهو المفاجئة، وفي عرصات القيامة أيضا يكونون في أحوال مختلفة فمرة يرون كتبهم وهذا يقتضي أن يكونوا في غاية الإبصار حتى يروا بأعينهم ما قدموه لأنفسهم، وكذلك حتى يروا أحوال القيامة، كما قال تعالى: "وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا"²، فهناك ينظرون من طرف خفي يسارقون النظر أعادنا الله من ذلك وكوهم يحشرون عميا كما نصت عليه آيات أخرى إنما هو في نهاية المطاف عندما يلقون في جهنم لتجتمع عليهم ظلمة جهنم وظلمة العمي ولأمانع أن يحشروا في أول الأمر كذلك ثم يكشف الله عن أسماهم وأبصارهم ليزدادوا حسرة بما يرونه من كرامة المؤمنين عند ربهم وخزي الكافرين ثم يعيدهم بعد ذلك عميا وصما وبكما بعد دخولهم جهنم ليكون تحبطهم فيها أنكي لهم وأبلغ في عذابهم.

وبهذا يتبين لنا جليا كيف أن الصور المختلفة لأحوال أهل المحشر تبين لنا مجموعها حال الكفار في مواطن القيامة المختلفة في المحاسبة والمجازاة وصنوف العذاب اللاحق بهم فالآيات في غاية التوافق والانسجام، وقد وزعت في عدة مواطن من القرآن وفي كل موطن ذكر لنا موقفا ومشهدا يصور حالة معينة حتى يكون قارئ القرآن دائم التذكر لذلك اليوم العصيب ومستعدا له بالعمل الصالح والله تعالى أعلم وهو ولي التوفيق.

اختلاف الموضوع:

فقد يوجد في لقرآن الكريم نصان يوههم ظاهرها التعارض أو الاختلاف، ولكن عند التدبر والتدقيق ومعرفة سياق النص وسبب نزوله والمعنى المراد نجد إن الموضوع الوارد فيه أحد النصين يختلف عن الآخر. ولهذا أمثلة كثيرة في القرآن الكريم:

منها المثال التالي: قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"³ هذه الآية يوههم ظاهرها الاختلاف مع آية أخرى تأمر بالتقوي أيضا؛ لكن حسب القدرة والاستطاعة، ولم تقيد بحق التقوي، وهي قوله تعالى: "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ

1 سورة مريم: 38.

2 سورة الكهف: 53.

3 سورة آل عمران: 102.

قَالُوا لَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ¹؛ لذلك ادعى بعضهم أن الثانية ناسخة للأولى، قال بالنسخ: سعيد بن جبير والربيع بن أنس وقتادة²، ولكن هذا غير صحيح، فليس هناك نسخ؛ لأنه لا يوجد تعارض أولاً حيث يمكن الجمع بينهما ولأنه لا يوجد دليل على النسخ ثانياً.

وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما: لم تنسخ ولكن حق ثقاته: أن يجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله سبحانه بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم³.

ومعلوم أن الله تعالى لم يجعل علينا في الدين من حرج ولم يكلفنا فوق طاقتنا أولاً وآخراً، وإذا كان الأمر كذلك فإن وجه الجمع بينهما هو ما نقله الإمام الزركشي عن أبي الحسن الشاذلي⁴ من أن الآية الأولى وهي قوله تعالى: "فاتقوا الله ما استطعتم" محمولة على الأعمال، حيث إن المقام يقتضي ذلك؛ لأنه قال بعد الأولى: "ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون" قلت: هذا يوافق ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ لأن معنى كلامه راجع لاختصاص التوحيد وصحة النية وهو مطلوب في كل حال حتى في حالة الإكراه على الكفر؛ لأن المطلوب في تلك الحالة هو أن يطمئن قلبه بالإيمان ولو أظهر الكفر تقيّة، كما قال الباري: "مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"⁵ فانشرح الصدر بالإيمان والثبات عليه مهما كانت الظروف والمغريات هو حق التقوي، وهو حق الله على العباد⁶، كما قال

1 سورة التباين: 16.

2 تفسير الطبري (67/7)، تفسير القرآن العظيم (72/2).

3 انظر: تفسير الطبري (427/23).

⁴ هو أبو الحسن علي بن عبد الله ابن هرمز لشاذلي المغربي، رأس الطائفة الشاذلية، من المتصوفة، ولد 591 هـ في بلاد "غمارة" بريف المغرب، ونشأ في بني زرويل (قرب شفشاون) وتفقّه وتصوف بتونس، وسكن "شاذلة" قرب تونس، فنسب إليها، ونشأ في بني زرويل (قرب شفشاون) وتفقّه وتصوف بتونس، وسكن "شاذلة" قرب تونس، فنسب إليها. وطلب "الكيمياء" في ابتداء أمره، ثم تركها، ورحل إلى بلاد المشرق فحجّ ودخل بالعراق. ثم سكن الإسكندرية. وتوفي 656 هـ بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج، انظر: الطبقات الكبرى، للإمام عبد الوهاب الشعراني، ت: أحمد إبراهيم السامح، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: أولى: 1426 هـ (207/2).

5 سورة النحل: 106.

6 البرهان في علوم القرآن (55/2).

النبي ﷺ لمعاد بن جبل رضي الله عنه: هل تدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: فإن حق الله تعالى على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً...¹

أما في مجال الأعمال والأحكام فلم يكلفنا سبحانه إلا ما نطيع ونستطيع، كما قال الله تعالى حكاية على لسان المؤمنين: "لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُزْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"² وثبت في صحيح مسلم إجابة دعائهم: "قال قد فعلت"³.

من المعلوم إن الله تعالى قد خفف عنا الصلاة في السفر، وأباح لنا الجمع، والإفطار والمسح على الخفين ثلاثة أيام، وغير ذلك مما فيه التيسير ورفع الحرج وتكليف ما في الوسع رحمة بهذه الأمة وكل ذلك إذا قام به المسلم على الوجه الشرعي فقد اتقى الله استطاعته، وفي التقييد بالإستطاعة يتجلى لطف الله بعباده، وقد قال النبي ﷺ "إذا غيبتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"⁴. التي لا تعارض قوله تعالى: "اتقوا الله حق تقاته". كما أن في قوله تعالى المذكور، دافعا قويا للمسلم للترقي في إيمانه وتقواه وزيادة الطاعات، فجعل حق التقوى هكذا بدون تحديد ليجعل القلب مجتهدا في بلوغها كما يتصورها وكما يطيقها، وكلما اقترب بتقواه من الله يستيقظ شوقه إلى مقام أرفع مما بلغ⁵، والمطلوب من المؤمن أن يبالغ في التقوى حتى لا يترك من المستطاع شيئا⁶.

1 صحيح البخاري، كتاب، اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل (121/15)، رقم الحديث: 5967.

2 سورة البقرة: 286.

3 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قوله تعالى {وَإِنْ تُبْذَرُوا فِي أُنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْنَ} (البقرة: 284) (116/1)، رقم الحديث: 126.

4 صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (142/8)، رقم الحديث: 7288.

5 في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ن: دار الشروق-بيروت-القاهرة، ط: سابعة عشر-1412هـ، عدد الأجزاء: 6 (442/1).

6 الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جاز الله، ن: دار الكتاب العربي-بيروت، ط: الثالثة-1407هـ، عدد الأجزاء: 4 (394/1).

المبحث الثالث: متشابهات القرآن التي تعبر نوعاً من مشكل القرآن:

قبل أن أبين الأمثلة لهذا الموضوع، أريد أن أذكر بعض المقدمات المتعلقة به.

المحكم والمتشابه لغة واصطلاحاً:

المحكم لغة: المحكم مأخوذ من "حكم" الحاء والكاف والميم أصل واحد، إطلاقه في اللغة ويراد به المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها¹.

اصطلاحاً: المحكم ما أحكم المراد به عن التبدل والتغيير أي التخصيص والتأويل والنسخ مأخوذ من قولهم بناء حكم أي متقن مأمون الانتقاض وذلك مثل قوله تعالى: "وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَهُنَّ أَجَلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَقْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَقْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَفْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"² والنصوص الدالة على ذات الله تعالى وصفاته لأن ذلك لا يحتمل النسخ فإن اللفظ إذا ظهر منه المراد فإن لم يحتمل النسخ فهو محكم³ يعني المحكم ما وضع معناه باعتبار الدلالة على المعنى وهو لا يحتمل وجوهاً من المعاني.

المتشابه لغة: المتشابه مأخوذ من "شبه" الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكليه لوناً ووصفاً، واشتبه الأمران، إذا أشكلاً⁴. إطلاقه في اللغة ويراد به المماثلة والمشاكله المؤدية إلى الإلتباس غالباً، قوله تعالى: "وَنَبِّئِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"⁵.

اصطلاحاً: هو ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلاً كالمقطعات في أوائل السور⁶.

القرآن محكم ومتشابه:

1 انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (91/2).

2 البقرة: 231.

3 التعريفات للجرجاني: (ص: 263).

4 انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (243؟3).

5 سورة البقرة: 25.

6 التعريفات للجرجاني (ص: 253).

(1) لقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنه كله محكم، إذ قال سبحانه : "الرِّكَابُ أَكْثَمُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّي حَكِيمٌ خَيْرٌ"¹.

(2) وجاء فيه ما يدل على أنه كله متشابه، إذ قال جل ذكره: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ"².

(3) وجاء فيه ما يدل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه، إذ قال عز اسمه : "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"³.

(أ) ولاتعارض بين هذه الإطلاقات الثلاثة لأن معنى إحكامه كله أنه منظم رصين متقن متين لا يتطرق إليه خلل لفظي ولا معنوي، ومن كونه كله متشابهاً أنه يشبه بعضه بعضاً في إحكامه وحسنه وبلوغه حد الإعجاز في ألفاظه ومعانيه، ولاخلاف بين العلماء في ذلك.

(ب) وأما أن بعضه محكم وبعضه متشابه، فمعناه أن من القرآن ما اتضحت دلالاته على مراد الله تعالى منه، ومنه ما خفيت دلالاته على هذا المراد الكريم. فالأول هو المحكم، والثاني هو المتشابه، على خلاف يأتي بين العلماء في ذلك⁴.

منشأ التشابه وأنواعه:

القسم الأول: وهو ما كان التشابه فيه راجعاً إلى خفاء في اللفظ وحده، منه مفرد ومركب، والمفرد قد يكون الخفاء فيه ناشئاً من جهة اشتراكه. والمركب قد يكون الخفاء فيه ناشئاً من جهة اختصاره أو من جهة بسطه أو من جهة ترتيبه. وإليك بعض الأمثلة:

1 سورة هود: 1.

2 سورة الزمر: 23.

3 سورة آل عمران: 7.

4 انظر : مناهل العرفان للشيخ عبد العظيم الزرقاني، ن: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون طبعة وتاريخ (270/2) - (271).

التشابه في المفرد بسبب غرابته ونُدرة استعماله: لفظ الأب بتشديد الباء في قوله سبحانه: "وَفَاكِهَةً وَأَبًّا"¹ وهو ما ترعاه البهائم بدليل قوله بعد ذلك: "مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ"²

التشابه في المفرد بسبب اشتراكه بين معان عدة: لفظ اليمين ففي قوله سبحانه: "فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ"³ أي فأقبل إبراهيم على أصنام قومه ضارباً لها باليمين من يديه لا بالشمال أو ضارباً لها ضرباً شديداً بالقوة لأن اليمين أقوى الجارحتين أو ضارباً لها بسبب اليمين التي حلفها ونوه بها القرآن إذ قال: "وَاللَّهُ لَأكِيدُنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُذِيرِينَ"⁴ كل ذلك جائز ولفظ اليمين مشترك بينها.

التشابه في المركب بسبب اختصاره: قوله تعالى: "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَقُ أَلَّا تَعْمَلُوا"⁵ إيجازه والأصل: وإن خفتم ألا تفسدوا في اليتامي لو تزوجتموهن.

القسم الثاني: وهو ما كان التشابه فيه راجعاً إلى الخفاء للمعنى وحده، ومثاله كل ما جاء في القرآن الكريم وصفاً لله تعالى أو لأهوال يوم القيامة فإن العقل البشري لا يمكن أن يحيط بحقائق صفات الخالق.

القسم الثالث: هو ما كان التشابه فيه راجعاً إلى اللفظ والمعنى معاً، وله أمثلة كثيرة منها قوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"⁶ فإن من لا يعرف عادة العرب في الجاهلية لا يستطيع أن يفهم هذا النص الكريم على وجهه⁷.

أنواع التشابهات:

النوع الأول: ما لا يستطيع البشر جميعاً أن يصلوا إليه، كالعلم بذات الله وحقائق صفاته.

النوع الثاني: ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والدرس، كالتشابهات التي نشأ التشابه فيها من الإجمال والبسط والترتيب.

1 سورة عبس:3.

2 سورة عبس:32.

3 سورة الصافات:93.

4 سورة الأنبياء:57.

5 سورة النساء:3.

6 سورة البقرة:189.

7 انظر : مناهل العرفان (278/2-279).

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (74)

النوع الثالث: ما تعلمه خواص العلماء دون عامتهم، وهو المشار إليه بقوله ﷺ لابن عباس "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"¹،².

متشابه الصفات: كما ذكرنا بأن المتشابهات تجمع ألواناً مختلفة، ولكن من بينها لونين كثر الكلام فيهما هما: (1) فواتح السور، نحو الم، ق، طس وما أشبهها.

(2) الآيات المشككة الواردة في شأن الله تعالى وتسمى آيات الصفات أو متشابه الصفات، مثل قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)³ "4.

1 صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء (141/1)، رقم الحديث: 143.

2 انظر : مناهل العرفان (281/2-282).

3 سورة طه: 5.

4 انظر : مناهل العرفان (286/2).

المبحث الرابع: عدم معرفة بدقائق اللغة العربية

أهمية التفسير اللغوي:

أرسل الله تعالى نبيه الخاتم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام عربيا، وأنزل الكتاب "القرآن المجيد" بلسان قومه كما قال الله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"¹.

وقد ورد الآيات القرآنية على عربية القرآن: منها:

1- "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"².

2- "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"³.

وقد اختار الله تعالى أن يكون اللسان العربي مظهرًا لوحيه، ومستودعًا لمواده، وأن يكون العرب هم الملتقين أولاً لشرعه وإبلاغ مراده لحكمة علمها: "منها كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشاراً، وأكثرها تحملاً للمعاني مع إيجاز لفظه"⁴.

لغة العربية شأن في فهم القرآن ولا يخفى إن التراث الإسلامي مستمد من القرآن ولذا أحرص المفسرون على نقلها جيلاً عن جيل باللغة العربية ولهذا اشترط العلماء على المفسر لكتاب الله تعالى شروطاً، لا بد له معرفة اللغة العربية وعلومها والنحو والصرف وعلوم البلاغة ليدرك إعجاز القرآني والإشتقاق، قال مالك بن أنس: "لا أوتي برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا، قال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغة العرب، قال ابن عباس رضي الله عنه قال إذا سألت موفياً عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"⁵. "فكان حقاً على من أراد فهم معانيه وإدراك مراميها، أن يكون على جانب كبير عن التمكن من اللغة العربية، وإلا لا يقدر على شئ من ذلك"⁶.

1 سورة إبراهيم: 4.

2 سورة يوسف: 2.

3 الزخرف: 3.

4 التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ط: 1984م، ن: الدار التونسية بتونس. (33/1)

5 البرهان في علوم القرآن (292/1).

6 أصول التفسير وقواعده، للشيخ خالد عبد الرحمن العلك، ط: ثانية: 1406هـ، ن: دار النفائس بيروت (ص: 138)

أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، أم حصلت بالتلقي والتعلم كالمعرفة الحاصلة للمولدين الذين شافوها بقية العرب ومارسوها، وللمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها. إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة، ويعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: "مقن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان. ومن وراء ذلك استعمل العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغاتهم"¹.

قال الإمام الشاطبي² رحمه الله عن علم اللغة العربية المطلوب في فهم النصوص الشرعية: لا أعني بذلك النحو وحده، ولا التصريف وحده، ولا اللغة، ولا علم المعاني، ولا غير ذلك من أنواع العلوم المتعلقة باللسان، بل المراد جملة علم اللسان ألفاظ أو معاني كيف تصورت³.

عن الحسن رحمه الله أن قال: أهلكتهم العجمة، يتأولونه أي القرآن على غير تأويله⁴.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية⁵ رحمه الله: كلام نفيس في بيان أهمية اللغة العربية ومكانتها في الإسلام عموماً وضرورته القصوي لفهم نصوص الكتاب والسنة خصوصاً، ذكره في كتابه العظيم "لولا خشية الإطالة لنقلته هنا كاملاً، ولكن أكتفي بذكر بعض الفقرات منه، فقال رحمه الله: وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، أو لأهل الدار، أو للرجل مع صاحبه، أو لأهل السوق، أو للأمرء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبيه بالأعاجم، وهو

1 انظر: التحرير والتنوير (18/1)

2 هو: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي القُرطبي، الشهير بالشاطبي، كان فقيهاً أصولياً حافظاً لغوياً مفسراً، وكان من أئمة المالكية، وله: كتاب الموافقات في أصول الشريعة، و: اب الاعتصام، وغير ذلك، توفي سنة: 790هـ. انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، (118/1)

3 الموافقات للشاطبي (52/5)

4 التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: 8 (93/5)

⁵ هو أبو العباس، تقي الدين أحمد بن شهاب الدين، لقب بشيخ الإسلام، المجتهد المطلق، والمفسر البار، عني بالحديث وبرع فيه وفي علل الرجال، توفي سنة 718هـ. انظر: طبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطي، ط: أولى: 1403هـ، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط: 1: 1403هـ، (ص: 521-522)، وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحفري، (142/7)

مكروه كما تقدم. ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر، ولغة أهلها رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلها فارسية، وأهل المغرب، ولغة أهلها بربرية عودوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديماً. ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم، ولا ريب أن هذا مكروه، وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة، ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب. واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشاهدة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشاهدتهم تزيد العقل والدين والخلق. وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب¹.

تعريف اللغة:

لغة: "فعلة من لغا يلغو لغوا ولغي بالكسر يلغي لغا واللغا: الصوت مثل الوغا لغي به أي لهج به واللغة أصلها لغي أو لغو والهاء عوض وجمعها لغي مثل برة وبري ولغات أيضاً"².

اللغة اصطلاحاً:

عرف العلماء في تعريف اللغة اصطلاحاً عدة تعريفات كما يلي:

- 1- "اللغة اللسان وحدها إنما أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"³.
- 2- "الفاظ يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها، ولكل أمة لغتهم"⁴.
- 3- "الكلام المصطلح عليه بين كل قبيل"¹.

1 انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط: سابعة، ن: دار عالم الكتب، تاريخ النشر: 1419هـ - 1999م، عدد الصفحات: 506، عدد الأجزاء: 1 (ص: 424)

2 الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ل إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ن: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407هـ - 1987م (2483/6-2484).

3 لسان العرب لابن منظور: (4050/5).

4 الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ت: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، ن: دار الآفاق الجديدة، بيروت، عدد الأجزاء: 8 (46/1).

وقد أظهر بعض المعتزلة مع كونه عالماً باللغة بل إماماً فيها تجاهله بالعربية حيث حرف قاعدة اللغة العربية وما تعارف عليه العرب، من أجل أن ينتصر لمذهبه الباطل، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ"²، زعم الإمام الزمخشري³ أن "لن" تفيد نفي المستقبل لينكر رؤية الله عزوجل في الجنة، على طريقة تفسير المعتزلة يعني لن تراه في الدنيا، ولن تراه في الآخرة. وهذا يخالف لقواعد اللغة العربية ؛ لأن "لن" لاتفيد النفي المؤبد، ودليل ذلك قول الله تعالى: "فَلَمَّا اسْتَقْيَاسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آتَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ"⁴ وقوله تعالى: "إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا"⁵، وقال ابن مالك: ومن رأي النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا

قال الإمام الخازن⁶ في تفسيره: وقد تمسك من نفي الرؤية من أهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى: "لن تراه" قالوا لن تكون للتأييد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولادليل ولايشهد لهم في ذلك كتاب ولاسنة وما قالوه في أن لن تكون للتأييد خطأ بين ودعوى على أهل اللغة إذ ليس يشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة والعربية ولم يقل به أحد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود "وَلَنْ يَتَمَتَّوْهُ"

1 تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، ت: مجموعة من المحققين، ن: دار الهداية، عدد الأجزاء / 40 : (462/39).

2 : سورة الأعراف:143.

3 هو أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، الخوارزمي، النحوي، صاحب الكشف، أنظر سير أعلام النبلاء، للذهبي (152/20)

4 سورة يوسف:80.

5 سورة مريم:آية:26.

6 هو علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادى الأصل، نسبته إلى " شيعه "، ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وتوفي بـحلب، ولادته و وفاته (678 - 741 هـ)، أنظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأحمد بن حجر العسقلاني، ت: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، ن: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972 م ، عدد الأجزاء: 6 (97/3)

أَبَدًا مِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ¹ مع أنهم يتمنون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى: "وَنَادُوا بِمَالِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُتُوبٌ"² فإن قالوا إن "لن" معناها تأكيد النفي كـ "لا" التي تنفي المستقبل قلنا إن صح هذا التأويل فيكون معنى لن تراني محمولا على الدنيا أي لن تراني في الدنيا جمعا بين دلائل الكتاب والسنة فإنه قد ثبت في الحديث الصحيح³ أن المؤمنين يرون ربحهم عزوجل يوم القيامة في الدار الآخرة⁽⁴⁾.

1 سورة البقرة: 95.

2 سورة الزخرف: 77.

3 مسد إسحاق بن راهويه، لإسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، مَا يُرَوَّى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثَيْدٍ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ت : د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، ن: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، ط: الأولى، 1412-1991م، عدد الأجزاء : 5 (672/3)، حكم الحديث: قال الإمام الذهبي، قلت: و هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير سلم بن قادم (مختصر العلو للعلوي العظيم للذهبي، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قاتماز الذهبي، حققه واحتصره: محمد ناصر الدين الألباني، ن: المكتب الإسلامي، ط: الطبعة الثانية 1412هـ-1991م،، عدد الأجزاء: 1) (ص:149)

4 لباب التأويل في معاني التنزيل، للبغدادى، ط: ثانية 1375هـ، ن: مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر (232/2)

المبحث الخامس: عدم معرفة السياق القرآني

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف السياق

تعريف السياق لغة واصطلاحاً:

السياق لغة: قال ابن فارس¹ رحمه الله: السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حلو الشيء. يقال ساقه يسوقه سوقاً. والسيقة: ما استيق من الدواب. ويقال سقت إلى امرأتي صداقها، وأسفته. والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها².

و قال الإمام الزمخشري³ رحمه الله: تساوقت الإبل: تابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و "إليك يساق الحديث" وهذا الكلام مساقاة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده⁴.

ويقصد بالسرد التوالي والتابع قال تعالى: "وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ"⁵

وقال ابن منظور⁶ رحمه الله: سوق: السوق معروف ساق الإبل وغيرها سوقها سوقاً وسياق، وهو سائق وسواق وقوله تعالى: "وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ"⁷

وقيل في تفسير سائق يسوقها إلى محشرها¹... وقد انساقت الإبل تساقاً إذا تابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومساوقة... والمساوقة المتابعة، وكأن بعضها يسوق بعضها وفي حديث أم معبد فجاء زوجها يسوق أعنزاء

1 هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المالكي، المعروف بالرازي توفي سنة (خمس وتسعين وثلاثمائة، أنظر: سير أعلام النبلاء (539/12)، وبغية الوعاة (352/1)

2 معجم مقاييس اللغة (117/3)

3 سبقت ترجمته

4 أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود الزمخشري جار الله، ت: محمد باسل عيون السود، ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1419 هـ - 1998 م عدد الأجزاء: 2 (484/1)

5 سورة ق: 21.

6 هو أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظور الأنصاري الأفريقي، ولد سنة (ثلاثين ومستمائة) وتوفي سنة (عشر و سبعمائة، أنظر: الدرر الكامنة، لابن حجر (31/5)

7 سورة ق: 21.

ما تساق أي ما تتابع والمساوقة، المتابعة كأن بعضا سوق بعضا... والسياق المهر، قيل للمهر سوق ؛ لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهرا وفي الحديث: أنه رأي بعبد الرحمن وضراً من صفة فقال مهيم، وقال تزوجت امرأة من الأنصار، فقال ما سقت إليها؟ أي ما أمهرتها... وساق بنفسه سياقاً: نزع بها عند الموت، تقول رأيت فلانا يسوق سوقاً أي ينزع نزعاً عند الموت يعني الموت ويقال فلان في السياق أي في النزع والسياق نزع الروح... وهو في السوق أي النزع كأن روحه تساق، لتخرج من بدنه³.

وبهذا يتبين أن هذه المادة تدور علي معنى التابع والإنصال.

إن استعمال العرب بهذه المادة، ومشتقاتها يدور على ذلك. فسوق الإبل وتساقوها من التابع، والتتابع، اتصال لا انقطاع فيه، وسباق الإنسان كذلك والمهر: سوق الروح، والسوق: سوق البيع والشراء، كل ذلك يدور وتستعمل في الدلالة على شيء معنوي وهو الكلام وهي تتضمن أمرين:

الأول: التابع و عدم الإنقطاع.

والثاني: الإنسجام والتلازم في هذا التابع.

واللغوي الأصلي: مر- فكما تساق النوق والغنم في قطيع واحد، كذا تساق الكلمات في جمل، وهذا والشبه بين السياق بمعناه الحسي و 'د المعنوي.

السياق عند المفسرين:

إن اعتماد علماء التفسير في فهم النص القرآني ودلالته ومراده معانيه اعتماداً على جانبي السياق: السياق اللغوي أما ... : " بـ سياق النص " أو ما ... سياق النص ... نظراً ... آية أو مجموعة الآيات من أنها جزء من نص متحامل الذي لا يتحرر وهو القرآن الكريم، ومعنى ذلك ... محدود على السياق اللغوي الجزئي المتمثل في الآية الواحدة أو مجموعة الآية المزولة عن سياقها الكلي، وإنما يعتمدون على السياق الكلي في القرآن الكريم. ومن عناصر السياق اللغوي عندهم القراءات القرآنية وعلم الوقف والابتداء وكيفية الوصل والفصل وما يترتب على ذلك من الدلالات. ومن عناصر سياق الموقف عندهم المعرفة بأسباب نزول الآية؛ لأنها تعين على فهم معانيه.

1 شرح نهج البلاغة، لأبي حامد عز الدين بن هبة الله المدائني، ن : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1418هـ - 1998م، ط: أولى، ت: محمد عبد الكريم النعري، عدد الأجزاء / 20 أنظر: (205/1)
2 صحيح البخاري (206/5)
3 لسان العرب (171/10)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية¹ رحمه الله: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"².

ومعرفة أقوال الصحابة في التفسير؛ لأنهم شاهدوا القرائن والأحوال، التي تتمثل في أسباب النزول، فكثير من الآية ارتبطت بمواقف وأحوال اقتضت نزولها، فكانت معينا في فهم المراد الآية، كما اعتنى المفسرون معرفة المكي والمدني حيث أنهم يهتمون بحال المخاطب أثناء التفسير. ومعرفة مكان وزمان نزول القرآن الكريم، ومن إبراز معرفة المكي والمدني حيث أن سياق الحال بين مكة والمدينة مختلف، فأهل مكة قبل فتح كانوا مشركون بينما أهل المدينة أغلبهم مؤمنون بالرسالة، فالسياق الرسالة مع أهل مكة تركيز على الأمور العقائدية ومجادلة المشركين في أمور الوجدانية، والبحث، والجنة، والنار، بينما كان مع أهل المدينة يركز على أمور التشريع في العبادات والمعاملات وغيرها مما تناسب أحوال أهل المدينة.

فعلم السياق القرآني علم عظيم المنزلة رفيع القدر، وهو من أهم ما يوصل للفهم الصحيح لكتاب الله تعالى، إذا هو الطريق الأسلم لجعل كلام الله مناسبا منتظما، وهذا هو الأنسب لكتاب الله المعجز المحكم. وعلى ما سبق فيمكن تعريف السياق عموما بأنه تتابع الكلام، وتساوقه وتقاوده، وهو الغرض أي المقصود للتكلم من إراد الكلام. إذا التتابع والاتصال والترابط دون الإنقطاع في التراكيب والنظم هو السياق.

المطلب الثاني

أركان السياق: وقد تبين في التعريف أن السياق هو التتابع والإنسجام الكامل دون الإنقطاع وهذا يلزم منه وجود سابق ولاحق وألفاظ الكلام، فالسياق إذا يتكون من ثلاثة أركان، السابق واللاحق والألفاظ الكلام.

الركن الأول: السابق

السابق لغة: قال ابن فارس رحمه الله: "سبق: السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقديم"³. قال الراغب الأصفهاني⁴ رحمه الله: "أصل السبق: التقدّم في السير"¹.

1 سبقت ترجمته

2 مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد السلام ابن تيمية، ن: دارعالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، ط: أولي 1432هـ، (339/13)

3 معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (129/3)

4 هو أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، وفاته: 502هـ، أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، له مؤلفات كثيرة، أنظر: بغية الوعا في طبقات النحويين واللغويين (180/2)

قال ابن منظور² رحمه الله: "سبق السبق: القدمة في الجري وفي كل شيء، تقول له في كل أمر سابقة سبق³ وقوله تعالى: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ"⁴ فالسابق يدل على تقدم في كل شيء، فالسابق إذا أضيف إلى أي شيء دل على تقدم في ذلك شيء، وكلمة السابق تعني تقدم شيء على آخر، وترابطها.

السباق اصطلاحاً:

ليس هناك تعريف محدد، حسب علمي القاصر لهذا المصطلح ولكن من خلال التتابع كلام العلماء من الأصوليين، واللغويين، والمفسرين وغيرهم أن نستنبط أن السباق من الكلام هو مجموع القرائن (مقالية أو حالة) الواقعة في أول الكلام. جاء عن مسلم بن يسار البصري⁵ حين قال: "إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده⁶، والذي يظهر أن التعريف الأقرب إلى الصواب أن يقال السباق هو: صدر السياق، وهذا يعني أنه مجموع القرائن (مقالية أو حالة) الواقعة في أول الكلام، فهو أشمل من التعريف المتقدم. وهذا ركن مهم لكشف معاني الكلمة أو لفهم الآيات القرآنية ولا يمكن أن يفهم مراد الكلام وكشف معاني الآيات إلى الرجوع إلى ما سبقه من عبارات تشمل على القرائن المؤدية للمعنى ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن جرير⁷ الطبري عن يسيع الحضرمي⁸ رحمه الله قال: "كنت عند علي بن أبي طالب عليه السلام فقال رجل: يا أمير المؤمنين أرايت قوله تعالى: "وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا"⁹ قال له علي: أدنه، ثم قال: "فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"

1 المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، ن: دار القلم، الدار الشامية-دمشق بيروت، ط:أولى- 1412هـ (ص:395)

2 سبقت ترجمته

3 لسان العرب، لابن منظور (151/10)

4 سورة فاطر:32.

5 هو مسلم بن يسار الأموي مولاهم، أبو عبد الله البصري، الثابعي، الفقيه، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز. أنظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء (51/4)

6 فضائل القرآن، لأبي عبيد، ت:وهبي سليمان، ن: بيروت : دار الكتب العلمية، ط:أولى 1411هـ، 1991م. (ص:229)

7 أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ولادته ووفاته: ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها (224 - 310 هـ الموافق 839 - 923 م)تعريفه: المؤرخ للمفسر الامام، وهو من ثقات المؤرخين. أنظر: طبقات للمفسرين، للأدنه وي (ص:48)

8 هو يسيع بن معدان الحضرمي، وفقه النسائي، وقال ابن المديني: معروف، وذكره ابن حبان في الثقات. أنظر: الثقات، لابن حبان، ن: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط: أولى، 1393هـ (558/5)

9 سورة النساء:141.

فبين علي عليه السلام أن محل إشكال السائل محدد باليوم الآخر بدلالة السابق²، فهي بقوله تعالى: "قَالَ اللَّهُ يَتَخَكَّمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا"³.

الركن الثاني: اللحاق: فهو من "الحق" قال ابن فارس⁴ رحمه الله: "اللام والحاء والقاف، أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره، يقال: لحق فلان فلانا فهو لاحق... وربما قالوا: لحقته اتبعته، وألحقته وصلت إليه..."⁵.

وقال الراغب⁶ رحمه الله: لحقته ولحقته به: أدركته⁷.

وقال الزبيدي⁸ رحمه الله: وتلاحقت الأخبار: تابعت، وكذا أحوال القوم⁹.

اصطلاحاً: "هو الكلام الذي يبين معنى ما قبله".

فكلمة اللاحق تدل على أمرين التأخر والإدراك، وعند إضافة اللاحق إلى كلام مثلاً، فإن هذا المركب (الكلام اللاحق) يدل على أن الكلام قد تأخر في الترتيب، ولكنه أدرك المعنى فأثر فيه.

ومن أمثلة على ذلك ما جاء عن قتادة¹ في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْهِنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلُّهُ فَقَدْ

1 سورة النساء: 141.

2 تفسير الطبري (327/9)، حكم الحديث: قال الإمام الذهبي هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح (المستدرک علی الصحیحین، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، كتاب التفسير، تفسير سورة النساء، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1411 - 1990، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، عدد الأجزاء: 4 (338/2)، رقم الحديث: 3206.

3 النساء: 141.

4 سبقت ترجمته

5 معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (237/5)

6 سبقت ترجمته

7 المفردات، للراغب (ص: 737)

8 هو أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، الملقب بمرتضى: علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) ومنشأه في زيد (باليمن) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، وتوفي بالطاعون في مصر، ولادته ووفاته (1145 - 1205هـ)، أنظر: طبقات النحويين واللفويين، لمحمد بن الحسن الأندلسي الإشبيلي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثانية، ن: دار المعارف (ص: 65)

9 تاج العروس، للزبيدي (61/7)

عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ² متى يكون ذلك؟ قال: يوم القيامة، ألا ترى أنه يقول "قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"³ إن الآية لحقت الآية التي قبلها وبين وقت يكون الحدث بأنه يوم القيامة⁴.

الركن الثالث: وهذا الركن الأخير يتكون من ثلاثة عناصر أساسية:

العنصر الأول: المفردات: للمفردات هي حصيله الكلمات التي يعرفها الفرد في اللغة سواء كان يستعملها أم لا، فهي الأدوات الأساسية لاكتشاف المعلومات. ونعني هنا الاهتمام بحروفها التي تتركب منها ولها تأثير كبير في توجيه المتشابه في فهم النص. ولالإمام الزركشي كلام في هذا الصدد: "فصل فيما يجب على المفسر البداء به: "الذي يجب على المفسر البداء به العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداء به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن...، قالوا: "وليس ذلك في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره. وهو كما قالوا: "إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته؛ لأن الجزء السابق على الكل في الوجود من الذهني والخارجي، فنقول: "النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها"⁵.

العنصر الثاني: هيئة الكلمة: أعني معرفة تصرفها واشتقاقها حيث إن كلمة تدل على معنى معين، وإن المعاني تختلف باختلاف التصريف واشتقاقها، كضرب مثلا فإنه يدل على مطلق الضرب فقط. أما ضارب ومضروب، ويضرب، واضرب فكلها أكثر دلالة وحروفا، وكلها مشتركة في (ض ر ب) وفي هيئة تركيبها.

العنصر الثالث: النظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل وعلاقتها ببعض: لا يمكن لأي معنى أو لفظ أن يفهم خارج السياق الدلالي، و ربما اتحد المدلول واختلف المعنى وربما اتحد طبقا للسياق الذي قيلت فيه العبارة أو طبقا لأحوال المتكلمين والزمان والمكان الذي قيلت فيه⁶.

1 هو ابو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز السدوسي البصري الضمير الأكمه، قدوة المفسرين والمحدثين، له تفسير مجلد، توفي سنة (117هـ) أنظر: سير أعلام النبلاء (269/5)

2 سورة المائدة: 116.

3 سورة المائدة: 119.

4 جامع البيان، للطبري (163/5)

5 أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن محمدر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، ن: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، عدد الأجزاء: 4 (173/2)

6 النحو والدلالة، لمحمد عبد اللطيف حماسة، ن: دار الشروق: مصر، ط: أولى: 1420هـ، 2000م (ص: 33-36)

ولقد تعرض سيبويه إلى هذه القضية في أول كتابه تحت عنوان "هذا باب اللفظ للمعاني" فيقول "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، و اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. وسرى ذلك إن شاء الله تعالى "فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس ذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف¹. ذهب محمد إلى مسجد الكبير وجملة الثانية ذهب الإمام الشافعي رحمه الله في مسألة الفقهية.

المطلب الثالث: مفهوم السياق القرآني:

السياق القرآني هو جزء من السياق بعمومه في معناه العام، إلا أن له مكونات خاصة يتميز بها، ولا بد من اعتبارها فيه، وهي:

الأول: الأغراض والمقاصد التي بني عليها النص:

من أعظم ما تميز به القرآن الكريم تضمنه لأغراض متعددة في الآية الواحدة، ولا شك أن هذا من كمال القرآن الكريم، فإنه محتمل للوجوه بحسب اختلاف الأغراض التي تضمنتها الآية، وهذا سر تعدد المعاني في الآية واختلافها، ولهذا فلا بد من اعتبار هذه الخاصية في السياق القرآني، والأغراض التي تضمنتها الآية هي: أغراض القرآن ومقاصده العظمى، وغرض السورة، وغرض المقطع والقصة الواردة في موضوع واحد، وغرض الآية. فكل هذه الأغراض لا بد من اعتبارها في تفسير الآية، ولا يظهر كما معنى الآية إلا بها، وهي متألقة متكاملة مبنية على بناء واحد.

الثاني: النظم والأسلوب القرآني المؤلف من مجموع الكلام والتعبير فيه: لا شك أن النظم القرآني، والأسلوب البياني الذي اختلف منه القرآن يمثل البناء المحكم المنسق الذي تميز به القرآن عن سائر الكلام، وهو خاصة مهمة في السياق القرآني بل هو ركن فيه؛ إذ لا يمكن تفسير القرآن إلا باعتباره.

الثالث: الأسباب والأحوال التي نزلت فيها الآية، والمخاطبون بها: قال صاحب دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: "أما السياق القرآني فإننا نقصد به الأغراض والمقاصد الأساسية التي تلور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته"².

1 الكتاب لأبي بشر، الملقب بسيبويه، ت: عبد السلام محمد هارون، ن: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، 1408هـ-1988م، عدد الأجزاء: 4 (24/1)

2 انظر: دلالة السياق منهج مأمون، لعبد الوهاب أبو صافية الحارثي، ن: دار المكتبات والوثائق الوطنية، عمان، ط: 1989م (ص: 88)

وقال صاحب الكتاب (نظرية السياق القرآني) بأنه: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"¹.

أنواع السياق القرآني: السياق القرآني له خصائص خاصة يختلف بها عن أي سياق آخر، وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن الكريم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته، وذلك أنه يتكون من أربعة أنواع من السياق، وهذه الأنواع الأربعة مرتبطة ارتباطاً عجيباً فلا تجد بينها تعارضاً ولا تناقضاً، بل إنها متكاملة.

وقد تعرض لهذا التنوع في السياق القرآني الأستاذ عبد الوهاب أبو صفية الحارثي² حيث قال: "فالسياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأكمله، ويضاف إليها، بمعنى أن هناك: سياق الآية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني، فهذه دائرة متداخلة متكاملة حول إيضاح المعنى"³.

النوع الأول: سياق الآية: ومن المعلوم أن المعاجم العربية تعطي معاني عامة و متعددة للمفردة، وإذا تعددت معنى المفردة، تعددت بالتالي احتمالات القصد منها، وتعدد احتمالات القصد يقود إلى تعدد المعنى. وكذلك إذا تأملنا في القرآن الكريم أن كل آية في القرآن الكريم تحمل هدفاً وغرضاً و غايةً مستقلاً، وإلا ما سر هذه الفواصل بين الآيات، وهذا الغرض أو الهدف قد تشترك فيه مع الآية التي قبلها أو بعدها بينما إذا نظر إليها في ضوء سياقتها، فإنه حينئذ يتحدد معناها ويبرز مرادها، وبالتالي يقطع يقين السياق ريب وشك الاحتمال. وفي هذا النوع من أنواع السياق القرآني يكون النظر في سياق الآية (سابقها ولاحقها)، دون التجاوز إلى ما سبقها أو يلحقها من آيات، حتى يتمكن من تحديد المعنى المراد من بين معانيها المتعددة والمحتملة.

1 صاحب كتاب نظرية السياق القرآني، لأستاذ المثني عبد الفتاح محمود، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، ن: دار وائل عمان الأردن، ط: 2008م (ص: 15)

2 وهو صاحب الكتاب (دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم) وله عدة تصانيف: 1. على مسرح الحياة : حكايات من بلدي، 2. دروس وعبر من سورة يوسف، 3. دروس وعبر من سورة يوسف، 4. معالم النص في سورة الحشر، 5. دلالة السياق : منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، 6. قصة وحوار في أهل الجنة والنار، بحثت كثيراً عن ترجمته ولكن ما وجدت فقط وجدت هذه المعلومات على الشبكة، https://islamarchive.cc/index.php?p=bib_lib&word

3 عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، (ص: 88)

والمثال على ذلك ما ذكره بعض المفسرين في المراد "بالإحصان" في قوله تعالى: "وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحِ الْمُخَصَّنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مَخَصَّنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُخَصَّنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"¹ لفظ الإحصان في الآية له معاني متعددة ويطلق على الإسلام، والعفاف، والحرية، والتزوج، وأي معنى من هذه المعاني الذي تناسب مع السياق؟

قال ابن كثير رحمه الله: "والأظهر - والله تعالى أعلم - أن المراد بالإحصان هاهنا التزويج؛ لأن سياق الآية يدل عليه، حيث يقول سبحانه وتعالى: "وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحِ الْمُخَصَّنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ" والله أعلم. والآية الكريمة سياقها كلها في الفتيات المؤمنات فتعين أن المراد بقوله: "فَإِذَا أُحْصِنَ" أي تزوجن كما فسرهن ابن عباس رضي الله عنهما ومن تبعه².

النوع الثاني: سياق النص أو المنقطع: ولو تأملنا أن كل سورة في القرآن الكريم تتجزأ إلى عدة مقاطع لها موضوع مستقل و أغراض واحدة، لكنها تناسق وتناسب مع الوحدة العامة للسورة، والتي تسمى "بوحدرة السورة" أو "مقاصدها" أو "هو جزء من السورة له سياقه الخاص، تناسب مع سياق السورة الكريمة. ويتبين هذا النوع في سياق القصص، وبعض التشريعات، والموضوعات كقصة آدم عليه السلام، وآيات بني إسرائيل، وآية القبله، وآية الحج في سورة البقرة. فمن أمثلة على ذلك آية النفقة والرباء والمداينات في سورة البقرة، وكل موضوعات تحمل غرضاً مستقلاً، وقد اجتمعت كلها في غرض واحد وسياق واحد هو حفظ الأموال وبناء النظام الإقتصادي للأمة.

النوع الثالث: سياق السورة: إن لكل سورة في القرآن الكريم لها هدف، وغرض رئيس، أو يتميز به عن غيرها من السور.

النوع الرابع: السياق العام القرآن الكريم: المراد بهذا النوع من السياق القرآني، مقاصد القرآن الأساسية، والمعاني الكلية التي تسمى بالكليات في القرآن، والأساليب المطردة في القرآن الكريم التي تسمى بعادة القرآن. وعلى هذا فيمكن تقسيم هذا النوع إلى ثلاثة أوجه.

1 سورة النساء: 25.

2 تفسير ابن كثير (262/2)

الوجه الأول: مقاصد القرآن العظيم: من المعلوم أن القرآن الكريم رسالة علمية، وهداية للبشر، وهو مبني على أغراض ومقاصد أساسية لمصالح العبادة في دنياهم وأخرهم، ومتضمنة لأسباب السعادة في المعاش والمعاد.

الوجه الثاني: المعاني الكلية للقرآن الكريم: إن المقصود بالمعاني الكلية هو ما يرد في القرآن من الألفاظ التي يطرده أو يغلب استعمالها على معنى واحد، وهو ما يسميه بعض العلماء بـ (كليات الألفاظ)¹.

الوجه الثالث: الأساليب المطردة في القرآن الكريم: إن المقصود بالأساليب المطردة هو ما يستعمله القرآن من الأساليب، ويطرده في القرآن كله، وهذا ما يسمى بعادة القرآن، والبعض يسمي: "كلية الأسلوب" ليفرق بينه وبين كليات الألفاظ.

المطلب الرابع:

أمثلة السياق القرآني في ضوء تفسير روح المعاني:

في هذا المبحث أذكر نماذج من السياق القرآني في ضوء تفسير روح المعاني ليثبت موقفنا بأن الإمام الألوسي اهتم بالسياق القرآني في تفسيره وإليك نماذج الآن وهي كما يلي:

المثال الأول: أصل المسألة: إن تسلط الشيطان ثابت على الناس أم لا؟

"إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ"² ، "وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ هُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"³

فإن قيل: إن الآية الأولى تدل على تسلط الشيطان "على الذين يتولونه" ولكن جاء في الآية الثانية "وما كان لي" فكل من سلطان" فكيف يدفع التعارض بين الآيتين؟

1 أنظر: السياق القرآني وأثره في التفسير، (دراسة نظرية وتطبيقية) من خلال تفسير ابن كثير، رسالة مقدمة لتبيل درجة الماجستير في التفسير و علوم القرآن ، أعداد الباحث: عبد الرحمن سرور جرمان المطيري، إشراف: الدكتور خالد بن عبد الله القرشي في جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين في قسم الكتاب والسنة بالملكة العربية السعودية (ص:122)

2 سورة النحل:100.

3 سورة ابراهيم:22.

إن الإمام الألوسي أولاً يحلل الآيتين ثم يجيب كما ترى الآن.... قال الإمام الألوسي: إِنَّهُ الضمير للشأن أو للشيطان "لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ" تسلط واستيلاء "عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"¹ أي إن المؤمنين يفوضون أمورهم إلى الله تعالى لا إلى غيره وبه يعوذون فالمراد نفي التسلط بعد الاستعاذة و ذكر الإمام الألوسي موقف البعض: نفي ذلك مطلقاً. بعد ثبت هذا التوضيح إن نفي التسلط من الشيطان ليس له مطلقاً بل له الذين يعوذون بالله تعالى وعند البعض تكون مطلقاً.

والاستعاذة من المحتقرات فهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وسأوسه إلا فيها يحتقرته على ندور وغفلة فأمرؤا بالاستعاذة منه لمزيد الاعتناء بحفظهم "إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ" أي يجعلونه واليا عليهم فيحبونه ويطيعونه ويستجيون دعوته فالمراد بالسلطان التسلط والولاية بالدعوة المستتعبة للاستجابة لا ما يعم ذلك والتسلط بالقسر والإلحاء فإن في جعل التولي صلة «ما» يفصح بنفي إرادة التسلط القسري فإن المفسور معزل عنه بهذا المعنى، وقد نفي هذا أيضاً عن الكفرة في قوله تعالى حكاية عن اللعين: "وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ"² أي بسبب الشيطان وإغوائه إياهم مُشْرِكُونَ بالله تعالى.

ذكر الإمام الألوسي أقسام القدرة واستشهد بقول أبي حيان وقال: بأن القدرة على حمل الإنسان على الشيء تارة تكون بالقهر من الحامل وتارة تكون بتقوية الداعية في قلبه وذلك بإلقاء الوسواس إليه وهذا نوع من أنواع التسلط فكأنه قال: تسلط الشيطان على الإنسان بالوسوسة لا بالضرب ونحوه فَاسْتَجَبْتُمْ لِي أي أسرعتم إجابتي كما يؤذن بذلك الفاء، فَلَا تُلْوَثُونِي بوعدي إياكم حيث لم يكن على طريق القسر والإلحاء كما يدل عليه الفاء، وقيل: بوسوستي فإن من صرح بالعداوة وقال: "لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ"³ لا يلام بأمثال ذلك. وقرئ "فلا يلوموني" بالياء على الالتفات وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ حيث استجبتكم لي باختياركم الناشئ عن سوء استعدادكم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا لربكم إذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج. إن المقصود في الآية نفي أن يكون له تسلط في أمر الإضلال إلا بمحض الوسوسة لا نفي أن يكون له تسلط أصلاً والسياق أدل قرينة على ذلك.⁴

1 سورة النحل: 99.

2 سورة إبراهيم: 22.

3 سورة الأعراف: 16.

4 انظر: تفسير روح المعاني (197/7-200)

النتيجة: إن الاستشهاد على ذلك بأن المقصود في الآية نفي أن يكون له تسلط في أمر الإضلال إلا بمحض الوسوسة لا نفي أن يكون له تسلط أصلاً والسياق أدل قرينة على ذلك. إن تسلط الشيطان واستيلائه على الناس بواسطة دعوته كما جاء في القرآن الكريم "إنما سلطانه على الذين يتولونه" ولا بالقسر والإجاء كما جاء في القرآن الحكيم "وما كان لي عليكم من سلطان" إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيتين بالسياق وتفسير القرآن بالقرآن.

المثال الثاني: أصل المسألة: هل نسب وتساؤل في يوم القيامة أم لا؟

"فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ"¹ ، "فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ"²

فإن قيل إن قوله تعالى: "فإذا نفخ في الصور..." لا نسب ولا تساؤل بينهم يومئذ ولكن جاء في الآية الثانية "بعضهم على بعض يتساءلون"، فكيف الجمع بين الآيتين؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً شافياً في تفسيره لدفع توهم التعارض المذكور كما يلي:

أورد الإمام الألوسي الأجوبة المختلفة لحل الإشكال بين الآيتين وقال: المراد من قوله تعالى "فإذا نفخ في الصور" لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور، حينما جاء أن هذا النفخ عند ذاك "فلا أنساب بينهم يومئذ" أي يوم إذ نفخ في الصور كما هي بينهم اليوم، والمراد أنها لا تنفعهم شيئاً فهي منزلة منزلة العدم لعظم الهول واشتغال كل بنفسه بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنه و يشهد على هذا التفسير برواية ابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية³ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الأولين والآخرين وفي لفظ "يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي مناد ألا إن هذا فلان ابن فلان فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه - وفي لفظ - من كان له مظلمة فليجيء ليأخذ حقه فيفرج والله المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيراً ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى: "فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم" وهذا الأثر يدل على أن هذا الحكم غير خاص بالكفرة بل يعمهم وغيرهم.

1 سورة المؤمنون: 101.

2 الصافات: 50.

3 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله، ن: السعادة - بيجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، ثم صورتها عدة دور منها، 1 - دار الكتاب العربي - بيروت، 2 - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 3 - دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة 1409هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: 10 (53/8)

وقيل: إن الحكم خاص بالكفار كما يقتضيه سياق الآية فاندفع التعارض بين الآيتين، لذا لا ينفع نسب يومئذ إلا نسبه صلى الله عليه وسلم ويشهد على هذا التفسير برواية عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سبي ونسي"¹. ثبت بهذا الحديث المذكور بأن الآية "فلا أنساب..." مخصوص بالكفار. ذكر الإمام الألوسي حكم الحديث عن الرواية المذكورة وقال: "قد أخرج جماعة نحوه عن مسور مخزومة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً، وأخرج ابن عساكر نحوه مرفوعاً أيضاً عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وهو خير مقبول لا يكاد يرد إلا من في قلبه شائبة نصب"².

"وَلَا يَتَسَاءَلُونَ" أي ولا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله ومن هو ونحو ذلك لاشتغال كل منهم بنفسه عن الالتفات إلى أبناء جنسه. وروى جماعة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن وجه الجمع بين النفي هنا والإثبات في قوله سبحانه: "وَأَقْبَلْ بِغَضِّهِمْ عَلَى بَعْضِ يَتَسَاءَلُونَ"³ فقال: إن نفي التساؤل في النفخة الأولى حين لا يبقى على وجه الأرض شيء وإثباته في النفخة الثانية، وعلى هذا فالمراد عنده بقوله تعالى: "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ" فإذا نفخ النفخة الأولى وهذه إحدى روايتين عنه رضي الله تعالى عنه، والرواية الثانية حملة على النفخة الثانية، وحينئذ يختار في وجه الجمع أحد الأوجه التي أشرنا إليها⁴.

النتيجة: إن التوجيهات مختلفة لدفع التعارض بين الآيتين المذكورتين حيث ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: المراد من قوله تعالى: "فلا أنساب بينهم..." إن النسب والتساؤل لا ينفعهم شيئاً فهي منزلة منزلة العدم لعظم الهول واشتغال كل بنفسه بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وهذا الحكم غير خاص بالكفرة بل يعمهم وغيرهم، يعني فلا أنساب في ذلك الوقت ما شاء من المسلم أو الكفار.

الوجه الثاني: قوله تعالى: "فلا أنساب بينهم" هذا الحكم خاص بالكفار كما يقتضيه سياق الآية، وقيل لا ينفع نسب يومئذ إلا نسبه ﷺ.

الوجه الثالث: إن نفي التساؤل في النفخة الأولى حين لا يبقى على وجه الأرض شيء وإثباته في النفخة الثانية. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بأصول معرفة السياق و بيان الحديث وبأسلوب العام والخاص.

1 المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ذكر إسلام أمير المؤمنين ﷺ (341/3)، حكم الحديث: قال الشيخ الألباني (هذا حديث صحيح) صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني، ن: المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: 2 (832/2)، رقم الحديث: 4684.

2 أنظر: تفسير روح المعاني (264/9)

3 سورة الصافات: 27.

4 أنظر: تفسير روح المعاني (263-265/9)

أصل المسألة:

المقال الثالث:

"وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"¹ ، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"² فإن قيل إن الخمر حلال كما جاء في الآية الأولى ولكن جاء في الآية الثانية عكسها، فكيف الجمع بين الآيتين؟

أورد الإمام الألوسي أقوال العلماء للمفسرين لدفع توهم التعارض بين الآيتين المذكورتين:

حيث قال تعالى "سكرا" السكر بالخمر هو المروي عن ابن مسعود و ابن عمر وأبي رزين والحسن ومجاهد "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ" حينما أن السكر يكون بمعنى الخمر فذلك الوقت يكون حراما، فصارت الآية الأولى منسوخة بآية الثانية كما روي عن ابن مسعود وابن عمر وأبي رزين والحسن ومجاهد.

ولو قوله تعالى: "سكرا" بمعنى الخل بلغة الحبشة أو بمعنى المطعوم المتفكه فذاك الوقت صارت الآية الأولى محكمة لآية الثانية كما اختار النخعي وأبو ثور وابن جبير ما نسخ الآية المائدة وقيل نزلت قبل ولا نسخ بناء على ما روي عن ابن عباس أن السكر هو الخل بلغة الحبشة أو علي ما نقل عن أبي عبيدة " أن السكر المطعوم المتفكه به كالتقل. وإلى عدم النسخ ذهب الحنفيون وقالوا: المراد بالسكر ما لا يسكر من الأنبذة، واستدلوا عليه بأن الله تعالى امتن على عباده بما خلق لهم من ذلك ولا يقع الامتنان إلا بمحطل فيكون ذلك دليلا على جواز شرب ما دون المسكر من النبيذ فإذا انتهى إلى السكر لم يجوز وعضدوا هذا من السنة بما روي عن النبي ﷺ قال: حرم الله تعالى الخمر بعينها القليل منها والكثير والسكر من كل شراب³، وإلى حل شرب النبيذ ما لم يصل إلى الإسكار

1 سورة النحل: 67.

2 سورة المائدة: 90.

3 سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني، كتاب الأشربة وغيرها (حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، عدد الأجزاء: 5 (461/5) رقم الحديث: 4616، حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث صحيح (صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني (600/1)

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (94)

ذهب إبراهيم النخعي: وأبو جعفر الطحاوي وكان إمام أهل زمانه¹، وسفيان الثوري وهو من تعلم وكان عليه الرحمة يشربه. وفي الآية دليل على قبح تناولها تعريضا من تقييد المقابل بالحسن، وهذا وجه من ذهب إلى أنه جمع بين العتاب والمنة، وعلى الأول يكون رمزا إلى أن السكر وإن كان مباحا فهو مما يحسن اجتنابه. واستدل ابن كمال على نزولها قبل التحريم أن المقام لا يحتمل العتاب فإن مساق الكلام على ما دل عليه سياقه ولحاقه في تعداد النعم العظام².

النتيجة: إن الإمام الألوسي ذكر التوجيهات المختلفة لدفع التعارض بين الآيتين المذكورتين:

الوجه الأول: المراد من قوله تعالى: "سكرا" أي يسكر من الأنبذة في ذلك الوقت السكر يكون بمعنى الخمر فذاك الوقت يكون حراما، فصارت الآية الأولى منسوخة بآية الثانية.

الوجه الثاني: المراد من قوله تعالى "سكرا" أي لا يسكر من الأنبذة فذاك الوقت "آية النحل" محكمة لـ "آية المائدة" فدفع التعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بأصول معرفة النسخ والتقييد وبيان الحديث وبأصول معرفة السياق.

1 شرح معاني الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد المعروف بالطحاوي، (، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار-محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كته وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، ن: عالم الكتب، الطبعة: الأولى - 1414 هـ، 1994 م، عدد الأجزاء: 5 (461/5)

2 انظر: تفسير روح المعاني (418-420)

الباب الثاني: الدراسة التطبيقية، وهو يشتمل علي فصلين:

الفصل الأول:

منهج الإمام الألوسي في الاستفادة من علوم القرآن وأصول التفسير لدفع التعارض والتناقض

المتوهم في بعض الآيات:

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: جمع الآيات التي يتفق موضوعها ولكن تختلف أزمنتها أو أمكنتها.

إن منشأ ظهور التعارض بين الأدلة الشرعية تدافع الحكمين المختلفين الواردين في الظاهر على محل واحد وفي وقت واحد وحال واحد. وذلك لاستحالة أن يحكم على الشيء الواحد بحكمين متعارضين في وقت واحد وحال واحد. ولدفع هذا التعارض يعمل الناظر في هذه الأدلة على نفي الوحدة بين الدليلين المتعارضين في أحد هذه الأمور الثلاثة: المحل والزمن والحال ؛ لأنه متى ثبت اختلاف الدليلين ذوي الحكمين المختلفين في المحل أو الزمن أو الحال، انتفى التعارض وزال الإشكال؛ لأن الحكمين المختلفين حيثما ينزلان على محلين مختلفين أو زمنين مختلفين أو حالين مختلفين. ومن ثم كان من أوجه الجمع بين المتعارضين: الجمع باختلاف المحل. وهذا لأن التعارض إنما يقع بتدافع الحكمين، فإذا كان الثابت بأحدهما غير الثابت بالآخر لا يتحقق التدافع، فلا يثبت التعارض وهذا راجع إلى انتفاء الشرط في الحقيقة ؛ إذ الاختلاف في الحكم مما يحقق الاختلاف في المحل ضرورة¹.

معني القاعدة: الجمع باختلاف المحل، معناه: الجمع بين النصين المتعارضين ببيان اختلاف محليهما، أي ببيان أن حكم أحدهما ينزل على محل غير محل الحكم الآخر، فيكون إثبات اختلاف المحل تبعاً لاختلاف الحكم، وبه يتم دفع التعارض، والعمل بالنصين، كل في محله.

مجال تطبيق القواعد: يتم تطبيق هذه القاعدة بين النصين العامين عموماً مطلقاً أو الخاصين خصوصاً مطلقاً؛ لأنه إذا كان أحدهما عاماً والآخر خاصاً: فقد تقدم في المبحث الأول أنه يجمع بينهما بالتخصيص.

أ- فإذا كان النصان عامين: فإنه يجمع بينهما باختلاف المحل بأن يحمل أحدهما على بعض أفرادها ويحمل الآخر على بعض آخر من أفرادها أيضاً.

كما لو قال: اقتلوا المشركين، ولا تقتلوا المشركين، فيحمل الأول على الحريين، والآخر على الذميين¹.

ب- وإذا كان النصان خاصين: فإنه يجمع بينهما باختلاف المحل، بأن يحمل أحدهما على قيد والآخر على قيد غيره.

كما لو قال: اقتل مشركا، ولا تقتل مشركا، فيقال في الأول: إذا لم يكن ذميا، وفي الثاني إذا كان ذميا².

أمثلة القرآنية ببيان اختلاف أمكنتها وأزمعتها في ضوء تفسير روح المعاني:

المثال الأول: أصل المسألة: إن الله تعالى يستل الناس أم لا؟

"فَلْتَسْأَلْهُ الدِّينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَلْتَسْأَلْهُ الْمُرْسَلِينَ"³ ، "فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ"⁴ ، "وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُؤْبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ"⁵ ، "فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ"⁶

إن الآيتين الأوليين تدل على أن الله تعالى يستل الناس ولكن الآيتين الأخريين تدل على أن الله تعالى لا يستل، كيف يجمع هذه الآيات؟

ذكر الإمام الألوسي الأجوبة المختلفة لدفع الإشكال المذكور بين الآيات:

الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "وَلْتَسْأَلْهُ الْمُرْسَلِينَ" ماذا أجيبوا، والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم، والمنفي في قوله تعالى: "فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ" على ما قيل: سؤال الاستعلام، ونفي ذلك بالنسبة إليه عز وجل ظاهر، وبالنسبة إلى الملائكة عليهم السلام لأنهم مطلعون على صحائفهم أو عارفون بإياهم بسيماهم كما قال سبحانه: "يُعْرِضُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالتَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ"⁷ والمراد بالسؤال المثبت في قوله عز وجل: "فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ" سؤال التوبيخ والتقريع فلا تناقض بين الآيتين، وهناك نفي سؤال الاستفهام لأنه تعالى عالم بجميع أعمالهم وروي هذا عن ابن عباس فلا منافاة بين الآيتين.

1 شرح التلويح على التوضيح (205/1)، تيسير التحرير (138/3)

2 تيسير التحرير (138/3)

3 سورة الأعراف: 6.

4 سورة الحجر: 92.

5 سورة القصص: 78.

6 سورة الرحمن: 39.

7 سورة الرحمن: 41.

الثاني: وجوز أن يكون السؤال في الموضوعين بمعنى والنفي والإثبات باعتبار موضعين أو زمانين، والمواقف يوم القيامة كثيرة واليوم طويل فلا تناقض بين الآيات.

الثالث: وقال الإمام: إنهم لا يسألون عن الأعمال أي ما فعلتم ولكن يسألون عن الدواعي التي دعتهم إلى الأعمال والصوارف التي صرفتهم عنها أي لم كان كذا، فدفع الإشكال بين الآيات.

الرابع: وقيل: معنى "لا يُسْتَلْ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ"¹ وقيل: لا حاجة إلى التوفيق فإن للنفي هو السؤال عن الذنب لا مطلق السؤال فاندفع التعارض بين الآيات. وتخصيص سؤال المرسلين عليهم السلام بما ذكرنا هو الذي يشهد به الأخبار وتدل عليه الآثار، وفي القرآن ما يؤيد ذلك فقد قال سبحانه: "يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ"² وتخصيص سؤال الذين أرسل إليهم بما تقدم هو الذي جرى عليه جماعة من المفسرين. واستشهد الإمام الألوسي برأوية ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري أنه يقال للذين أرسل إليهم: هل بلغكم الرسل؟ ويقال للمرسلين: ماذا ردوا عليكم. وأخرج أيضا عن القاسم أبي عبد الرحمن أنه تلا هذه الآية فقال: يستل العبد يوم القيامة عن أربع خصال يقول ربك ألم أجعل لك جسدا فقيم أبلتيه؟ ألم أجعل لك علما فقيم عملت بما عملت؟ ألم أجعل لك مالا فقيم أنفقته في طاعتي أم في معصيتي؟ ألم أجعل لك عمرا فقيم أفنيته؟. وأخرج هو وغيره عن طاوس أنه قرأ ذلك فقال الإمام: يستل عن الناس والرجل يستل عن أهله والمرأة تستل عن بيت زوجها والعبد يستل عن مال سيده³، ولعل الظاهر أن سؤال كل من المرسل إليهم والمرسلين هنا عن أمر يتعلق بصاحبه، ولا يأتي هذا أن المكلفين يسألون عن أمور آخر والمواقف يوم القيامة شتى ويسأل السيد ذو الجلال عبادة فيها عن مقاصد عديدة فطوى لمن أخذ بعضه السعد فأجاب بما ينجي⁴.

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي التوجيهات مختلفة لدفع التعارض بين الآيات القرآنية:

الوجه الأول: إن الآيتين الأوليين تدل على التوبيخ والتقريع والآيتين الأخريين تدل على أن الله تعالى عالم بجميع أعمالهم، ونفي ذلك بالنسبة إليه عز وجل ظاهر، وبالنسبة إلى الملائكة عليهم السلام لأنهم مطلعون على صحائفهم أو عارفون إياهم بسيماهم، فارتفع الإشكال بين الآيات.

1 سورة الرحمن: 39.

2 سورة المائدة: 109.

3 تفسير ابن أبي حاتم، لإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، ن: المكتبة العصرية - صيدا، أجزاء: 10، ت: أسعد محمد الطيب (1439/5)

4 انظر: تفسير روح المعاني (324-322/4)، (238/10)، (326/10)، (113/14-114)

الوجه الثاني: وجوز أن يكون السؤال في الموضعين بمعنى النفي والإثبات باعتبار موضعين أو زمانين، والمواقف يوم القيامة كثيرة واليوم طويل فلا تناقض بين الآيات.

الوجه الثالث: إنهم لا يسألون عن الأعمال أي ما فعلتم ولكن يسألون عن الدواعي التي دعتهن إلى الأعمال والصوارف التي صرفتم عنها أي لم كان كذا فارتفع الإشكال بين الآيات.

الوجه الرابع: لا حاجة إلى التوفيق فإن المنفي هو السؤال عن الذنب لا مطلق السؤال فاندفع التعارض بين الآيات. إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيات القرآنية بتفسير القرآن بالقرآن وبأصول العام والخاص وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

المثال الثاني: أصل المسألة: هل يتكلم أي إنسان في يوم القيامة أم لا؟

"يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ"¹ ، "هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ"² ، "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"³

إن الآية الأولى تدل في يوم القيامة لا تكلم نفس ولكن بإذن الله تعالى وأيضا الآية الثانية تدل مثل آية الأولى ذلك اليوم ليس النطق لأي نفس ولكن الآية الثالثة تدل على عكسهما، فكيف ترفع هذه المناقاة بين الآيات؟ ذكر الإمام الألوسي الأوجه المختلفة لحل الإشكال بين الآيات كما يلي:

الأول: المراد من قوله تعالى "لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ" أي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة يعني أنهم يتكلمون ولكن كلامهم عبثا.

الثاني: المراد من قوله تعالى "إِلَّا بِإِذْنِهِ" أي إلا بإذن الله تعالى شأنه وعز سلطانه في التكلم كقوله سبحانه: "لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ"⁴ وهذا في موقف من مواقف ذلك اليوم، وقوله تبارك وتعالى: "هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ"⁵ في موقف آخر من مواقفه كما أن قوله تعالى: "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا"⁶ في آخر منها، وروي هذا عن الحسن.

1 سورة هود: 105.

2 سورة المرسلات: 35.

3 سورة النحل: 111.

4 سورة النبا: 38.

5 سورة المرسلات: 35، 36.

6 سورة النحل: 111.

الثالث: إن الله تعالى أجاز لهم كلاماً ولكن يكون الإذن على كلام الحق فقط والممنوع منه الأعذار بالباطلة ، نعم قد يؤذن فيها أيضاً لإظهار بطلانها كما في قول الكفرة: "وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ"¹ ونظائره.

الرابع: وأجاب قوم من المفسرين عن ذلك بأن يوم القيامة يوم طويل ممتد فيجوز أن يمتنعوا النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض آخر منه، ويضعف هذا الجواب أن الإشارة إلى يوم القيامة بطوله فكيف يجوز أن تكون الآيات فيه مختلفة، وعلى ما ذكره يكون معنى هذا "يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ" هذا يوم لا ينطقون في بعضه وهو خلاف الظاهر، لم يقبل الإمام الألوسي التوجيه المذكورة لذا قال الإمام الألوسي: الجواب السديد عندي: عن ذلك أن يقال: إنما أريد نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله إقامة حجة وخلاص لا نفي النطق مطلقاً بحيث يعم ما ليس له هذه الحالة، ويستشهد على الجواب المذكور بكلام العرب وقال: يجري هذا الجرى قولهم: خرس فلان عن حجته وحضرنا فلانا ينظر فلانا فلم نره قال شيئاً وإن كان الذي وصف بالخرس والذي نفي عنه القول قد تكلم بكلام كثير إلا أنه من حيث لم يكن فيه حجة ولم يتضمن منفعة جاز إطلاق ما حكيناه عليه²، فاندفع التعارض بين الآيات³.

النتيجة: إن التوجيهات مختلفة لحل الإشكال بين الآيات كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: في الحقيقة إن الكلام ليس ممنوعاً بل كلامهم لا ينفعهم ولا ينجيهم من جواب وشفاعة.

الوجه الثاني: إن الكلام في يوم القيامة يكون بإذن الله تعالى.

الوجه الثالث: إن القيامة له مواقف، فيجوز أن النطق ممنوع في موقف و يؤذن في موقف آخر.

الوجه الرابع: إن يوم القيامة يكون يوماً طويلاً ممتداً فيجوز أن يمتنعوا النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض آخر منه. إن الإمام الألوسي رجح الوجه الأول وقال: إنما أريد نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله إقامة حجة وخلاص لا نفي النطق مطلقاً بحيث يعم ما ليس له هذه الحالة و رجح الرأي المذكور بقول اللغة. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال باستخدام معرفة كلام العرب وبأصول العام والخاص وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

1 سورة الأنعام: 23.

2 أمالي السيد المرتضى، للشيخ أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين (في التفسير والحديث والأدب)، الطبعة الأولى: 1325هـ-1907م، صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعماني)، ط: بمطبعة السعادة بجوار

محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل، عدد الأجزاء: 3 (34/1)

3 انظر: تفسير روح المعاني (334/6-335)

المبحث الثاني: الرجوع إلى الأحاديث الصحيحة والآثار الصحيحة.

تفسير القرآن بالسنة :

معنى السنة لغةً وإصطلاحاً:

السنة في اللغة "الطريقة والسيرة"؛ حسنة أو قبيحة... كما ورد في الحديث: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة¹.

وفي الإصطلاح: يختلف معنى السنة عند المحدثين، والأصوليين والفقهاء حسب اختلاف فنونهم وأغراضهم، كما يلي: عند المحدثين: كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة كتحفته في غار حراء أم بعدها. وعند الأصوليين: هي كل ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن الكريم، من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم الشرعي وعند الفقهاء: ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب². تعتبر السنة النبوية المصدر الثاني من مصادر التفسير المعتمدة، ثم هي بذلك أيضاً مصدراً مهماً من مصادر التفسير المأثور، وقد دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة وإجماع العلماء.

فمن الكتاب قوله تعالى: "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"³ وأما من السنة فقول الرسول ﷺ "ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه"⁴ وما يدل على إجماع العلماء كثرة الأقوال في ذلك؛ فمن ذلك قول السيوطي حيث قال: قال العلماء: من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن ... فإن أعياه

1 صحيح مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدي أو ضلالة، (704/2)، رقم الحديث:

1017، ومسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (للتوقي: 360هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 - 1984، عدد الأجزاء: 4، (407/3).

2 انظر: السنة قبل التدوين، لمحمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، ص: 15، 16، ط3: 1400هـ - 1980م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان. والسنة ومكائنها في التشريع الإسلامي، لمصطفى بن حسني السباعي (ت: 1384هـ)، ص: 48، ط3: 1402هـ - 1982م، المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت - لبنان.

³ سورة النحل: 44.

4 سنن أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (200/4)، رقم الحديث: 4604، حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث صحيح، أنظر: صحيح الجامع الصغير وزاداته (516/1)

ذلك طلبه من السنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له¹. وقال الإمام الشاطبي رحمه الله²: فعلى هذا لا ينبغي في الاستنباط من القرآن الاقتصار عليه دون النظر في شرحه وبيانه وهو السنة؛ لأنه إذا كان كلياً، وفيه أمور جلية... فلا يحصى عن النظر في بيانه³.

فالسنة شارحة للقرآن الكريم ومبينة له عند كل من الإمام الألوسي. يقول الإمام الألوسي: والتحقيق عندي أن جميع ما عند النبي ﷺ من الأسرار الإلهية وغيرها من الأحكام الشرعية قد اشتمل عليه القرآن المنزل. فقد قال سبحانه: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ"⁴ وقال تعالى: "مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ"⁵ وقال صلى الله عليه وسلم "ستكون فتن، قيل: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تعالى فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما فيكم"⁶ وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال: "أنزل في هذا القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن"⁷ وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: "جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن" ويؤيد ذلك ما رواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لا أحل إلا ما أحل الله تعالى في كتابه ولا أحرم إلا ما حرم الله تعالى في كتابه"⁸ وقال المرسي⁹: "جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحيط بها علما

1 انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، (200/4).

2 سبقت ترجمته

3 انظر: الموافقات (138/4).

4 سورة النحل: 89.

5 سورة الأنعام: 38.

6 سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن (22/5) رقم الحديث: 2906، حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول (ضعيف سنن الترمذي، ضعف أحاديثه: محمد ناصر الألباني، ن: للمكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى 1411 هـ - 1991 م، عدد الأجزاء: 1) (ص: 349)

7 تفسير الطبري (279/17)، وتفسير ابن أبي حاتم (2297/7)

8 المعجم الأوسط، باب الميم، من اسمه: محمد (42/6)، رقم الحديث: 5741، حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث صحيح (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (النتوق: 1420 هـ)، ن: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (مكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: 6) (325/5)

9 أبو العباس أحمد بن عمر المرسي، شهاب الدين: فقيه متصوف، من أهل الإسكندرية، لأهلها فيه اعتقاد كبير، إلى اليوم. أصله من مرسية في الأندلس، و توفي 686 هـ) أنظر: النجوم الزاهرة (371/7)

حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة ومثل ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهما، حتى قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت المهمة وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، فنوعوا علومه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه¹.

وقال في مكان آخر: قوله سبحانه: "تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ" يدخل فيه العقائد والقواعد بالدخول الأولى، وذلك مستمر إلى البعث وما بعده، ولا حاجة إلى ما قيل من أن المعنى بحيث أو بحال أنا كما نزلنا عليك وتلك الحشية ثابتة له سبحانه وتعالى إلى الأبد انتهى².

وقال الجلال الدين المحلي³: في الرد على من لم يجوز تخصيص السنة بالكتاب: إنه يدل على الجواز قوله تعالى: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ" وإن خص من عموم ما خص بغير القرآن، وتوجيه كونه تبيناً لكل ما يتعلق بالدين بما تقدم هو الذي يقتضيه كلام غير واحد من الأجلة. فعن الشافعي رحمه الله أنه قال مرة بمكة: سلوني عما شئتم أخبركم عنه من كتاب الله تعالى فقليل له: ما تقول في المحرم يقتل الزنور؟ فقال: **يُسَيِّمُ اللَّهُ الرَّجْمَ الرَّجْمَ** قال الله تعالى: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا"⁴

و روي عن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال: "اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر"⁵ وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه "أنه أمر بقتل المحرم الزنور، وروى البخاري عن ابن مسعود رحمه الله أنه قال: لعن الله تعالى الواشحات والمنوشحات والمنتمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى فقالت له امرأة في ذلك فقال: ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله تعالى فقالت له: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت

1 تفسير روح المعاني (191/6)

2 تفسير روح المعاني (451/7)

3 هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي: أصولي، مفسر. مولده ووفاته (791 - 864 هـ) بالقاهرة. أنظر:

طبقات المفسرين للداودي (84/2)

⁴ سورة الحشر: 7.

5 سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب أبي بكر صديق ﷺ (572/6)، رقم الحديث: 3662، حكم الحديث: قال أبو عبد الله أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي هذا حديث صحيح (صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، لأبي عبد الله أحمد بن حمدان النميري الحراني الحنبلي، ن: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الرابعة - 1404، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء: 1 (ص: 54))

فيه ما تقول فقال: لكن كنت قرأته لقد وجدته أما قرأت وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت: بلى قال: فإنه عليه الصلاة والسلام قد غي عنه¹. ويتبع الإمام الألوسي معنى الآية التي بينها الرسول ﷺ بنفسه، ومعنى التي لم يبينها ﷺ بنفسه ولكن يقوم أن يبين معناها بواسطة سنة النبوة، وأمثله كما يلي:

المثال الأول: أصل المسألة: إن دعاء الكافر يقبل أم لا؟

"قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ"²، "وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ"³

إن الآية الأولى تدل على أن دعاء الكافر يقبل ولكن الآية الثانية تدل بعكسها، فكيف تكون الموافقة بين الآيتين؟

ذكر الإمام الألوسي آراء العلماء لحل الإشكال بين الآيتين:

أورد الإمام الألوسي قول الدبوسي⁴ وقال: إن دعاء الكافر قد يستجاب وغيره من الفقهاء خلافا لما نقله في البزاية⁵ عن البعض من أنه لا يجوز أن يقال: إن دعاء الكافر مستجاب لأنه لا يعرف الله تعالى ليدعوه، والفتوى على الأول للظاهر ويشهد على هذا التفسير بقول النبي ﷺ: دعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافرا⁶. وحمل الكفر على كفران النعمة لا كفران الدين خلاف الظاهر، ولا يلزم من الاستجابة المحبة والإكرام فإنما قد تكون للاستدراج⁷.

1 صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} [الحشر: 7] (187/12)، رقم الحديث: 4886، انظر: تفسير روح المعاني (452/7)

2 سورة الأعراف: 14.

3 سورة الرعد: 14، سورة غافر: 50.

4 العلامة، شيخ الحنفية، القاضي، أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي، البخاري، عالم ماوراء النهر و أول من وضع علم الخلاف وأبرزه وكان من أذكى الأئمة، وله كتاب: (تقويم الأدلة)، وكتاب (الأسرار)، وكتاب (الأمد الأقصى، وأشياء. مات: ببخارى، سنة ثلاثين وأربع مائة. أنظر: وفيات الأعيان (1/ 410) وشذرات الذهب (3/ 245).

5 الفتاوى العللكيرية المعروفة بالفتاوى الهندية وبهامشه فتاوى قاضي خان والفتاوى البزاية، لنظام - حسن بن منصور الأوزجندی فخر الدين حالة الفهرسة: غير مفهرس، ن: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق - مصر، سنة النشر: 1310، عدد المجلدات: 6، رقم الطبعة: 2، (326/3)

6 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إِذَا أَسْلَمَ قَوْمٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ، وَلَهُمْ مَالٌ وَأَرْضُونَ، فَهِيَ لَهُمْ (8/ 38)، رقم الحديث: 3059.

7 تفسير روح المعاني: (333-331/4)

بأن دعاء الكافر قد يستجاب كما يستجاب دعاء إبليس وهو رأس الكفار نص في ذلك¹. ذكر الإمام الألوسي موقف الفقهاء وقال: إن دعاء الكافر لا يستجاب "وما دعاء الكافرين إلا في ضلال" أي في ضياع وبطلان أي لا يجاب، فهذه الجملة من كلام الخزنة. وقيل هي من كلامه تعالى اخباراً منه سبحانه لرسوله ﷺ.

و استدلل بما مطلقاً من قال: إن دعاء الكافر لا يستجاب وإنه لا يمكن من الخروج في الاستسقاء. قال الإمام الألوسي: وأجيب بأن المراد دعاءهم الله تعالى بما يتعلق بالآخرة، وعلى هذا يحمل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن أصوات الكفار محجوبة عن الله تعالى فلا يسمع دعاءهم. وأن الكافر قد يقع في الدنيا ما يدعوا به ويطلبه من الله تعالى إثر دعاء كما يشهد بذلك آيات كثيرة².

النتيجة: قال الإمام الألوسي إن دعاء الكافر قد يستجاب في الدنيا كما قال إبليس "أنظرنني إلى يوم يبعثون" واستدل مع الحديث النبوي ﷺ "دعوة المظلوم مستجابة وإن كافراً" ولكن في الآخرة لا يستجاب كما قال الله تعالى "وما دعاء الكافرين إلا في ضلال" و خصص تخصيص هذه الآية مع الكفار في الآخرة بقول ابن عباس رضي الله عنهما "أن أصوات الكفار محجوبة عن الله تعالى فلا يسمع دعاءهم، فحينئذ اندفع التعارض.

إن الإمام الألوسي رفع الإشكال ببيان الحديث وبأصول العام والخاص وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة. المثال الثاني: أصل المسألة: "وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ"³، "وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا"⁴، "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ"⁵.

إن الآية الأولى تدل على أن الله تعالى أخبر كل قصص لرسوله ﷺ ولكن الآية الثانية تدل على عكسها يعني ما أنبأ الله تعالى جميع القصص بل بعض قصص، فكيف الجمع بين الآيات؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ" أي إن الله تعالى بين كل نوع من أنواع القصص التي ثبتت فؤاد الرسول ﷺ يعني نقص عليك من أنباء الرسل الأشياء التي ثبتت بها فؤادك جميعاً⁶.

1 تفسير روح المعاني (119/7)

2 تفسير روح المعاني (329-331/12)

3 سورة هود: 120.

4 سورة النساء: 164.

5 سورة غافر: 78.

6 انظر: تفسير روح المعاني (359/6)

قال الإمام الألوسي معنى "من قبل" أي من قبل هذه السورة، أو اليوم، قيل: بين الله تعالى القصص على النبي ﷺ بمكة في سورة الأنعام وغيرها، وقال بعضهم: إن الله تعالى قصص الأنبياء على النبي ﷺ بالوحي في غير القرآن ثم قصهم عليهم بعد في القرآن "وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ" أي من قبل فلا تنافي الآية ما ورد في الخبر من أن الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر، والأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وعن كعب أنهم ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً لأن نفي قصهم من قبل لا يستلزم نفي قصهم مطلقاً فإن نفي الخاص لا يستلزم نفي العام¹، واستشهد الإمام الألوسي لاثبات المعنى المذكور بسنة النبوي ﷺ كما أخرج أحمد عن أبي ذر أنه سئل النبي ﷺ كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قلت: يا رسول الله كم الرسل؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير².

ولا يعارض هذا قوله تعالى: "وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا"³ أوردنا أخبارهم وآثارهم عَلَيْكَ كنوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام. وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وهم أكثر الرسل عليهم الصلاة والسلام. ولا يلزم من ذلك استمرار النفي فيجوز أن يكون قد قصوا عليه عليه الصلاة والسلام جميعاً بعد ذلك ولم ينزل ذلك قرآناً، وأظهر من ذلك في الدلالة على عدم استمرار النفي قوله تعالى: "رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ"⁴ لتبادر الذهن فيه إلى أن المراد لم نقصصهم عليك من قبل لمكان قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وبالجملة الاستدلال بالآية على أنه ﷺ لم يعلم عدة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ولا علمها بعد جهل عظيم بل خذلان جسيم نعوذ بالله تعالى من ذلك، وكان رسول الله ﷺ يعلم قصص الأنبياء كلهم التي لم يذكر في القرآن الكريم واستشهد الإمام الألوسي لاثبات موقفه برواية ابن عباس وعلي كرم الله تعالى وجهه ﷺ كما تلي: وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه عن علي كرم الله تعالى وجهه في قوله تعالى: "وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ

1 انظر: تفسير روح المعاني (495/1-496)

2 مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني، ما انتهى إلينا من مسند محمد بن الوليد الزبيدي، ت: حدي بن عبدالحيد السلفي، ن: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى، 1405 - 1984، عدد الأجزاء: 4 (154/3)، رقم الحديث: 1950، حكم الحديث: قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله التبريزي هذا حديث صحيح (مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ن: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985، عدد الأجزاء: 3 (1589/3))

3 سورة النساء: 164.

4 سورة النساء: 164.

نَقُصُّصُ عَلَيْكَ" قال: "بعث الله تعالى عبدا حبشيا نبيا فهو ممن لم يقصص على محمد ﷺ" وعن ابن عباس بلفظ "إن الله تعالى بعث نبيا أسود في الحبش فهو ممن لم يقصص عليه عليه الصلاة والسلام¹".

قال الإمام الألوسي لو أن الرسول ﷺ لا يعلم القصص التي لم يذكر في القرآن الكريم فمن أين علم علي كرم الله تعالى وجهه أو ابن عباس ذلك وهل يقول باب مدينة العلم على علم لم يفض عليك من تلك المدينة حاشاه ثم حاشاه وكذا ابن عمه العباس عبد الله².

النتيجة: قال الإمام الألوسي إن الله تعالى بين كل نوع من أنواع القصص التي يثبت به فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة في سورة الأنعام وغيرها، وقال بعضهم: قصصهم سبحانه عليه عليه الصلاة والسلام بالوحي في غير القرآن ثم قصصهم عليهم بعد في القرآن "وَرُسُلًا لَمْ نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ" أي من قبل فلا تنافي الآية ما ورد في الخبر من أن الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر، والأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا. إن الإمام الألوسي اندفع التعارض بين الآيات والحديث وقال: لا يقال إن الله تعالى لم يبين القصص التي لم يذكر في القرآن الكريم للرسول صلى الله عليه وسلم بل بين جميع القصص لنبي ﷺ كما ثبت برواية ابن عباس وعلي عليه السلام. إن الإمام الألوسي حل هذا الإشكال ببيان الحديث وبأصول معرفة اللغة.

المثال الثالث: أصل المسألة: إن الإنسان يقرأ الأعمال بنفسه في يوم القيامة أو فقط إن الله تعالى يحاسب؟ "اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا"³، "وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ"⁴

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن النفس سينظر حسابه بنفسه ولكن الآية الثانية تدل على عكسها، فكيف للموافقة بين الآيتين؟

ذكر الإمام الألوسي أقوال العلماء لدفع توهم التعارض بين الآيتين:

الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا" أي المراد بالنفس الجوارح فإنه يشهد على العبد إذا أنكر وهو خلاف الظاهر، واستشهد على التفسير المذكور بقول مقاتل.

الثاني: ذكر الإمام الألوسي قول الحسن: حينما يحاسب الله تعالى أعمال الكافر فقال الكافر فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له "اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ" أنه يقال ذلك للمؤمن والكافر ويشهد الإمام الألوسي على التفسير

1 تفسير الطبري (368/20)

2 انظر تفسير روح المعاني: (341/12)

3 سورة الإسراء: 14.

4 سورة الأنبياء: 47.

برواية ابن أبي حاتم عن السدي "من أن الكافر يخرج له يوم القيامة كتاب فيقول: رب إنك قضيت أنك لست بظلام للعبيد فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له "اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ"¹ أو لما نبأ الله تعالى حال إنباته بقبايح أفعاله يعرض عليه كتابه فيقال له "اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا"² فإذا أخذ في القراءة تلجلج لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة فقبل له "لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُفْجِلَ بِهِ" هذا التوضيح أقرب إلى توضيح الآية أن الإنسان يقرء بنفسه³. وجاء أن المؤمن يقرأ أولاً سيئاته وحسناته في ظهر كتابه يراها أهل الموقف ولا يراها هو فيغبطونه عليها فإذا استوفى قراءة السيئات وظن أنه قد هلك رأى في آخرها هذه سيئاتك قد غفرناها لك فيتبلج وجهه ويعظم سروره ثم يقرأ حسناته فيزداد نورا "وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا"⁴ ، "فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً"⁵ ، "إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً"⁶ وأما الكافر فيقرأ أولاً حسناته وسيئاته في ظهر كتابه يراها أهل الموقف فيتعذرون من ذلك فإذا استوفى قراءة الحسنات وجد في آخرها هذه حسناتك قد رددناها عليك وذلك قوله تعالى: "وَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْءًا مَّنْثُورًا"⁷ فيسود وجهه ويعظم كربه ثم يقرأ سيئاته فيزداد بلاء على بلاء وينقلب بمزيد خيبة وشقاء ويقول: "يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَّةً"⁸ جعلنا الله تعالى ممن يقرأ فيرقى لا ممن يقرأ فيشقى منه وكرمه هذا.

الثالث: قال الإمام الألوسي: فسر بعضهم "الكتاب بالنفس" بمعنى المنتقشة بآثار الأعمال ونشره وقراءته بظهور ذلك له ولغيره، ويانه أن ما يصدر عن الإنسان خيرا أو شرا يحصل منه في الروح أثر مخصوص وهو خفي ما دامت متعلقة بالبدن مشتغلة بواردات الحواس والقوى فإذا انقطعت علاقتها قامت قيامته لانكشاف الغطاء

1 انظر: تفسير روح المعاني (2321/7)، وتفسير ابن أبي حاتم (2321/7)

2 سورة الإسراء: 14.

3 انظر: تفسير روح المعاني (159/15)

4 سورة الانشقاق: 9.

5 سورة الحاقة: 19.

6 سورة الحاقة: 20.

7 سورة الفرقان: 23.

8 سورة الحاقة: 25، 26.

باتصالها بالعالم العلوي فيظهر في لوح النفس نقش أثر كل ما عمله في عمره وهو معنى الكتابة والقراءة¹، وكفى بنا حاسِبِينَ قيل أي عادين ومحصين أعمالهم على أنه من الحساب مرادا به معناه اللغوي وهو العد².

النتيجة: إن التوجيهات مختلفة لدفع الإشكال بين الآيتين كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي: لما يحاسب الله تعالى أعمال الإنسان فيقول: رب إنك قضيت أنك لست بظلام للعبيد فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك، وأيضا يظهر الله تعالى أعمال الإنسان عليه، لكي يطمئن الإنسان فحينما يشاهد أعماله التي عمل في الدنيا ويقبل أعماله بنفسه حينما يربها. فدفع التعارض بين الآيتين بمعرفة اختلاف الأمكنة والأزمنة.

الوجه الثاني: قوله تعالى "كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا" إن المراد بالنفس الجوارح فإنه يشهد على العبد إذا أنكر وهو خلاف الظاهر، فاندفع التعارض بين الآيتين بتخصيص الآيتين.

الوجه الثالث: المراد بالقراءة والكتابة: المنتقشة بآثار الأعمال ونشره وقراءته بظهور ذلك له ولغيره لما يصدر الأعمال من الإنسان ما شاء من خير أو شر فيحصل له أثر مخصوص بالروح وهو يكون مخفيا حتى انقطع الروح من بدنه فبعد انقطاعه أنه يتصل بالعالم العلوي فيظهر في لوح النفس نقش أثر كل ما عمله في عمره وهو معنى الكتابة والقراءة. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بأصول تفسير القرآن بالقرآن و بيان الحديث و بأصول العام الخاص.

1 انظر: تفسير روح المعاني (33/8-34)

2 انظر: تفسير روح المعاني (55/9)

الفصل الثاني: منهج الإمام الألوسي في الاستفادة من علوم القرآن وأصول التفسير
لدفع التعارض والتناقض المتهوم في بعض الآيات:

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أسلوب القرآن في العام والخاص

التعريف للعام لغة واصطلاحاً:

لغة: هو الشامل المستغرق، يقال عمهم الأمر يعمهم عموماً شملهم، ويقال عمهم بالعطية أي شملهم¹.
اصطلاحاً: هو لفظ يستغرق جميع ما يصلح له دفعة بحسب وضع واحد بلا حصر².

التعريف للخاص لغة واصطلاحاً:

لغة: المنفرد، مأخوذ من قولهم: اختص فلان بكذا: إذا انفرد به دون غيره، وخصني بكذا أفردته لي³.
اصطلاحاً: هو صرف اللفظ عن جهة العموم إلى جهة الخصوص، ولا معنى لتخصيص العموم سوى صرف
اللفظ عن جهة العموم الذي هو حقيقة فيه إلى جهة الخصوص بطريق المجاز⁴.

معنى القاعدة، ومجال تطبيقها:

الجمع بالتخصيص، يفيد أن مجال تطبيقها إنما يكون عند ورود نصين ظاهرهما التعارض، أحدهما عام والآخر
خاص، ويراد بهما العموم والخصوص المطلقان. بحيث يتناول النص الخاص حكماً مخالفاً لما يقابله من حكم
النص العام-وهذا منشأ التعارض- وعندئذ يكون دفعه ببيان أن النص العام لا يتناول أفراد النص الخاص بالحكم،
ويتناول ما عداه من أفراد، فنكون بذلك قد قصرناه على بعض أفرادها، وهذه هي حقيقة التخصيص. وبذلك يتم

1 لسان العرب (426/12)

2 روضة الناظر (ص: 194)، كشف الاسر (33/1)

3 لسان العرب (406/9)

4 الإحكام في أصول الأحكام، للامدي (282/2)

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (110)

الجمع بين النصين المتعارضين، ويتحقق العمل بكليهما، وبيان ذلك: أنه يعمل بالنص الخاص فيما تناوله من أفراد، ويعمل بالنص العام في باقي أفراد بعد إخراج أفراد ذلك الخاص منه¹.

منهج الإمام الألوسي لدفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية ببيان أسلوب العام والخاص في ضوء تفسير روح المعاني:

المثال الأول للعام: أصل المسألة: إن رسالة الرسول ﷺ مخصوص فقط للمؤمنين أو عام لجميع الناس؟ "إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"² ، "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"³ ، "وَأَنْزَلْنَا عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"⁴

إن الآية الأولى تدل رسالة التبشير والتنذير مخصوص مع المؤمنين فقط ولكن الآية الثانية تدل على أن رسالة التبشير والتنذير عام لجميع الناس ولكن الآية الثالثة تدل على أنهما مخصوص مع الأقارب فكيف تطابق بين الآيات المذكورة؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "نذير" أي تقديم النذير لأن المقام مقام إنذار "لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" أي يصدقون بما جئت به، والجار إما متعلق بالوصفين جميعاً والمؤمنون ينتفعون بالإنذار كما ينتفعون بالتبشير وإما متعلق بالآخر ومتعلق الأول محذوف أي نذير للكافرين، وحذف ليظهر اللسان منهم⁵.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ" أي جاء الناس كافة جاؤوا جميعاً، ذهب أبو حيان أي ما أرسلناك إلا كافاً ومانعاً للناس عن الكفر والمعاصي. والآية عليه أظهر في الاستدلال على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وهي ذلك⁶ كقوله تعالى: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً"⁷.

1 منهج الإمام الطحاوي في دفع التعارض بين النصوص الشرعية (من خلال كتابه "شرح مشكل الآثار")، رسالة مقدمة لنيل درجة "المجستير" في أصول الفقه الإسلامي، إعداد الطالب: حسن بن عبد الحميد بن عبد الحكيم البخاري، جامعة أم القرى بمكة المكرمة (ص: 55)

2 سورة الأعراف: 188.

3 سورة سبأ: 28.

4 سورة الشعراء: 214.

5 انظر: تفسير روح المعاني: 128/5.

6 انظر: تفسير روح المعاني: 316/11.

7 سورة الأعراف: 158.

فَأَنْذِرْ أَي فافعل الإنذار أو أحدثه فلا يقصد منذر مخصوص، وقيل يقدر المفعول خاصا أي فأنذر عشيرتك الأقربين لمناسبته لابتداء الدعوة في الواقع، وقيل يقدر عاما أي فأنذر جميع الناس لقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"¹ ولم يقل هنا وبشر لأنه كان في ابتداء النبوة والإنذار هو الغالب إذ ذاك أو هو اكتفاء لأن الإنذار يلزمه التبشير².

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية:

الوجه الأول: ذكر الإمام الألوسي بأن هناك عبارة محذوفة وهي "إن أنا إلا نذير" أي نذير للكافرين فإذاً هذه الآية ليست مخصوصة بالمؤمنين بل هي شاملة للمؤمنين والكافرين.

الوجه الثاني: إن الآية الثانية "وأنذر عشيرتك" لا تدل على منذر مخصوص بل يقدر المفعول خاصا أي فأنذر عشيرتك لمناسبة لابتداء الدعوة في الواقع أو يقدر عاما أي فأنذر جميع الناس كما جاء في قوله تعالى "وما أرسلناك إلا كافة للناس" إن الإمام الألوسي دفع هذا التعارض بأسلوب العام والخاص ومعرفة اللغة وتفسير القرآن بالقرآن.

المثال الثاني: للخاص: أصل المسألة: إن الريح كان عاصفة أو رخاء؟

"وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ"³ ، "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ"⁴

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الريح كان عاصفة ولكن الآية الثانية تدل على أن الريح كان رخاء، فكيف الجمع بين الآيتين المذكورتين؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "عاصفة" أي الريح عاصفة ثم الظاهر أن المراد بالريح هذا العنصر المعروف العام لجميع أصنافه المشهورة، وقيل: المراد بها الصبا. وفي بعض الأخبار ما ظاهره ذلك، فعن مقاتل أنه قال: ترفع لسليمان عليه السلام ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح. وما ذكر من أنه يحمل على البساط هو المشهور ولعل ذلك في بعض الأوقات وإلا فقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد أنه قال: كان لسليمان عليه السلام مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت يركب

1 سورة سبأ: 28.

2 انظر: تفسير روح المعاني: 130/15.

3 سورة (الأنبياء: 81).

4 سورة ص: 36.

معه فيه الجن والإنس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب فإذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به فساروا معه فلا يدري القوم إلا وقد أظلمهم منه الجيوش والجنود¹.

وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة وأبو جعفر "الرياح" بالجمع قيل: وهو أوفق لما شاع من أن الريح تستعمل في الشر والرياح في الخير، وقد علمت أن ذلك ليس بمطرد، وقوله تعالى: تَجْرِي بِأَمْرِ بِيَانٍ لِنَسْخِيرِهَا لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ حَالِ أَيِّ جَارِيَةٍ بِأَمْرِ رُخَاءٍ أَيِّ لِينَةٍ مِنَ الرِّخَاوَةِ لَا تَحْرُكُ لِشِدَّتِهَا. واستشكل هذا بأنه يناقض قوله تعالى: "وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً"² لوصفها ثمت بالشدة وهنا باللين.

وأجيب بأنها كانت في أصل الخلقة شديدة لكنها صارت لسليمان لينة سهلة أو أنها تشتد عند الحمل وتلين عند السير فوصفت باعتبار حالين أو أنها شديدة في نفسها فإذا أراد سليمان عليه السلام لينها لانت على ما يشير إليه قوله تعالى: "بِأَمْرِهِ" أو أنها تلين وتعصف باقتضاء الحال، وقال ابن عباس والحسن والضحاك: رخاء مطيعة لا تخالف إرادته كالأمر المنقاد، فالمراد بلينها انقيادها له وهو لا يناقض عصفها، واللين يكون بمعنى الإطاعة³.

النتيجة: إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بصورتين:

الصورة الأولى: إن "عاصفة" في أصل الخلقة شديدة لكنها لينة سهلة لسليمان عليه السلام.

الصورة الثانية: إن كلمة "عاصفة" بمعنى لين والمراد من اللين الإطاعة فإذا لا تعارض بين الآيتين.

إن الإمام الألوسي خصص المعنى العام بالمعنى الخاص كما مر.

المثال الثالث: للخاص: أصل المسألة: هل يثبت الحلال في يوم القيامة أم لا؟

"قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بِنَعْفٍ فِيهِ وَلَا خِلَافٌ"⁴ ، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بِنَعْفٍ فِيهِ وَلَا خِلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ"⁵ ، "الْأَخْلَاءُ يُؤْمِنُ بِغَضَبِهِمْ لِنَعْصِ عَدُوٍّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ"⁶

فإن قيل: في يوم القيامة "لا خلاف" كما جاء في الآيتين الأولىين ولكن الآية الثالثة تدل على أن يكون الأخلاء في يوم القيامة فكيف الجمع بين الآيات؟

1 انظر: تفسير روح المعاني (76-74/9)

2 الأنبياء: 81.

3 انظر: تفسير روح المعاني (194/12)

4 سورة إبراهيم: 31.

5 سورة البقرة: 254.

6 سورة الزخرف: 67.

قال الإمام الألوسي: أن يكون المعنى من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه لما لحجوا بتعاطيه من البيع والمخاللة ولا انتفاع بذلك وإنما الانتفاع والارتفاق فيه بالإتفاق لوجه الله تعالى، فعل الأول المنفي البيع والخلال في الآخرة، ولا يشكل ما هنا مع قوله تعالى: "الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ"¹ حيث أثبت فيه للمخاللة وعدم العداوة بين المتقين لأن المراد هنا على ما قيل نفي المخاللة النافعة بذاتها في تدارك ما فات ولم يذكر في تلك الآية أن المتقين يتدارك بعضهم لبعض ما فات.

ولقيل في التوفيق بين الآيتين: إن المراد لا مخاللة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس وتلك للمخاللة الواقعة بين المتقين في الله تعالى. وفيه تقرير الحاصل أن قوله تعالى: "لا يَبْتَغِ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ" أي لا انتفاع بمما كناية عن الانتفاع بما يقابلها وهو ما أنفق لوجه الله تعالى فهو حث على الإتفاق لوجهه سبحانه كأنه قيل: لينفقوا له من قبل أن يأتي يوم ينتفع بانفاقهم للنفقون له ولا ينفع الندم لمن أمسك².

وذكر في آية البقرة "مَنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْتَغِ فِيهِ وَلَا خِلَّةٌ"³ أن المعنى من قبل أن يأتي يوم لا تقدر فيه على تدارك ما فاتكم من الإتفاق لأنه لا بيع حتى تتناعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم أخلاقكم به⁴. "الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" الظرف متعلق بعدو والفصل لا يضره، والمراد أن الخبثات تنقطع يوم إذ تأتيهم الساعة ولا يبقى إلا محبة المتقين وهم المتصادقون في الله عز وجل لما أنهم يرون ثواب التحاب في الله عن وجل لما أنهم يرون ثواب التحاب في الله تعالى، واعتبار الانقطاع لأن الخل حال كونه خللاً محال أن يصير عدواً⁵.

النتيجة: قال الإمام الألوسي: إن الآية "لاخلال" مخصوصة مع الذين لا ينفقون أموالهم لوجه الله تعالى، والآية الثانية "لا خلة و لا شفاعة" مخصوصة بالكفار. والآية الثالثة "الأخلاء يومئذ..." مخصوصة بالمتقين. إن الإمام الألوسي رفع هذا الإشكال بأصول العام والخاص.

1 سورة الزخرف: 67.

2 انظر: تفسير روح المعاني (210-209/7)

3 سورة البقرة: 254.

4 انظر: تفسير روح المعاني (13-6/6)

5 انظر تفسير روح المعاني (97/13)

المبحث الثاني: دلالة اللغة العربية

المثال الأول: أصل المسألة: إن يوشع عليه السلام نسي أو نسيا يوشع وموسى معا؟
 "لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا"¹ ، "لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا"²

فإن قيل جاء في الآية الأولى "إمرا" ولكن في الآية الثانية "نكرا"، فكيف الجمع بين الآيتين؟
 قال الإمام الألوسي: لَقَدْ جِئْتَ أَنْبَتَ وَفَعَلْتَ شَيْئًا إِمْرًا أي داهيا منكرا من أمر الأمر بمعنى كثر قاله الكسائي فأصله كثير، والعرب كما قال ابن جني³ في سر الصناعة تصف الدواهي بالكثرة.
 وفي الرواية عن الربيع أن موسى عليه السلام لما رأى من الخضر ما رأى امتلا غضبا وشد عليه ثيابه وأراد أن يقذف الخضر عليه السلام في البحر فقال أردت هلاكهم فستعلم أنك أول هالك وجعل كلما ازداد غضبا استعر البحر وكلما سكن كان البحر كالدهن⁴.

"لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا" منكرا جدا، قال الألوسي: المنكر ما أنكرته العقول ونفرت عنه النفوس وهو أبلغ في تقبيح الشيء من الأمر، وقيل بالعكس، وقال الراغب: المنكر الدهاء والأمر الصعب الذي لا يعرف، وهذه الأبلغية قال بعضهم المراد شيئا أنكر من الأول، واختار الطيبي أنه دون الأمر وقال: إن الذي يقتضيه النظم أنه ذكر الأغلظ ثم تنزل إلى الأهلون ف... الخلق لما فيه من إهلات حاد... إقامة الحداد...
 النتيجة: إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بصورة...

الصورة الأولى: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "إمرا" أي داهيا منكرا من أمر الأمر بمعنى كثر، والمراد من قوله تعالى: في آ... "نكرا" أن التفسير المعنوي واحد لهما فارتفع الاشتراك معاني الكلمات يعني لفاهم مختلف ونحن معهما سر... الصورة الثانية: إن لفظ "إمرا" الأول و لفظ "نكرا" في آية الثانية جاء باقتضاء رعاية النظم يعني "إمرا" تدل على معنى الأغلظ و لفظ "نكرا" تدل على الأهلون فارتفع الإشكال بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين باستخدام معرفة كلام العرب و ببيان البلاغة.

¹ سورة الكهف: 71.

² سورة الكهف: 74.

³ هو أبو الفتح عثمان بن جني للوصلی، صاحب التصانيف: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي (392) ببغداد. أنظر: سير أعلام النبلاء، (17/17-18)

⁴ تفسير روح المعاني (317/8)

⁵ تفسير روح المعاني (318/8-319)

المثال الثاني:

أصل المسألة: هل يتكلم أي إنسان في يوم القيامة أم لا؟
 "يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ"¹ ، "هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ"² ، "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجَادِلٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"³

إن الآية الأولى تدل في يوم القيامة لا تكلم نفس ولكن بإذن الله تعالى وأيضا الآية الثانية تدل مثل آية الأولى ذلك اليوم ليس النطق لأي نفس ولكن الآية الثالثة تدل على عكسهما، كيف ترفع هذه المناقاة بين الآيات؟
 ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لحل الإشكال بين الآيات كما يلي:

الأول: المراد من قوله تعالى "لا تَكَلِّمُ نَفْسٌ" أي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة يعني أنهم يتكلمون ولكن كلامهم عبثا.

الثاني: المراد من قوله تعالى "إِلَّا بِإِذْنِهِ" أي إلا بإذن الله تعالى شأنه وعز سلطانه في التكلم كقوله سبحانه: "لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ"⁴ وهذا في موقف من مواقف ذلك اليوم، وقوله تبارك وتعالى: "هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ"⁵ في موقف آخر من مواقفه كما أن قوله تعالى: "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُجَادِلٌ عَنْ نَفْسِهَا"⁶ في آخر منها، وروي هذا عن الحسن.

الثالث: إن الله تعالى أجاز لهم كلاما ولكن يكون الإذن على كلام الحق فقط والممنوع منه الأعذار بالباطلة ، نعم قد يؤذن فيها أيضا لإظهار بطلانها كما في قول الكفرة: وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ⁷ ونظائره.

الرابع: وأجاب قوم من المفسرين عن ذلك بأن يوم القيامة يوم طويل ممتد فيجوز أن يمنعوا النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض آخر منه ، ويضعف هذا الجواب أن الإشارة إلى يوم القيامة بطوله فكيف يجوز أن تكون الآيات فيه مختلفة، وعلى ما ذكره يكون معنى هذا "يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ" هذا يوم لا ينطقون في بعضه وهو خلاف الظاهر، لم يقبل الإمام الألوسي التوجيه المذكورة لذا قال الإمام الألوسي: الجواب السديد عندي: عن ذلك أن يقال: إنما

¹ سورة هود: 105.

² سورة المرسلات: 35.

³ سورة النحل: 111.

⁴ سورة النبا: 38.

⁵ سورة المرسلات: 35، 36.

⁶ سورة النحل: 111.

⁷ سورة الأنعام: 23.

أريد نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله إقامة حجة وخلاص لا نفي النطق مطلقاً بحيث يعم ما ليس له هذه الحالة، ويستشهد على الجواب المذكور بكلام العرب وقال: يجري هذا المجرى قولهم: خرس فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم نره قال شيئاً وإن كان الذي وصف بالخرس والذي نفي القول قد تكلم بكلام كثير إلا أنه من حيث لم يكن فيه حجة ولم يتضمن منفعة جاز إطلاق ما حكيناه عليه¹، فاندفع التعارض بين الآيات².

النتيجة: إن التوجيهات المختلفة لحل الإشكال بين الآيات كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: في الحقيقة إن الكلام ليس ممنوعاً بل كلامهم لا ينفعهم ولا ينجيهم من جواب وشفاعة.

الوجه الثاني: إن الكلام في يوم القيامة يكون بإذن الله تعالى.

الوجه الثالث: إن القيامة له مواقف، فيجوز أن النطق ممنوع في موقف و يؤذن في موقف آخر.

الوجه الرابع: إن يوم القيامة يكون يوماً طويلاً ممتداً فيجوز أن يمنعوا النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض آخر منه. إن الإمام الألوسي رجح الوجه الأول وقال: إنما أريد نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله إقامة حجة وخلاص لا نفي النطق مطلقاً بحيث يعم ما ليس له هذه الحالة و رجح الرأي المذكور بقول اللغة. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بأصول معرفة كلام العرب وبأصول العام والخاص وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

المثال الثالث: أصل المسألة: نسبة لفظ سيق إلى المؤمنين والكافرين

"يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا"³، "وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ"⁴

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن حشر المتقين يكون بصورة وفد ولفظ الوفد يدل على الإكرام والإشراف ولكن جاء في الآية الثانية قوله تعالى "وسيق" هذا اللفظ يستعمل للمجرمين للإهانة وأيضاً لفظ المذكور يستعمل للمتقين، فكيف الجمع بين الآيتين؟

1 أمالي السيد المرتضى، للشيخ أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين (في التفسير والحديث والأدب)، الطبعة الأولى: 1325هـ-1907م، صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعساني)، ط: بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل، عدد الأجزاء: 3 (34/1)

2 انظر: تفسير روح المعاني (335-334/6)

³ سورة مريم: 85.

⁴ سورة الزمر: 73.

حيث قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا" أي ركبانا ويشهد الإمام الألوسي على هذا التفسير برواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة¹، وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن علي كرم الله تعالى وجهه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقلت: يا رسول الله هل الوفد إلا الركب؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة وعليها رجال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة"² الحديث، وكذلك الذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك، ويشهد الإمام الألوسي على هذا التفسير بقول الراغب وقال: الوفد والوفود هم الذين يقدمون على الملوك مستنجزين الخواص، ومنه الوفد من الإبل وهو السابق لغيرها، وهذا المعنى الذي ذكره هو المشهور، ومن هنا قيل: إن لفظة الوفد مشعرة بالإكرام والتبجيل حيث أذنت بتشبيه حالة المتقين بحالة وفود الملوك وليس المراد حقيقة الوفادة من سائر الحيات لأنها تتضمن الانصراف من الوفود عليه³.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا" جماعات مرتبة حسب ترتب طبقاتهم في الفضل، و يشهد على هذا التفسير برواية أبي هريرة قال: "قال رسول الله ﷺ أول زمرة تدخل الجنة من أمي على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل" يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل⁴.

وقال الإمام الألوسي لما ينسب لفظ "السوق" إلى المتقين فحيث الذي يدل على الإكرام والشرف ودار الكرامة؛ لأنهم يساقون إلى الجنة لحب لقاء الله تعالى ولشغفه وأن الملائكة لا يساقون المتقين بل يساقون مركبهم. وحينما

1 صفة الجنة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت: علي رضا عبد الله، ن: دار المأمون للتراث - دمشق / سوريا، عدد الأجزاء: 2x3 (128/2)

2 تفسير ابن أبي حاتم (1480/5)، حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث ضعيف (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ن: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ / 1992 م، عدد الأجزاء: 14) (501/14)

3 انظر: تفسير روح المعاني (51/8-452)، وتفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ن: دار الفكر، عدد الأجزاء: 8 (159/6)

4 صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة (2179/4)، رقم الحديث: 2834.

لفظ "السوق" ينسب إلى الكفار و أهل جهنم فحينئذ الذي يدل على الإهانة لم يساقوا الكفار وأهل جهنم إلى الجهنم بل أن الملائكة يساقونهم إلى جهنم بدون مركبهم فاندفع التعارض بين الآيات.

موقف العارفين: أورد الإمام الألوسي موقف العارفين وقال: إن المتقين يساقون إلى الجنة لأنهم قد رأوا الله تعالى في المحشر فلرغبتهم في رؤيته عز وجلّ ثانيا لا يحبون فراق ذلك الموطن الذي رأوه فيه ولشدة حبههم وشغفهم لا يكاد يحظر لهم أنهم سيرونه سبحانه إذا دخلوا الجنة، ويشهد على هذا التفسير بالشعر يقول: وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم¹ ويدل على رؤيتهم إياه عز وجلّ ويشهد على هذا التفسير برواية أبي هريرة قال: "إن أناسا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله... وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم² الحديث، ومع هذا فسوقهم ليس كسوق الذين كفروا كما لا يخفى³.

النتيجة: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وسيق" أي للشرف والإكرام أو للإهانة، حينما لفظ "سيق" ينسب إلى المتقين فكون معناه الشرف والإكرام كما جاء لفظ وفد للشرف والإكرام وحينما ينسب إلى المجرمين والكفار وأهل جهنم فكون معناه الإهانة فاندفع التعارض بين الآيات. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيات بأصول العام والخاص والتفسير الإشاري و ببيان الحديث.

1 الأمالي في لغة العرب، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، سنة الولادة 288هـ/ سنة الوفاة 356هـ.

ت، ن: دار الكتب العلمية، سنة النشر 1398هـ 1978م، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 2*3 (222/1)

2 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (163/1)، رقم الحديث: 182.

3 انظر: تفسير روح المعاني (287/12)

الباب الثالث

المواضع التي يوهم ظاهرها التعارض وبيان موقف الإمام الألوسي منها وطريقته في

دفعها:

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول من بداية سورة الأعراف إلى آخر سورة الروم:

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: من بداية سورة الأعراف إلى آخر سورة التوبة.

المبحث الثاني: من بداية سورة يونس إلى آخر سورة النحل.

المبحث الثالث: من بداية سورة الإسراء إلى آخر سورة الأنبياء.

المبحث الرابع: من بداية سورة الحج إلى سورة النور.

المبحث الخامس: من بداية سورة الفرقان إلى آخر سورة الروم.

المبحث الأول: من بداية سورة الأعراف إلى آخر سورة التوبة.

سورة الأعراف

أصل المسألة: إن الأعمال يوزن أم لا؟

"وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ¹، "فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"، "وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ²"، "فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ³"

إن الآيات المذكورة التي تدل على أن الأعمال يوزن ولكن الآية الأخرى تدل على أن الأعمال لا يوزن كما في الآية التالية "فَلَا يُعِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا"⁴ فكيف الموافقة بين الآيات المذكورة؟

ذكر الإمام الألوسي قول الراغب لإيضاح لفظ الوزن وقال⁵: حيث قال الراغب⁶: "معرفة قدر الشيء يقال وزنته وزنا وزنة، والمتعارف فيه عند العامة "ما يقدر بالقسطاس والقبان"⁷. كما قال الله تعالى: "وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ"⁸

ذكر الإمام الألوسي آراء العلماء لدفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية كما يلي:

الرأي الأول: قال الإمام الألوسي: ظاهر النظم الكريم أن الوزن ليس مختصا بالمسلمين بل الكفار أيضا يوزن أعمالهم التي لا توقف لها على الإسلام وإلى ذلك ذهب البعض.

الرأي الثاني: قال الإمام الألوسي الآيات التي ذكرت فيها عن وزن الأعمال مختص بالمسلمين، ذهب الكثير إلى أن الوزن مختص بالمسلمين. وأما الكفار فتحبط أعمالهم كيفما كانت، وهو أحد الوجهين¹ في قوله تعالى: "فَلَا يُعِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا"².

1 سورة الأعراف: آية: 8-9.

2 سورة المؤمنون: آية: 102-103.

3 سورة القارعة: 6-8.

4 سورة الكهف: 105.

5 انظر: تفسير روح المعاني (393/4)

6 سبقت ترجمته

7 المفردات في غريب القرآن (ص: 868)

8 سورة الأنبياء: 47.

النتيجة: إن الآيات التي وردت في وزن الأعمال إنما مخصوصة بالمسلمين عند الأكثر والآية التالية "فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا" مختصة بالكفار وهكذا انتهى التعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بأصول المطلق والمقيد.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري³: روي عن ابن عباس: "الموازين: جمع موزون؟ وهي الموزونات من الأعمال: أي الصالحات، التي لها وزن وقدر عند الله، من قوله تعالى "فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا"⁴.

قال أبو السعود العمادي⁵: "وَمَنْ حَقَّقَتْ مَوَازِينَهُ" أي وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ مَالُهُ وَزَنٌ وَقَدَرٌ عِنْدَهُ وَهُمْ الْكُفَّارُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى "فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا"⁶.

قال الإمام الرازي⁷: قوله تعالى: "فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وفيه وجوه، الأول: أنا نذري بهم وليس لهم عندنا وزن ومقدار، الثاني: لا نقيم لهم ميزانا لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين لتمييز مقدار الطاعات ومقدار السيئات، الثالث: قال القاضي: إن من غلبت معاصيه صار ما في فعله من الطاعة كأن لم يكن فلا يدخل في الوزن شيء من طاعته، وهذا التفسير بناء على قوله بالإحباط والتكفير"⁸.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين على حل هذا الإشكال في أصول المقيد ولكن ما وافقهم في أصول المطلق.

1 انظر: تفسير روح المعاني (323/4-326)

2 سورة الكهف: 105.

3 سبقت ترجمته

4 تفسير الكشاف (204/3)

5 المولي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية، مولده ووفاته ((898 - 982 هـ)، أنظر: شذرات الذهب (398/8)

6 تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ن: دار إحياء التراث العربي-بيروت (151/6)

7 هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: تعريفه: الإمام المفسر. أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. من تصانيفه (مفاتيح العيب)، (غاية العقول في دراية الأصول)، (كتاب الهندسة)، (تعجيز الفلاسفة). أنظر: طبقات المفسرين (ص: 115)

8 تفسير الرازي (502/21)

أصل المسألة: كلام فرعون في السحر

"قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ"¹ ، "قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ، يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ"²

اقترح الإمام الألوسي الإشكال بين الآيتين بنفسه، وقال: قوله تعالى "قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون" وهو صريح في أن "إن هذا لساحر" إلى فماذا تأمرون كلام فرعون وما هنا صريح في نسبة قول ذلك للملأ والقصة واحدة فكيف يختلف القائل في الموضوعين وهل هذا إلا منافاة؟ أجاب الإمام الألوسي بنفسه بلفظ أجيب: بأنه لا منافاة لاحتمالين:

الأول: أن هذا الكلام قال فرعون والملأ من قومه فهو كوقع الحافر علي الحافر فنقل في الشعراء كلامه وهنا كلامهم.

والثاني: أن هذا الكلام قاله فرعون ابتداء ثم قاله الملأ إما بطريق الحكاية لأولادهم وغيرهم وإما بطريق التبليغ لسائر الناس فما في الشعراء كلام فرعون ابتداء وما هنا كلام الملأ نقلا عنه. ولا سبيل إلى أنه كان نقلا بطريق الحكاية لأنه حيثئذ لم يكن مؤامرة ومشاورة مع القوم فلم يتجه جوابهم أصلا، فتعين أن يكون بطريق التبليغ فلذا خاطبوه بالجواب. بقي أن يقال هذا الجواب بالتأخير في الشعراء كلام الملأ لفرعون وهاهنا كلام سائر القوم. لكن لا منافاة لجواز تطابق الجوابين³.

النتيجة: شاور فرعون مع الملأ أولا ثم قال لهم أبلغوا هذا الحكم إلى العوام بطريق التبليغ، وأيضا وجدت هذه الطريقة عاما في الشركات والجامعات والبلدان يعني رئيس الشركة والجامعة والبلد يتكلم مع الخواص ثم بعده الخواص ينتقلون النصائح والارشادات إلى العوام. وعندما ذهب موسى وهارون عليهما السلام أولا إلى فرعون لإبلاغ كلام الله تعالى وأعرض موسى عليه السلام دعوة التوحيد على أمام فرعون فقال فرعون لموسى، أنت ساحر لأجل هذا شاور فرعون مع الملأ وعين اليوم للمقابلة. وعندما ذهب موسى عليه السلام للمقابلة مع سحار في ذلك الوقت اجتمع قوم فرعون. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيتين بطريقة الفصاحة والبلاغة وبأصول اختلاف الأمكنة والأزمنة.

1 سورة الأعراف: 109.

2 سورة الشعراء: 34.

3 انظر: تفسير روح المعاني (23/5)

أقوال العلماء:

قال الإمام الرازي¹: أجاب الإمام الرازي جوابين لدفع توهم التعارض بين الآيتين المذكورين كما يلي:

الأول: "لا يمتنع أنه قد قاله هو وقالوه هم فحكى الله تعالى قوله ثم وقولهم هنا".

الثاني: "لعل فرعون قاله ابتداء فتلقته الملائمة فقالوه لغيره أو قالوه عنه لسائر الناس علي طريق التبليغ فإن الملوك إذا رأوا رأيا ذكره للخاصة وهم يذكرونه للعامة فكذا هنا"².

قال الإمام الزمخشري³: "قلت: قد قاله هو وقالوه هم، فحكى قوله ثم وقولهم هاهنا، أو قاله ابتداء فتلقته منه الملاء، فقالوه لأعقابهم، أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ، كما يفعل الملوك، يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة، ثم تبليغه الخاصة العامة، والدليل عليه أنهم أجابوه⁴ في قولهم "أَرْجُوهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ"⁵

قال أبو السعود⁶: "قالوه تصديقاً لفرعون وتقريراً لكلامه فإن هذا القول بعينه مغزى في سورة الشعراء إليه".⁷

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي وافق مع آراء العلماء المذكورين في حل الإشكال المذكور بأصول الفصاحة والبلاغة ولكن ما وافقهم في أصول اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أصل المسألة: الفرق بين دمرنا وخرجنا

"وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَفْرُسُونَ"⁸، "فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ"⁹

ظهرت منافاة بين الآيتين المذكورتين كما في قوله تعالى " دمرنا ما كان يصنع فرعو وقومه " أي دمر الله تعالى لهم، حينما لم يبقوا هلاكة عذاب الله تعالى " فكيف أخرجهم من جنات و عيون؟

1 سبقت ترجمته

2 تفسیر الرازی (303/14)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير الكشاف (139/2)

5 سورة الأعراف: 111.

6 سبقت ترجمه

7 تفسير أبي السعود (259/3)

8 سورة الأعراف: 137.

9 سورة الشعراء: 57.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "دمرنا" أي خرجنا وأهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه في أرض مصر من العمارات والقصور أي دمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون.

"فَأَخْرَجْنَاهُمْ" أي فرعون وجنوده أي خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب الذي تضمنته الآيات الثلاثة فحملتهم عليه أو خلقنا خروجهم "مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ" كانت لهم بحافتي النيل كما روي عن ابن عمر. وغيره "وَكُنُوزٍ" أي أموال كنزوها وخزنها تحت الأرض. وخصت بالذكر لأن الأموال الظاهرة أمور لازمة لهم لأنها من ضروريات معاشهم فإخراجهم عنها معلوم بالضرورة. وقيل: لأن أموالهم الظاهرة قد انطمست بالتدمير.

وتعقب بأن إخراجهم قبل التدمير إذ من جملة الأموال الظاهرة الجنات والإخبار عنهم بأنهم أخرجوا منها بعنوان كونها جنات والأصل فيه الحقيقة. وعلى تقدير تسليم أنه بعد يرد أن المدمر "ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" وهو مفسر بالقصور والعمارات والجنان فيبقى ما سوى ذلك غير محكوم عليه بالتدمير من الأموال الظاهرة مع أنهم أخرجوا منه أيضا فيحتاج توجيه عدم التعرض له بغير ما ذكر¹.

النتيجة: إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بصورتين:

الصورة الأولى: المراد من قوله تعالى: "دمرنا" أي خرجنا فحينئذ اندفع الإشكال الآتين.

الصورة الثانية: المراد من قوله تعالى: "دمرنا" أي أهلكنا، في ذلك الوقت معناه لم أهلك كل الأشياء بل من الناس والعمارات فقط، خلقت فيهم داعية الخروج، و لفظ "دمرنا" مفسر بالقصور والجنان والعمارات فيبقى ما سوى ذلك فزال الإشكال بين الآتين. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآتين باستخدام أصول اللغة وبيان المعنى المشترك بينهما.

أقوال العلماء:

قال أبو حيان الأندلسي²: "وقيل: ما كان يصنع من التدبير في أمر موسى عليه السلام وإخماد كلمته، وقيل: المراد إهلاك أهل القصور والمواضع المنيعه وإذا هلك الساكن هلك المسكون"³.

قال أبو السعود¹: "وَدَمَّرْنَا" أي خَرَّبْنَا وأهلكنا، مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ من العِمَارَات والقصور أي ودمرنا إلى كان فرعون يصنعه على أن فرعون اسم كان ويصنع خير مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف"².

1 انظر: تفسير روح المعاني: 83/10.

2 هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن خيَّان الغرناطي الأندلسي، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، و ولادته و وفاته: (654 - 745 هـ)، من كتبه: (البحر المحيط) في تفسير القرآن، (الإدراك للسان الأتراك).

انظر: طبقات للفسرين للداودي (27/1)

3 تفسير البحر المحيط (376/4)

قال الإمام الرازي³: "ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" اعلم أن موسى عليه السلام كان قد ذكر لبني إسرائيل قوله: "عمى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض"⁴ فههنا لما بين تعالى إهلاك القوم بالغرق على وجه العقوبة بين ما فعله بالمؤمنين من الخيرات وهو أنه تعالى أورثهم أرضهم وديارهم"⁵.

"وقوله: ودمرنا قال الليث: الدمار الهلاك التام، يقال: دمر القوم يدمرون دماراً أي هلكوا وقوله: ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد الصانع وما كانوا يعرشون قال الزجاج: يقال عرش عرش يعرش وإذا بنى قيل: وما كانوا يعرشون من الجنات ومنه قوله تعالى: "جنات معروشات"⁶ وقيل: وما كانوا يعرشون يرفعون من الأبنية المشيدة في السماء كصرح هامان وفرعون"⁷.

خلاصة الكلام: إن الإمام الآلوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور باستخدام أصول اللغة ولكن ما وافقهم بأصول المشترك.

أصل المسألة: إن رسالة الرسول ﷺ مخصوص فقط للمؤمنين أو عام لجميع الناس؟

"إِن آتَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"⁸ ، "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"⁹ ، "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"¹⁰

إن الآية الأولى تدل على رسالة التبشير والتنذير وأنها مخصوصة مع المؤمنين فقط ولكن الآية الثانية تدل على أن رسالة التبشير والتنذير عام لجميع الناس ولكن الآية الثالثة تدل على أنهما مخصوصتان مع الأقارب فكيف تكون المطابقة بين الآيات المذكورة؟

1 سبقت ترجمته

2 تفسير أبي السعود (267/3)

3 سبقت ترجمته

4 سورة الأعراف: 129.

5 تفسير الرازي (348/14)

6 سورة الأنعام: 141.

7 تفسير الرازي (349/14)

8 سورة الأعراف: 188.

9 سورة ص: 28.

10 سورة الشعراء: 214.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "نذير" أي تقديم النذير لأن المقام مقام إنذار "لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" أي يصدقون بما جئت به، والجار إما متعلق بالوصفين جميعاً والمؤمنون يتفعولون بالإنذار كما يتفعولون بالتبشير وإما متعلق بالأخير ومتعلق الأول محذوف أي نذير للكافرين، وحذف ليظهر اللسان منهم¹.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وما أرسلناك إلا كافة للناس" أي جاء الناس كافة جاؤوا جميعاً، ذهب أبو حيان أي ما أرسلناك إلا كافة ومانعا للناس عن الكفر والمعاصي. والآية عليه أظهر في الاستدلال علي عموم رسالته صلي الله عليه وسلم وهي ذلك² كقوله تعالى: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً"³.

فأنذر أي فافعل الإنذار أو أحدثه فلا يقصد منذر مخصوص، وقيل يقدر المفعول خاصاً أي فأنذر عشيرتك الأقرين لمناسبته لابتداء الدعوة في الواقع، وقيل يقدر عاماً أي فأنذر جميع الناس لقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"⁴ ولم يقل هنا وبشر لأنه كان في ابتداء النبوة والإنذار هو الغالب إذ ذاك أو هو اكتفاء لأن الإنذار يلزمه التبشير⁵.

النتيجة: إن التوجيهات المختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية كما ذكر الإمام الألوسي:
الوجه الأول: ذكر الإمام الألوسي بأن هناك عبارة محذوفة وهي "إن أنا إلا نذير" أي نذير للكافرين فإذن هذه الآية ليست مخصوصة بالمؤمنين بل هي شاملة للمؤمنين والكافرين.

الوجه الثاني: وأيضا آية أخرى "وأنذر عشيرتك" لا تدل على منذر مخصوص بل يقدر المفعول خاصاً أي فأنذر عشيرتك لمناسبة لابتداء الدعوة في الواقع أو يقدر عاماً أي فأنذر جميع الناس كما جاء في قوله تعالى "وما أرسلناك إلا كافة للناس" فرفع الإمام الألوسي هذا التعارض بأسلوب العام والخاص وباستخدام اللغة وبتفسير القرآن بالقرآن.

1 انظر: تفسير روح المعاني: 128/5.

2 تفسير روح المعاني: 316/11.

3 سورة الأعراف: 158.

4 سورة سبأ: 28.

5 تفسير روح المعاني: 130/15.

أقول العلماء:

قال أبو السعود العمادي¹: "وقوله تعالى 'لَقَوْمٍ يُظْمِئُونَ' إما متعلقٌ بمهما جميعاً لأنهم ينتفعون بالإنذار كما ينتفعون بالبشارة وإما بابشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف أي نذير للكافرين أي الباقيين على الكفر وبشيراً لقوم يؤمنون أي في أي وقت كان ففيه ترغيبٌ للكفرة في إحداث الإيمان وتحذيرٌ عن الإصرار على الكفر والطغيان"². "وما أرسلناك إلا كافةً للناس" أي إلا رسالة عامة لهم فإنهم إذا عثت بهم فقد كففتهم أن يخرج منها أحدٌ منهم أو إلا جامعاً لهم في الإبلان"³.

قال الإمام الرازي⁴: ذكر الإمام الرازي التعارض ببيان تفسير "لتنذر أم القرى" وأجاب بنفسه وقال: "قوله تعالى: 'لتنذر أم القرى أي لتنذر أهل أم القرى'. 'فإن قيل فظاهر اللفظ يقتضي أن الله تعالى إنما أوحى إليه لينذر أهل مكة وأهل القرى المحيطة بمكة وهذا يقتضي أن يكون رسولا إليهم فقط وأن لا يكون رسولا إلى كل العالمين الجواب: أن التخصيص بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما سواه، فهذه الآية تدل على كونه رسولا إلى هؤلاء خاصة وقوله 'وما أرسلناك إلا كافةً للناس'⁵ 'يدل على كونه رسولا إلى كل العالمين، وأيضاً لما ثبت كونه رسولا إلى أهل مكة وجب كونه صادقاً، ثم إنه نقل إلينا بالتواتر كان يدعي أنه رسول إلى كل العالمين، والصادق إذا أخبر عن شيء وجب تصديقه فيه، فثبت أنه رسول إلى كل العالمين"⁶ "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا"⁷.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد ذكر الأصول الأخرى التي لم يذكرها العلماء الآخرون لدفع هذا الإشكال وهو أصول العام والخاص وتفسير القرآن بالقرآن.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير أبي السعود (302/3)

3 تفسير أبي السعود (133/7)

4 سبقت ترجمته

5 سورة سبأ: 28.

6 تفسير الرازي (580/27)

7 سورة الجمعة: 2.

أصل المسألة: إن دعاء الكافر يقبل أم لا؟

"قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُنْعَثُونَ"¹ ، "وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ"²

إن الآية الأولى تدل على أن دعاء الكافر يقبل ولكن الآية الثانية تدل بعكسها، فكيف تكون الموافقة بين الآيتين؟

ذكر الإمام الألوسي آراء العلماء لحل الإشكال بين الآيتين:

يذكر الإمام الألوسي قول الدبوسي³: "إن دعاء الكافر قد يستجاب وغيره من الفقهاء خلافا لما نقله في البزازية"⁴ عن البعض من أنه لا يجوز أن يقال: إن دعاء الكافر مستجاب لأنه لا يعرف الله تعالى ليدعوه، والفتوى على الأول للظاهر ويشهد على هذا التفسير بقول النبي صلى الله عليه وسلم: دعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافراً⁵. وحمل الكفر على كفران النعمة لا كفران الدين خلاف الظاهر، ولا يلزم من الاستجابة المحبة والإكرام فإنها قد تكون للاستدراج⁶.

بأن دعاء الكافر قد يستجاب كما يستجاب دعاء إبليس وهو رأس الكفار نص في ذلك⁷. ذكر الإمام الألوسي موقف الفقهاء وقال: إن دعاء الكافر لا يستجاب "وما دعاء الكافرين إلا في ضلال" أي في ضياع وبطلان أي لا يجاب، فهذه الجملة من كلام الخزنة. وقيل هي من كلامه تعالى اخباراً منه سبحانه لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم. واستدل بما مطلقاً من قال: إن دعاء الكافر لا يستجاب وإنه لا يمكن من الخروج في الاستسقاء. قال الإمام الألوسي: أجيب بأن المراد دعاءهم الله تعالى بما يتعلق بالآخرة، وعليه هذا يحمل ما روي عن ابن عباس

1 سورة الأعراف: 14.

2 سورة الرعد: 14، غافر: 50.

3 العلامة، شيخ الحنفية، القاضي، أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي، البخاري، عالم ما وراء النهر و أول من وضع علم الخلاف وأبرزه وكان من أذكاء الأمة، وله كتاب: (تقويم الأدلة)، وكتاب (الأسرار)، وكتاب (الأمد الأقصى)، وأشياء. مات: ببخارى، سنة ثلاثين وأربع مائة. أنظر: وفيات الأعيان (1/ 410) وشذرات الذهب (3/ 245).

4 الفتاوى العالمكبرية المعروفة بالفتاوى الهندية وبهامشه فتاوى قاضي خان والفتاوى البزازية، لنظام - حسن بن منصور الأوزجندی فخر الدين حالة الفهرسة: غير مفهرس، ن: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق - مصر، سنة النشر: 1310، عدد المجلدات: 6، رقم الطبعة: 2، (326/3).

5 صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إذا أسلّم قَوْمٌ في دار الحرب، وَلَهُمْ مَالٌ وَأَرْضُونَ، فَهِيَ لَهُمْ (8/ 38)، رقم الحديث: 3059.

6 تفسير روح المعاني: (4/ 331-333).

7 تفسير روح المعاني (7/ 119).

رضي الله عنهما من "أن أصوات الكفار محجوبة عن الله تعالى فلا يسمع دعاءهم". وأن الكافر قد يقع في الدنيا ما يدعوا به ويطلبه من الله تعالى إثر دعاء كما يشهد بذلك آيات كثير¹

النتيجة: قال الإمام الألوسي إن دعاء الكافر قد يستجاب في الدنيا كما قال إبليس "أنظرنني إلى يوم يبعثون" واستدل مع الحديث النبوي ﷺ "دعوة المظلوم مستجابة وإن كافراً" ولكن في الآخرة لا يستجاب كما قال الله تعالى "وما دعاء الكافرين إلا في ضلال" وخصص تخصيص هذه الآية مع الكفار في الآخرة بقول ابن عباس رضي الله عنهما "أن أصوات الكفار محجوبة عن الله تعالى فلا يسمع دعاءهم، فحيثما اندفع التعارض. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال ببيان الحديث وأصول الخاص العام واختلاف الأمكنة والأزمنة واللغة.

أقوال العلماء:

قال أبو حيان الأندلسي²: "وما دعاء الكافرين إلا في ضلال أي: في حيرة، أو في اضمحلال، لأنه لا يجدي شيئاً ولا يفيد، فقد ضل ذلك الدعاء عنهم كما ضل المدعون، قال تعالى: "إِنَّمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا"، وقال ابن عباس: "أصوات الكافرين محجوبة عن الله فلا يسمع دعاؤهم"³.

"والظاهر أن قوله: "وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ" من كلام الخزنة: أي دعاؤكم لا ينفع ولا يجدي"⁴.

قال الإمام الرازي⁵: "وما دعاء الكافرين إلا في ضلال أي إلا في ضياع لا منفعة فيه، لأنهم إن دعوا الله لم يجبه وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم"⁶. "فقلل يجيب الله دعاء المؤمنين ويزيدهم ما طلبوه من فضله، فإن قالوا تخصيص المؤمنين بإجابة الدعاء هل يدل على أنه تعالى لا يجيب دعاء الكفار؟ قلنا قال بعضهم لا يجوز لأن إجابة الدعاء تعظيم، وذلك لا يليق بالكفار، وقيل يجوز على بعض الوجوه، وفائدة التخصيص أن إجابة دعاء المؤمنين تكون على سبيل التشريف، وإجابة دعاء الكافرين تكون على سبيل الاستدراج"⁷.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أضاف بيان الحديث وأصول الخاص العام واختلاف الأمكنة والأزمنة.

1 تفسير روح المعاني (329/12-331)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير البحر المحيط (369/5)

4 تفسير البحر المحيط (450/7)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير الرازي (25/19)

7 تفسير الرازي (598/27)

أصل المسألة: إن الله تعالى يأمر بالفحش أم لا؟

"وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ¹" ، "وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا²"

كيف تكون موافقة أن الآية الأولى تدل على أن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ولكن آية أخرى بعكسها؟ قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ" فإن عادته تعالى جرت على الأمر بمحاسن الأعمال والحث على مكارم الخصال وهو اللائق بالحكمة المقتضية أن لا يتخلف، في هذه الآية أحكم الله تعالى للناس ما اتبعوا آباءهم عندما سئلوا لماذا يفعلون هذا وذلك فهم قالوا نحن وجدنا آبائنا على هذا، فقل: ومن أين أخذ آبائكم؟ فقالوا: الله أمرنا بها والكلام حينئذ على تقدير مضاف أي أمر آبائنا فارتفع الإشكال بين الآيتين³.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا" أي بأن في الآية تقديمًا وتأخيرًا والأصل إذا أمرنا مترفي قرية ففسقوا فيها أردنا إهلاكها فحق عليها القول فقد قال سبحانه: "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً"⁴، وصح عن أم المؤمنين زينب بنت جحش "أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها قالت زينب: قلت يا رسول الله أهلك وفيما الصالحون قال: نعم إذا كثر الخبث"⁵، ونظيره على ما قيل قوله تعالى: "وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَنْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ"⁶ وآخرون بأن قوله تعالى: أَمَرْنَا إلخ في موضع الصفة لقرية وجواب إذا محذوف للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه كما قيل⁷ في قوله تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا جَاؤَهَا وَلَبِحْتَ أَبْوَابُهَا إِلَىٰ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: وَنَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ"⁸ قال رسول الشرع "وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا" الآية فيها إشارة إلى أنه سبحانه إذا أراد أن يخرب قلب المرشد سلط عليه

1 سورة الأعراف: 28.

2 سورة الإسراء: 16.

3 تفسير روح المعاني (4/346)

4 سورة الأنفال: 25.

5 صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج (4/138)، رقم الحديث: 3346.

6 سورة النساء: 102.

7 انظر: تفسير روح المعاني (8/43)

8 سورة الزمر: 71 - 47.

عساكر هوى نفسه وجنود شياطينه فيخرب بسنابك خيول الشهوات وآفات الطبعيات نعوذ بالله تعالى من ذلك "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ" لكدورة استعداده وغلبة هواه وطبيعته: "عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا¹ عن ذوي العقول مذخوراً في سخط الله تعالى وقهره "وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ² لصفاء استعداده وسلامة فطرته وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا اللَّاتِق بِهَا وَهُوَ السَّعْيُ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِقَامَةِ وَمَا تَرْتَضِيهِ الشَّرِيعَةُ³.

النتيجة: إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين بصورتين:

الصورة الأولى: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "قل إن الله لا يأمر بالفحشاء" أي في الحقيقة هذا الجواب من عند الله تعالى للكفار، عندما سئلوا الكفار لماذا تفعلون هذا وذلك فهم قالوا نحن وجدنا آباءنا على هذا فقل من أين أخذ آباءكم؟ فقالوا الله أمرنا بهذا لذا قال الله تعالى في جوابهم "إن الله لا يأمر بالفحشاء" فاندفع التعارض بين الآيتين.

الصورة الثانية: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "أمرنا متزيفها" أي إن الله تعالى لا يريد إهلاك قوم في البداية بل يأمر الله تعالى بمحاسن الأعمال والحث على مكارم الخصال ولكن لما لم يتبعوا الناس أحكام الله تعالى التي نزلت في القرآن الحكيم ثم أنه سبحانه أن يخرب قلب المرید ملط عليه عساكر هوى نفسه وجنود شياطينه فيخرب بسنابك خيول الشهوات وآفات الطبعيات نعوذ بالله تعالى من ذلك.

إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيتين بتفسير القرآن بالقرآن و بأصول الخاص والعام واختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال أبو حيان الأندلسي⁴: "وهو أن المعنى أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك عناداً وأقدموا على الفسق انتهى". "القول الثاني: أن معنى (أمرنا أي كثرنا) مُتَزَيِّفُهَا (يقال: أمر الله القوم أي كثرهم حكاه أبو حاتم عن أبي زيد، وقال الواحدي: العرب تقول: أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله إذا انتهى⁵). وافق الإمام الرازي مع الإمام أبي حيان الأندلسي⁶.

1 سورة الإسراء: 18.

2 سورة الإسراء: 19.

3 انظر: تفسير روح المعاني (50/8)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير البحر المحيط (17/6)

6 تفسير الرازي (314/20)

قال الإمام الزمخشري¹: "أمرناهم فَفَسَقُوا أى أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمر مجاز، لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا، وهذا لا يكون فبقى أن يكون مجازاً، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صباً، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه، وقد فسر بعضهم أَمَرْنَا بكثرتنا²."

قال الإمام الفراء³: "وَفَسَّرَ بعضهم (أَمَرْنَا مُتَرَفِّعِيهَا) بالطاعة (فَفَسَقُوا) أي إن المتترف إذا أمر بالطاعة خالف إلى الفسوق، وفي قراءة أبي بن كعب (بعثنا فيها أكابر مجرميها) وقرأ الحسن (أمرنا) وروى عنه (أمرنا) ولا ندرى أنها حفظت عنه؛ لأننا لا نعرف معناها هاهنا، ومعنى (أمرنا) بالمد: أكثرنا، وقرأ أبو العالية الرياحي (أمرنا مترفيها) وهو موافق لتفسير ابن عباس، وذلك أنه قال: سلطنا رؤساءها ففسقوا فيها⁴."

قال الإمام ابن كثير⁵: "واختلف المفسرون في معناها، فقليل: معناها أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمراً قدرياً، كقوله تعالى: "أَنَّا هَا أَمَرْنَا لِيَالًا أَوْ نَهَارًا"⁶، فإن الله لا يأمر بالفحشاء، قالوا: معناها: أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب، وقليل: معناها: أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة، رواه ابن جريج عن ابن عباس، وقاله سعيد بن جبير أيضاً⁷."

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في اللغة وقد اتفق مع الإمام ابن كثير في تفسير القرآن بالقرآن وقد أضاف الأصول الأخرى وهو أصول العام والخاص واختلاف الأمكنة والأزمنة.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الكشاف (654/2)

3 هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، مولده و وفاته (144 - 207 هـ) وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ولد الكوفة، وانتقل إلى بغداد، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة فأقام أربعين يوماً في أهله يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم. وتوفي في طريق مكة. أنظر: إرشاد الأريب (276/7)، ووفيات الأعيان (228/2)

4 معاني القرآن للفراء موافقا للمطبوع، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، القرن : الثاني، ن: دارالمصرية للتأليف والترجمة، مكان الطبع : مصر، عدد الأجزاء : 3، ت: أحمد يوسف نجاتي / محمد علي نجار / عبدالفتاح إسماعيل شلبي (119/2)

5 سبقت ترجمته

6 سورة يونس: 24.

7 تفسير ابن كثير (61/5)

أصل المسألة: إن الله تعالى ينسى فعل الناس أم لا؟

"قَالِيَوْمَ نُنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ"¹ ، "وَقِيلَ الْيَوْمَ نُنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَاَصِرِينَ"² ، "قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى"³

قال الله تعالى في الآيتين الأوليين "نسأ" ولكن الآية الثالثة تدل على عكسها كما جاء في قوله تعالى "لا يضل ربي ولا ينسى" فكيف الموافقة بين الآيات؟

ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية كما يلي:

الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "ننسأهم" أي نفعل بهم فعل الناسي بالنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركاً مستمراً كلياً وقد جاء النسيان بمعنى الترك كثيراً ويصح أن يفسر به هنا فيكون استعارة أو مجازاً مرسلًا⁴. "وَقِيلَ الْيَوْمَ نُنْسَاكُمْ" نترككم في العذاب من باب إطلاق السبب على المسبب لأن من نسي شيئاً تركه أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالي به على أن ثم استعارة تمثيلية، وجوز أن يكون استعارة مكنية في طمير الخطاب⁵.

الثاني: قال الإمام الألوسي هنا "نسأ" بمعنى نؤخرهم ويشهد على هذا التفسير بقول مجاهد وقال: نؤخرهم في النار، وعليه، فالظاهر أن ننسأهم من النسء لا من النسيان⁶.

الثالث: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "لا يضل ربي ولا ينسى" أي إن الله تعالى يعلم أمورهم باتقان العلم. وقيل: هما باقيان على تعديهما والمفعول محذوف أي لا يضل شيئاً من الأشياء ولا ينسأه. وقيل: العائد ضمير مستتر في الفعل وَرَبِّي نصب على المفعول أي لا يضل الكتاب ربي أي عنه. وفي "يُنْسَى" ضمير عائد إليه أيضاً أي ولا ينسى الكتاب شيئاً أي لا يدعه على حد: "لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا"⁷.

1 سورة الأعراف: 51.

2 سورة الجاثية: 34.

3 سورة طه: 52.

4 الحجاز المرسل: وهما كانت علاقته غير المتشابهة، انظر: علم البيان للدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت. (ص: 57).

5 انظر: تفسير روح المعاني: (159/13).

6 انظر: تفسير روح المعاني (366/4).

7 سورة الكهف: 49.

الرابع: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "لا يضل ربي ولا ينسى" أي لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يحازيه وكأنه رضي الله تعالى عنه جعل السؤال عن حالهم من حيث السعادة والشقاوة والجواب عن ذلك على سبيل الإجمال فتدبر ولا تغفل ويشهد على هذا التفسير بقول ابن عباس رضي الله عنهما¹.

النتيجة: إن التوجيهات المختلفة لدفع الإشكال كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "ننساكم، و ننساكم" أي نؤخرهم في النار ونترككم في العذاب و نفعل بهم فعل الناسي بالمنسي.

الوجه الثاني: "ننساكم" لتذليل الناس الذين أعرضوا عن أحكام الله تعالى هنا ليس إطلاق النسيان على ظاهر حقيقة الألفاظ بل يشتمل على استعارة أو مجاز مرسل، يعني قال الله تعالى نتركهم في النار كما ما اتبعوني في الدنيا، لذا لا يتجه الله تعالى إليهم في الآخرة بلطفه وكرمه. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال باستخدام معرفة علم المعاني والبديع واللغة وبأصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري²: "نَسَاكُمْ تَرَكُّكُمْ فِي الْعَذَابِ كَمَا تَرَكْتُمْ عِدَّةَ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا وَهِيَ الطَّاعَةُ، أَوْ نَجْعَلُكُمْ بِمَنْزِلَةِ الشَّيْءِ الْمُنْسَى غَيْرِ الْمُبَالَى بِهِ، كَمَا لَمْ تَبَالُوا أَنْتُمْ بِلِقَاءِ يَوْمِكُمْ وَلَمْ تَخْطَرُوهُ بِيَالٍ، كَالشَّيْءِ الَّذِي يَطْرَحُ نَسِيًا مَنَسِيًا"³.

قال أبو السعود العمادي⁴: "وَقِيلَ الْيَوْمَ نَسَاكُمْ"، تَرَكُّكُمْ فِي الْعَذَابِ تَرَكَّ الْمُنْسَى كَمَا نَسِيتُمْ فِي الدُّنْيَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا أَيْ كَمَا تَرَكْتُمْ"⁵.

قال الإمام الرازي⁶: قال تعالى: "وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وفي تفسير هذا النسيان وجهان الأول: تترككم في العذاب كما تركتم الطاعة التي هي الزاد ليوم المعاد الثاني: نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالي به، كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تلتفتوا إليه بل جعلتموه كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا"¹.

1 انظر: تفسير روح المعاني: (517/8)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير الكشاف (293/4)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير أبي السعود (75/8)

6 سبقت ترجمته

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في اللغة وقد ذكر الأصول الآخر لدفع الإشكال المذكور وهو العام والخاص.

أصل المسألة: من العذاب يعطى قوم شعيب عليه السلام؟

"فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ"² ، "فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ"³ ، "وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرِخْوَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ"⁴ ، "فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ"⁵

إن الآيات المختلفة وردت بتفاوت الأسلوب والمفهوم في نزول العذاب على قوم شعيب عليه الصلوة والسلام، والآيات المذكورة متعارضة في ما بينهم، ووردت كلها في قصة قوم شعيب، فتدل بعضها أنهم هلكوا بالصيحة والبعض على إهلاكهم بالظلة والبعض بإهلاك الرجفة كيف توافق بين الآيات؟ وللجمع بين هذه الآيات أوجه:

الوجه الأول: فأجاب عنه بأن، وأخذت الذين ظلموا الصيحة أي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها كانت من مبادي الرجفة فأسند إهلاكهم إلى السبب القريب تارة وإلى البعيد أخرى.

والوجه الثاني: وكذلك أجيب بأن، وقال بعضهم: إن القصة غير واحدة فإن شعيبا عليه السلام بعث إلى أمتين أهل مدين وأهل الأيكة فأهلكتهما بالرجفة والأخرى بالصيحة وفيه أنه إنما يتم لو لم يكن هلاك أهل مدين بالصيحة والمروي عن قتادة أنهم الذين أهلكوا بها وأن أهل الأيكة أهلكوا بالظلة⁶

الوجه الثالث: قال الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى: "فَعَقَرُوا الثَّاقَةَ"⁷ أن نحررها قال الأزهرى أصل العقر عند العرب قطع عرقوب البعير ثم استعمل في النحر لأن ناجر البعير يعقره ثم ينحره وإسناده إلى الكل مع أن المباشر البعض مجاز لملازمة الكل لذلك الفعل لكونه بين أظهرهم وهم متفقون على الضلال والكفر أو لرضا

1 تفسير الرازي (682/27)

2 سورة الأعراف: 78.

3 سورة العنكبوت: 37.

4 سورة هود: 94.

5 سورة الشعراء: 189.

(6) انظر: تفسير روح المعاني: (6/9)

7 سورة الأعراف: 77.

الكل به أو لأمرهم كلهم به كما ينبيء عنه قوله تعالى: "فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ"¹، وقيل: إن العقر مجاز لغوي عن الرضا بالنسبة إلى غير فاعله وليس بشيء. "وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ" أي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الأمر السابق فالأمر واحد والأوامر، وجوز أن يكون واحد الأمور أي استكبروا عن شأن الله تعالى ودينه وهو بعيد. وَقَالُوا مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والإفحام على زعمهم الفاسد: "يا صَالِحُ اثْنَا بِمَا تَعِدُنَا" من العذاب وأطلق للعلم به "إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" فإن كونك منهم يقتضي صدق ما تقول من الوعد والوعيد "فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ" قال الفراء والزجاج: أي الزلزلة الشديدة. وقال مجاهد والسدي: هي الصيحة، وجمع بين القولين بأنه يحتمل أنه أخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم فلا تعارض بينهما².

الوجه الرابع: أورد الإمام الألوسي بوجه آخر بين الآيات المذكورة لكي زال الإشكال والتعارض: وقال: دعا صالح عليه السلام قومهم إلى الله تعالى حتى شط وكبر ولم يؤمنوا منهم إلا قليل مستضعفون وطلب قومهم المعجزة من صالح عليه السلام وقالوا أخرج لنا الناقة من هذه الصخرة فإن فعلت صدقناك وآمنا بك، فصلى ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة فمخض التتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى عظماء وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فأمن به جندع ورهط من قومه وأراد أشرفهم أن يؤمنوا به فمنعهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صعر كاهنهم فلما خرجت الناقة قال لهم³: "هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم"⁴ عندما عين الوقت المقرر بين ثمود والناقة فتجاوز قوم ثمود بمعدها كما في قوله تعالى: "كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا"⁵ أهلك هؤلاء بالطغيان والفعلة الطاغية وهي عقر الناقة⁶ وجاء في كثير من الروايات أن الله عز وجل سلط عليهم الحر سبعة أيام ولياليهن ثم كان ما كان من الخروج إلى البرية وما بعده وكان ذلك على نحو ما اقترحوه لا سيما على القول بأنهم عنوا بالسماء السحاب، وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيدان بأن لهم عذابا آخر غير عذاب الظلة وفي ترك بيانه تعظيم لأمره⁷. ثم بعد أنزل الله تعالى عليهم الصيحة كما قال الإمام الألوسي والصيحة وهي تموج شديد في

1 سورة القمر: 29.

(2) انظر: تفسير روح المعاني: (403/4)

(3) انظر: تفسير روح المعاني: (404/4)

4 سورة الشعراء: 155.

5 سورة الشمس: 11.

(6) انظر: تفسير روح المعاني: (47-46/15)

(7) تفسير روح المعاني (118/10)، تفسير الطبري (124/17)

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (138)

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول التقييد واختلاف الأمكنة والأزمنة وقد ذكر الأصول الأخرى لحل هذا الإشكال المذكور وهو تفسير القرآن بالقرآن والسياق واللغة.

أصل المسألة: الفرق بين لفظ ثعبان وجان

"فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ"¹، وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ، وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ"²

وردت الألفاظ المختلفة في قصة واحدة "ثعبان" يقال هي الحية الكبيرة و "جان" يقال هي الحية الصغيرة، أما وقع التعارض بين الآيات لاختلاف الألفظ في قصة واحدة فكيف يلزم التطبيق بين الآيات المذكورة؟

ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية:

الوجه الأول: حيث قال الإمام الألوسي المرد من قوله تعالى: "فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ" أي حية ضخمة طويلة و يشهد على هذا التفسير بقول الفراء وقال: أن الثعبان هو الذكر العظيم من الحيات.

الوجه الثاني: حيث قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "ثعبان" أي إنه الحية مطلقا. "فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى" تمشي وتنتقل بسرعة، والحية اسم جنس يطلق على الصغير والكبير والأنثى والذكر، وقد انقلبت حين ألقاها عليه السلام ثعبانا وهو العظيم من الحيات كما يفصح عنه قوله تعالى: "فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ"³ وتشبيهها بالجان وهو الدقيق منها في قوله سبحانه: "فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ"⁴ من حيث الجلادة وسرعة الحركة لا من حيث صغر الجثة فلا منافاة⁵.

الوجه الثالث: قال الإمام الألوسي إن الحية كانت صغيرة ولكن حينما ألقاها صارت حية صفراء شعراء فاغرة ويشهد على هذا برواية ابن عباس والسدي. وروي عن ابن عباس، والسدي أنه عليه السلام لما ألقاها صارت حية صفراء شعراء فاغرة، وعن معمر أنها كانت في العظم كالمدينة، وقيل: كان طولها ثمانين ذراعا، وعن وهب بن

1 سورة الأعراف: 107، سورة الشعراء: 32.

2 سورة النمل: 10، سورة القصص: 31.

3 سورة الأعراف: 107، سورة الشعراء: 32.

4 سورة النمل: 10، سورة القصص: 31.

5 انظر: تفسير روح المعاني (492/8)

منه أن بين لحييها اثني عشر ذراعاً، وعلى جميع الروايات لا تعارض بين ما هنا وقوله سبحانه: "أَنَّهُ جَانٌ¹ بناء على أن الجان هي الحية الصغيرة، أو لما قيل: إنها انقلبت جانا وصارت ثعبانا فحكيت الحالتان في آيتين. الوجه الرابع: قال الإمام الألوسي لما قالوا: إن القصة غير واحدة، أو أن المقصود من ذلك تشبيهها في خفة الحركة بالجان لا ببيان جنتها.²

النتيجة: وللجمع بين هذه الآيات أوجه حيث ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي: إن لفظ الحية اسم جنس يطلق على الصغير والكبير والأنثى والذكر حينما عين معنى ثعبان بمعنى اسم الجنس فحل الإشكال لامنافاة بين الآيات.

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي: إن القصة ليست واحدة فدفع التعارض بين الآيات.

الوجه الثالث: قال الإمام الألوسي المراد من "ثعبان" الحية العظيمة والمراد من "جان" الحية الصغيرة ولكن المقصود من ذلك تشبيهها في خفة الحركة بالجان لا ببيان جنتها.

إن الإمام الألوسي دفع الإشكال المذكور بين الآيات باستخدام معرفة اللغة والتشبيه وأيضا ببيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال الإمام الرازي³: "قال هاهنا حية وفي موضع آخر ثعبان وجان، أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفيه وجهان: أحدهما: أنها كانت وقت انقلابها حية صغيرة دقيقة ثم تورمت وتزايد جرمها حتى صارت ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها، والثاني: أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان، والدليل عليه قوله تعالى: فلما رآها تحتز كأنها جان، السؤال الثالث: كيف كانت صفة الحية"⁴.

قال الإمام القرطبي⁵: "وَأَلْقَ عَصَاكَ فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ فَصَارَتْ حِيَةً تَحْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ، وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم، وقال الكلبي: لا صغيرة ولا كبيرة، وقيل: إنها قلبت له أولا حية صغيرة فلما أنس منها قلبت حية كبيرة، وقيل: انقلبت مرة حية صغيرة، ومرة حية تسعى وهي الأنثى، ومرة ثعبانا وهو الذكر الكبير من الحيات، وقيل:

1 سورة النمل: 10، سورة القصص: 31.

2 تفسير روح المعاني: (20/5)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير الرازي (27/22)

5 سبقت ترجمته

المعنى انقلبت ثعبانا تمتاز كأنها جان لها عظم الثعبان وخفة الجان واهتزازه وهي حية تسعى، وجمع الجان جنان¹؛ ومنه الحديث: نهي عن قتل الجنان التي في البيوت².

قال الإمام ابن كثير³: "قوله تعالى: 'قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى' أي: هذه العصا التي في يدك يا موسى، ألقها 'فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى' أي: صارت في الحال حية عظيمة، ثعباناً طويلاً يتحرك حركة سريعة، فإذا هي تمتاز كأنها جان، وهو أسرع الحيات حركة، ولكنه صغير، فهذه في غاية الكبر، وفي غاية سرعة الحركة، 'تَسْعَى' أي: تمشي وتضطرب"⁴.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة واختلاف الأمكنة والأزمنة.

أصل المسألة: إن تخليق الناس للجنة أو للجهنم؟

"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ثُمَّ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ⁵، وَكَذَلِكَ أَوْخَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ⁶، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَئِذَاكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ⁷، وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ⁸".

خلق الناس علي معنى لثمرة الاختلاف من كون فريق في الجنة وفريق في السعير ولكن حكمة خلقهم ليس هذا لقوله سبحانه: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، فكيف التوافق بين الآيات المذكورة؟

قال الإمام الألوسي للجمع بين هذه الآيات أوجه: المراد من قوله تعالى: "الجنة والناس" أي إما عصاهما على أن التعريف للعهد والعذاب مخصوص بهم والوعيد ليس إلا لهم ويشهد على هذا التفسير بآية القرآنية وقال: المراد-

1 تفسير القرطبي (160/13)

2 صحيح مسلم، كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها (1753/4)، رقم الحديث: 2233.

3 سبقت ترجمته

4 تفسير ابن كثير (279/5)

5 سورة الأعراف: 179.

6 سورة الشوري: 7.

7 سورة هود: 119.

8 سورة الذاريات: 56.

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (141)

بالجنة والناس - أتباع إبليس لقوله سبحانه "لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ"¹ و "لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ"² فاللازم دخول جميع تابعيه في جهنم ولا محذور فيه، والقرآن يفسر بعضه بعضاً، ولا حاجة إلى تقدير عصاة مضافاً إلى الفريقين.

وكذا ما قيل إنه إشارة إلى قوله تعالى: "فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ"³ أو إلى الشقاوة والسعادة المفهوميتين من ذلك، أو إلى أن يكون⁴ "فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ"⁵.

وقيل: أل في "الْجَنِّ وَالْإِنْسِ" للعهد، والمراد بهم المؤمنون لقوله تعالى: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا" الآية أي بناء على أن اللام فيها ليست للعاقبة، ونسب هذا القول لزيد بن أسلم وسفيان، وأيد بقوله تعالى قيل: "إِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ" ويشهد على هذا التفسير برواية ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين" ورواها بعضهم قراءة لابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ومن الناس من جعلها للجنس، وقال: يكفي في ثبوت الحكم له ثبوته لبعض أفرادهم وهو هنا المؤمنون الطائعون وهو في المال متحد مع سابقه⁶.

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي صورتين لدفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية:

الصورة الأولى: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "الجنة والناس" و "الجن والإنس" فيهما أل للعهد لامتافاة بين الآيات كما فسر معني "الجنة والناس"، ومعني "الجن والناس" بآية فريق في الجنة وفريق في السعير وآية أخرى "فمنهم شقي وسعيد" زال الإشكال بهذا التوجيه.

الصورة الثانية: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" أي وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين فحل الإشكال بين الآيات. إن الإمام الألوسي دفع التعارض بضوء تفسير القرآن بالقرآن واللغة و بمعرفة القراءة.

1 سورة الأعراف: 18.

2 سورة ص: 85.

3 سورة هود: 105.

4 انظر: تفسير روح المعاني: (357/6، 359، 358)

5 سورة الشورى: 7.

6 انظر: تفسير روح المعاني: (23-20/14)

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري¹: "في تفسير ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم"².

قال الإمام الرازي³: "قال تعالى: "ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس"⁴ وأسقط الخاء لأنه يشعر بالخزي⁵ قال تعالى: "يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه"⁶ وقال تعالى: إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين⁷، وقال: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"⁸ وأمثال هذه الآيات كثيرة، ونحن نعلم بالضرورة أنه لا يجوز وقوع التناقض في القرآن، فعلمنا أنه لا يمكن حمل قوله تعالى: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس على ظاهره⁹، قال الإمام الرازي قوله تعالى: ولقد ذرأنا... مقيد بالكفار؛ لأن الله تعالى لا يخزي المؤمنين أنه يدخل المؤمنين في جهنم".

قال الإمام ثناء الله باني بقي¹⁰: "ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير رواه الترمذي فان قيل كيف التوفيق بين هذه الآية وو بين قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قلنا خلق الجن والانس كلهم للعبادة من حيث نفس الخلق واصل الحكمة في خلق العالم من غير ملاحظة علم الله فيهم اختيار الكفر وخلق

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الكشاف (179/2)

3 سبقت ترجمته

4 سورة الأعراف: 179.

5 تفسير الرازي (160/1)

6 سورة التحريم: 8.

7 سورة النحل: 27.

8 سورة الذاريات: 56.

9 تفسير الرازي (409/15)

10 هو الشيخ القاضي محمد ثناء الله بن الشيخ حبيب الله بني، أحد العلماء الراسخين في العلم، ولد في أسرة علمية ببلدة باني بت في البنجاب الشرقي في الأول من شهر رجب سنة 1730م و توفي الشيخ في غرة رجب سنة خمس وعشرين ومائتين وألف الموافق: 1810م ببلدة باني بت ودفن بما. أنظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبمجة المسامع والنواظر)، لعبد الحي بن فخر الدين، ن: دار ابن حزم - بيروت، لبنان، ط: أولى، 1420 هـ، 1999م، عدد الأجزاء: 8، (942/7).

كثيراً من الجن والانس لجهنم نظراً الى انه تعالى علم منهم اختيار الكفر وحق القول منه لا ملئن جهنم من الجنة والناس أجمعين ولا منافاة بين الحثيتين¹.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع الإمام الرازي والإمام الزمخشري في أصول اللغة وتفسير القرآن بالقرآن وقد أضاف الأصول الآخر وهو القراءة.

أصل المسألة: إن الله تعالى يستل الناس أم لا؟

"فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ²، فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ³، قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ⁴، فَيُؤْمِنُ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ⁵".

إن الآيتين الأوليين تدلان على أن الله تعالى يستل الناس ولكن الآيتين الأخريين تدلان على أن الله تعالى لا يستل، كيف تجمع هذه الآيات؟

ذكر الإمام الألوسي أجوبة مختلفة لدفع الإشكال المذكور بين الآيات:

الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ" ماذا أجيبوا، والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم، والمنفي في قوله تعالى: "فَيُؤْمِنُ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ" على ما قيل: سؤال الاستعلام، ونفي ذلك بالنسبة إليه عز وجل ظاهر، وبالنسبة إلى الملائكة عليهم السلام لأنهم مطلعون على صحائفهم أو عارفون بإيهم بسيماهم كما قال سبحانه: "يُغَرِّفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ"⁶ والمراد بالسؤال المثبت في قوله عز وجل: "فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ"⁷ سؤال التوبيخ والتقريع فلا تناقض بين الآيتين، وهناك نفي سؤال الاستفهام لأنه تعالى عالم بجميع أعمالهم وروي هذا عن ابن عباس فلا منافاة بين الآيتين.

1 انظر: التفسير المظهر، لقاضي محمد ثناء الله المظهر، ت: غلام نبي التونسي، ن: مكتبة الرشدية - الباكستان، الطبعة:

1412 هـ (435/3)

2 سورة الأعراف: 6.

3 سورة الحجر: 92.

4 سورة القصص: 78.

5 سورة الرحمن: 39.

6 سورة الرحمن: 41.

7 سورة الحجر: 92.

الثاني: وجوز أن يكون السؤال في الموضعين بمعنى والنفي والإثبات باعتبار موضعين أو زمانين، والمواقف يوم القيامة كثيرة واليوم طويل فلا تناقض بين الآيات.

الثالث: وقال الإمام: إنهم لا يسألون عن الأعمال أي ما فعلتم ولكن يسألون عن الدواعي التي دعتهم إلى الأعمال والصوارف التي صرفتهم عنها أي لم كان كذا فارتفع الإشكال بين الآيات.

الرابع: وقيل: معنى "لا يُسْتَلُّ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ"¹ وقيل: لا حاجة إلى التوفيق فإن المنفي هو السؤال عن الذنب لا مطلق السؤال فاندفع التعارض بين الآيات.

وتخصيص سؤال المرسلين عليهم السلام بما ذكرنا هو الذي يشهد به الأخبار وتدل عليه الآثار، وفي القرآن ما يؤيد ذلك فقد قال سبحانه: "يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ"² وتخصيص سؤال الذين أرسل إليهم بما تقدم هو الذي جرى عليه جماعة من المفسرين. واستشهد الإمام الألويسي براوية ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري أنه يقال للذين أرسل إليهم: هل بلغكم الرسل؟ ويقال: للمرسلين: ماذا ردوا عليكم. وأخرج أيضا عن القاسم أبي عبد الرحمن أنه تلا هذه الآية فقال: يستل العبد يوم القيامة عن أربع خصال يقول ربك ألم أجعل لك جسدا فقيم أبليت؟ ألم أجعل لك علما فقيم عملت بما عملت؟ ألم أجعل لك مالا فقيم أنفقت في طاعتي أم في معصيتي؟ ألم أجعل لك عمرا فقيم أفنيته؟. وأخرج هو وغيره عن طاوس أنه قرأ ذلك فقال الإمام: يستل عن الناس والرجل يستل عن أهله والمرأة تستل عن بيت زوجها والعبد يستل عن مال سيده³، ولعل الظاهر أن سؤال كل من المرسل إليهم والمرسلين هنا عن أمر يتعلق بصاحبه، ولا يأتى هذا أن المكلفين يسألون عن أمور آخر والمواقف يوم القيامة شتى ويسأل السيد ذو الجلال عبادة فيها عن مقاصد عديدة فطوى لمن أخذ بعضه السعد فأجاب بما ينجي⁴.

النتيجة: للجمع بين هذه الآيات أوجه حيث قال الإمام الألويسي:

الوجه الأول: إن الآيتين الأوليين تدلان على التويخ والتفريع والآيتين الأخريين تدلان على أن الله تعالى عالم بجميع أعمالهم، ونفي ذلك بالنسبة إليه عز وجل ظاهر، وبالنسبة إلى الملائكة عليهم السلام لأنهم مطلعون على صحائفهم أو عارفون إياهم بسيماهم، فرفع الإشكال بين الآيات.

1 سورة الرحمن: 39.

2 سورة المائدة: 109.

3 تفسير ابن أبي حاتم (1439/5)

4 انظر: تفسير روح المعاني (324-322/4)، (238/10)، (326/10)، (114-113/14)

الوجه الثاني: وجوز أن يكون السؤال في الموضوعين بمعنى والنفي والإثبات باعتبار موضعين أو زمانين، والمواقف يوم القيامة كثيرة واليوم طويل فلا تناقض بين الآيات.

الوجه الثالث: إنهم لا يسألون عن الأعمال أي ما فعلتم ولكن يسألون عن الدواعي التي دعتهم إلى الأعمال والصوارف التي صرفتهم عنها أي لم كان كذا فارتفع الإشكال بين الآيات.

الوجه الرابع: لا حاجة إلى التوفيق فإن المنفي هو السؤال عن الذنب لا مطلق السؤال فاندفع التعارض بين الآيات. إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيات القرآنية بأصول معرفة تفسير القرآن بالقرآن والعام والخاص وبين اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال الإمام الشوكاني¹: "فإذا نفخ في الصور قيل: هذه هي النفخة الأولى، وقيل: الثانية، وهذا أولى، وهي النفخة التي تقع بين البعث والنشور"². "إن ما هنا يكون في موقف والسؤال في موقف آخر من مواقف القيامة. وقيل: إنهم لا يسألون هنا سؤال استفهام عن ذنوبهم، لأن الله سبحانه قد أحصى الأعمال وحفظها على العباد، ولكن يسألون سؤال توبيخ وتقريع، ومثل هذه الآية قوله: ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون قال أبو العالية: المعنى لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم، وقيل: إن عدم السؤال هو عند البعث، والسؤال هو في موقف الحساب"³.

قال الإمام أبو السعود العمادي⁴: "فلا أنساب بينهم، تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث، يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، أو لا أنساب يفتخرون بها (يومئذ) كما هي بينهم اليوم (ولا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضاً لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لأن هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك"⁵.

1 هو محمد بن علي الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، ولد (1173هـ) بمجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة 1229 ومات (1250هـ) حاكماً بها. أنظر: نيل الوطر من رجال اليمن في القرن الثالث عشر الهجري، محمد بن محمد زبارة الصنعائي، ن: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، سنة النشر: 2012 (215/1)

2 فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ن: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: أولى-1414هـ (590/3)

3 فتح القدير (166/5)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير أبي السعود (151/6)

قال الإمام ابن الجوزي¹: "في قوله: وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ: أحدها: لا يتساءلون بالأنساب أن يترك بعضهم لبعض حَقَّهُ، والثاني: لا يسأل بعضهم بعضاً عن شأنه، لاشتغال كل واحد بنفسه، والثالث: لا يسأل بعضهم بعضاً من أي قبيل أنت، كما تفعل العرب لتعرف النسب فتعرف قدر الرجل"².

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع الإمام الشوكاني وأبي السعود العمادي في أصول الأمكنة والأزمنة وقد ذكر الأصول الأخرى وهو تفسير القرآن بالقرآن والعام والخاص.

مسورة الأنفال

أصل المسألة: إن بذكر الله تعالى يحصل اطمئنان القلب أو وجل القلب؟

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ³، الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ⁴، الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ⁵"

إن الآيتين الأوليين تدلان على أن ذكر الله تعالى ينشأ الفزع والهيبه في قلوب المؤمنين ولكن الآية الأخرى تدل على أن يحصل الإطمئنان بذكر الله تعالى، فكيف تدفع المناقاة بين الآيات؟

ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لحل الإشكال بين الآيات كمايلي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ" أي فزعت استعظاما لشأنه الجليل وتقيبا منه جل وعلا والاطمئنان المذكور في قوله سبحانه وتعالى: "أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"⁶ لا ينافي الوجمل والخوف لأنه عبارة عن ثلج الفؤاد وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهو يجامع الخوف، ويشهد على هذا التفسير برواية البيهقي كما أخرج البيهقي وجماعة عن السدي: أنه قال في الآية: هو الرجل يريد أن يظلم أو يظلم بهم

1 هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التفسير والحديث والتاريخ كثير التصانيف. مولده (508هـ) ووفاته (597هـ) ببغداد. أنظر: البداية والنهاية (28/13) ومفتاح السعادة (207/1)

2 زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (للتوفى: 597هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، ن: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ (271/3)

3 سورة الأنفال:2.

4 سورة الحج:35.

5 سورة الرعد: 28.

6 سورة الرعد: 28.

ممعصية فيقال له: اتق الله تعالى فيجل قلبه¹، وحمل الوجل فيها على الخوف منه تعالى كلما ذكر أبلغ في المدح من حمله على الخوف وقت الهم بمعصية أو إرادة ظلم. وهذا الوجل في قلب المؤمن كضربة السعفة² كما جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها³.

الوجه الثاني: ووفق بعضهم بين الآيتين بأن الذكر في إحداها ذكر رحمة وفي الأخرى ذكر عقوبة فلا منافاة بينهما.

الوجه الثالث: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ" حسبما يحصل لهم من التجلي عند ذلك، وقد يحصل من الذكر طمأنينة القلب لاقتضاء التجلي إذ ذلك، وذكر بعضهم أن لكل اسم تجليا خاصا فإذا ذكر الله تعالى حصل حسب الاستعداد ومن هاهنا يحصل تارة وجل وتارة طمأنينة وإذا لا تقتضي الكلية بل كثيرا ما يؤتى بها في الشرطية الجزئية، وقيل العارف متى سمع الذكر من غيره تعالى وجل قلبه ومتى سمعه منه عز وجل اطمأن⁴.

النتيجة: قال الإمام الألوسي: هنا توجيهات مختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيات.

التوجيه الأول: إن الاطمئنان المذكور في قوله سبحانه وتعالى: "أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"⁵ لا ينافي الوجل والخوف لأنه عبارة عن تلج الفؤاد وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهو يجامع الخوف.

التوجيه الثاني: إن الذكر في إحداها ذكر رحمة وفي الأخرى ذكر عقوبة فلا منافاة بينهما.

التوجيه الثالث: "الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ" حسبما يحصل لهم من التجلي عند ذلك، وقد يحصل من الذكر طمأنينة القلب لاقتضاء التجلي إذ ذلك، لأن لكل اسم تجليا خاصا فإذا ذكر الله تعالى حصل حسب الاستعداد ومن هاهنا يحصل تارة وجل وتارة طمأنينة. بعد التوضيح المذكورة لاتنافي بين الآيات. إن الإمام الألوسي دفع هذا الإشكال باستخدام معرفة اللغة، والحديث والتفسير الإشاري والعام والخاص.

1 الزهد والرقائق لابن المبارك، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المؤزري، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: 2: (35/2)

2 الفوائد، لأبي القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي الرازي ثم الدمشقي، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، ن: مكتبة الرشد - الرياض، ط: الأولى، 1412، عدد الأجزاء: 2 (290/1)

3 انظر: تفسير روح المعاني: (155/5)

4 انظر: تفسير روح المعاني (153/9)

5 سورة الرعد: 28.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري¹: "فرغت لذكره استعظاماً له، وتعباً من جلاله وعزّة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه، وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله "ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ" لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه، وقيل: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهمل بمعصية فيقال له: اتق الله فينزع"².

قال الإمام البيضاوي³: "فرغت لذكره استعظاماً له وتعباً من جلاله، وقيل هو الرجل يهمل بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفاً من عقابه"⁴.

قال الإمام القرطبي⁵: "أي تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله، فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته؛ لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ومن النفاق الذي يشبه نفاق الحمير"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين في أصول اللغة وقد اتفق مع الإمام الزمخشري في تفسير القرآن بالقرآن لحل الإشكال المذكور وقد أضاف الأصول الأخرى وهو التفسير الإشاري والخاص.

أصل المسألة: إن الله تعالى يعذب في الدنيا أم لا؟

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ⁷، وَمَا هُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولِيَاءُهُ إِلَّا الْمُتَفَقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ⁸، قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ⁹

كيف يجمع بين الآيتين، وفي الأولى نفي تعذيب الكفار، وفي الثانية إثبات ذلك؟

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الكشاف (196/2)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير البيضاوي (49/3)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير القرطبي (366/7)

⁷ سورة الأنفال: 33.

⁸ سورة الأنفال: 34.

⁹ سورة التوبة: 14.

الصورة الأولى: قال الإمام الألوسي إن قوله سبحانه "وما كان الله ليعذبهم..." تدل على عذاب الاستتصال يعني العذاب الآخرة و أن الآيتين الأخريين تدل على العذاب الدنيوي فزال الإشكال بين الآيات.

الصورة الثانية: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم..." منسوخة بآية "وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام..."، و "قاتلوهم يعذبهم الله..." فدفع الإشكال بين الآيات. إن الإمام الألوسي دفع هذا الإشكال بأصول النسخ والعام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام الرازي¹: "المراد من الأول عذاب الاستتصال، ومن الثاني: العذاب الحاصل بالمحاربة والمقاتلة، وقال ابن عباس: هذا العذاب هو عذاب الآخرة، والعذاب الذي نفاه عنهم هو عذاب الدنيا"².

قال الإمام ابن الجوزي³: "قوله تعالى: وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةُ أَجَازَتْ تَعْذِيبَهُمْ، وَالْأَوَّلُ اسْتِثْنَاءُ الْكُلِّ، فَلَمْ يَقَعْ الْأَوَّلُ لِمَا قَدْ عَلِمَ مِنْ إِيمَانِ بَعْضِهِمْ، وَإِسْلَامِ بَعْضِ ذُرِّيَّتِهِمْ، وَوَقَعَ الثَّانِي، وَالثَّانِي: أَنَّ الْعَذَابَ الْأَوَّلَ عَذَابُ الدُّنْيَا، وَالثَّانِي: عَذَابُ الْآخِرَةِ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَ الْمُشْرِكِينَ لِاسْتِغْفَارِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ"⁴.

قال الإمام البيضاوي⁵: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ"، بيان لما كان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم، واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استتصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه، والمراد باستغفارهم إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين، أو قولهم اللهم غفرانك، أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله: "وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص، وقد ذكر الأصول الآخر وهو أصول النسخ.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الرازي (480/15)

3 سبقت ترجمته

4 زاد المسير (208/2-209)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير البيضاوي (58/3)

سورة براءة:

أصل المسألة: إن أهل الكتاب يشرك أم لا؟

"وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ¹، مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ²"

إن الآية الأولى تدل على أن أهل الكتاب يشركون ولكن حينما ذكر أهل الكتاب مع المشركين أي بالواو، والواو تقتضي المغايرة يعني عندما جاء ذكر أهل الكتاب مع المشركين ما وردت اللفاظ المشركين ولكن بأهل الكتاب، مع أن متساويين في الشرك، فكيف الموافقة بين الآيتين؟

وللجمع بين هذه الآيتين أوجه: كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي: إن كثيرا من أهل العلم المشركات على ما عدا الكتابيات فيجوز نكاح الكتابيات عنده لقوله تعالى: "لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ³، وَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ⁴" والعطف يقتضي المغايرة ويشهد على هذا التفسير برواية ابن حميد عن قتادة: المراد بالمشركات مشركات العرب التي ليس لها كتاب.

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ" أي الكتابيات والمشركات، ذهب البعض إلى أن الآية المذكورة تعم الكتابيات قليل ؛ لأن من جحد نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام فقد أنكر معجزته وأضافها إلى غيره تعالى وهذا هو الشرك بعينه ولأن الشرك وقع في مقابلة الإيمان فيما بعد ولأنه تعالى أطلق الشرك على أهل الكتاب لقوله: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ⁵" إلى قوله سبحانه: "عَمَّا يُشْرِكُونَ⁶" وأخرج البخاري عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان إذا سئل عن نكاح الرجل النصرانية أو اليهودية قال حرم الله تعالى المشركات على المسلمين ولا أعرف شيئا من الإشراف أعظم

1 سورة براءة/التوبة:30.

2 سورة البقرة:105.

3 سورة البينة: 1.

4 سورة البقرة: 105.

5 سورة التوبة: 30.

6 سورة التوبة: 30.

من أن تقول المرأة ربما عيسى أو عبد من عباد الله تعالى¹، وإلى هذا ذهب الإمامية وبعض الزيدية، وجعلوا آية "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ"² منسوخة بهذه الآية نسخ الخاص بالعام³.
 "وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا" أي لا تزوجوا الكفار من المؤمنات سواء كان الكافر كتابيا أو غيره وسواء كانت - المؤمنة أمة - أو حرة⁴.

النتيجة: إن الإمام الألوسي دفع التعارض بصورتين:

الصورة الأولى: قال الإمام الألوسي: إن أهل الكتاب الذين يعتقدون عزير ابن الله والمسيح ابن الله هم يمحسون من المشركين في ذلك الوقت إطلاق قوله تعالى: "ولا تنكحوا المشركات" سواء على أهل الكتاب والمشركين.
 الصورة الثانية: قال الإمام الألوسي إن قوله تعالى: "والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب" منسوخة بآية "وقالت اليهود..."⁵ هنا نسخ الخاص بالعام.

إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيتين بأصول معرفة النسخ و ببيان الحديث وتفسير القرآن بالقرآن.

أقوال العلماء:

قال القاضي ثناء الله باني بتي⁵: "كان ابن عباس يقول لا يجوز نكاح الحرية والله اعلم وكان ابن عمر يمنع نكاح الكتابية مطلقا حرة كانت او امة ذمية او حربية لاندراجها في المشركات قال الله تعالى قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال الله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وفسر ابن عمر المحصنات في الآية بالمسلمات"⁶.

قال الإمام القرطبي⁷: "وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا"، نزه سبحانه وتعالى نفسه عما قاله المشركون من أن الملائكة أولاد الله؛ يعني بنات الله سبحانه وتعالى، وعما "قالت اليهود عزير ابن الله" جل الله تعالى، وعما "قالت النصارى المسيح ابن الله" تعالى الله عن ذلك، "وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ"، كما قال عبدة الأوثان¹.

1 صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَّخِذُ دَرْجَةً} [النساء: 40] (289/13)، رقم الحديث:

4581.

2 سورة المائدة: 5.

3 انظر: تفسير روح المعاني: (512/1-515)

4 انظر: تفسير روح المعاني: (513/1)

5 سبقت ترجمته

6 التفسير المظهر (41/3)

7 سبقت ترجمته

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع الإمام القرطبي لحل الإشكال المذكور في أصول تفسير القرآن بالقرآن وقد أضاف الأصول الآخر لدفع هذا الإشكال المذكور وهو أصول النسخ.

أصل المسألة: إن الجهاد واجب على كل مسلم أم لا؟

"انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ²، لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُخْسِينِ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ³"

إن الآية الأولى تدل على أن المؤمنين ينفروا للجهاد في سبيل الله تعالى ما شاء هو خفيف وثقيل يعني لا يري عنده السلاح خفيف أو ثقيل أو هو شباب أو شبوخ أو لم يجده للمال الذي ينفق في سبيل الله أو هو مريض أو ضعيف، ولكن الآية الأخرى تدل على عكسها، فكيف تجمعان الآيتان؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا" أي خفافاً من السلاح وثقالات منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخاً أو أصحاباً ومراضاً إلى غير ذلك ليس تخصيصاً للأمرين المتقابلين بالإرادة من غير مقارنة للباقي، ويشهد على هذا التفسير برواية مجاهد. وقال الإمام الألوسي إن الآية المذكورة نسخت حينما ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أعلني أن أنفر؟ قال: نعم، حتى نزل: "لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ⁴" وأخرج ابن أبي حاتم. وغيره عن السدي قال: لما نزلت هذه الآية اشتد على الناس شأنها فنسخها⁵ الله تعالى فقال: "لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى⁶".

قال الإمام الألوسي ذهب بعض إلى أنها منسوخة بقوله تعالى: "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً⁷" وهو خلاف الظاهر، ويفهم من بعض الروايات أن لا نسخ⁸ فقد أخرج ابن جرير⁹ عن أبي راشد قال: رأيت المقداد فارس

1 تفسير القرطبي (2/13)

2 سورة التوبة: 41.

3 سورة التوبة: 91.

4 سورة الفتح: 17.

5 تفسير ابن أبي حاتم (1803/6)

6 سورة التوبة: 91.

7 سورة التوبة: 122.

8 انظر: تفسير روح المعاني (295/5)

9 تفسير الطبري (267/14)

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحمص يريد الغزو فقلت: لقد أعذر الله تعالى إليك قال: أبت علينا سورة البحوث يعني هذه الآية منها.

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي توجيهين لدفع توهم التعارض بين الآيتين:

التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي إن قوله تعالى: "انفروا خفافا وثقالا" منسوخ بآية "ليس علي الضعفاء..." أو منسوخة بآية "وما كان المؤمنون لينفروا كافة".

التوجيه الثاني: قوله تعالى: "انفروا خفافا وثقالا" لا نسخ في الآية المذكورة كما ذكر قبل النتيجة و يقال إن الآيات المذكورة تدل على صور مختلفة يعني سواء كون خروجهم ندبا فحينئذ إن الآية المذكورة منسوخة بآية "ليس علي الضعفاء..." أو وجوبا فحينئذ لا نسخ في آية "انفروا خفافا". إن الإمام الألوسي دفع الإشكال باستخدام أصول معرفة النسخ وبيان الحديث والعام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري¹: "عن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله ﷺ: أعلني أن أنفر؟ قال: نعم، حتى نزل قوله، "لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ"، وعن ابن عباس: نسخت بقوله، "لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى"².

قال الإمام القرطبي³: "قلنا: إن النسخ لا يصح. وقد تكون حالة يجب فيها نفي الكل"⁴.

قال الإمام الرازي⁵: "لقائل أن يقول: اتفقوا على أن هذه الآية نزلت في غزوة تبوك، واتفقوا على أنه عليه الصلاة والسلام خلف النساء وخلف من الرجال أقواما، وذلك يدل على أن هذا الوجوب ليس على الأعيان، لكنه من فروض الكفايات، فمن أمره الرسول بأن يخرج، لزمه ذلك خفافا وثقالا، ومن أمره بأن يبقى هناك، لزمه أن يبقى ويترك النفر وعلى هذا التقدير: فلا حاجة إلى التزام النسخ"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع أقوال العلماء الآخرين لحل الإشكال المذكور في أصول النسخ والعام والخاص وقد ذكر الأصول الآخر وهو بيان الحديث.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الكشاف (273/2)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير القرطبي (151/8)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير الرازي (55/16)

أصل المسألة: إذن الرسول ﷺ للمؤمنين

"عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ" ¹، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" ²

إن الآية الأولى تدل على أن لا استحقاق للرسول صلى الله عليه وسلم أن يأذن المؤمنين ولكن الآية الثانية تدل على عكسها، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ" أي لأن سبب أذنت لهؤلاء الخالفين المتخلفين في التخلف حين استأذنوا فيه معتردين بعدم الاستطاعة، وهذا عتاب لطيف من اللطيف الخبير سبحانه بحبيبه صلى الله عليه وسلم على ترك الأولى وهو التوقف عن الإذن إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال المشار إليه بقوله سبحانه: "حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا" أي فيما أخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة "وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ" أي في ذلك "لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ" كأنه قيل: لم سارعت إلى الإذن لهم ولم تتوقف حتى ينجلي الأمر كما هو قضية الحزم اللائق بشأنك الرفيع يا سيد أولي العزم ³.

واستدل بما جمع على أن له صلى الله عليه وسلم اجتهدا وأنه قد يناله منه أجر واحد والوجه فيه ظاهر، وما فعله صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة أحد أمرين فعلهما ولم يؤمر بفعلهما كما أخرج ابن جرير وغيره عن عمرو بن ميمون ⁴. ومدح من لزم مجلس رسولا لله صلى الله عليه وسلم ولم يذهب عنه وذم من فارقه بغير الإذن وأمر بالاستغفار في حق من فارق بالإذن لأن قوله تعالى: "فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ" يؤذن أن القوم ثلاث فرق المأذون في الذهاب بعد الاستئذان والمتخلف عنه ثم المتخلف إما أن يدوم في مجلسه عليه الصلاة والسلام ولم يذهب وهم المؤمنون المخلصون أو يتسلل لوإذا وهم المنافقون ⁵

1 سورة التوبة: 43.

2 سورة النور: 62.

3 تفسير روح المعاني (298/5)

4 تفسير روح المعاني (299/5)

5 تفسير روح المعاني (417/9)

النتيجة: إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين بوجهين:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي هذا الإذن كان من اجتهاد النبي ﷺ قبل نزول هاتين الآيتين وقد يناله ﷺ منه أجر واحد، ولذا عتب الله تعالى على الرسول ﷺ ثم أعطى الله تعالى اختيار الإذن بشرط وهو قوله تعالى "حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين".

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي: ففي هذه المسألة إن الآية الثانية ليست متعارضة بل هي مفسرة أو مبينة أو موضحة للآية الأولى. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بتفسير القرآن بالقرآن وبأصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام القرطبي¹: "قَدْ ذُنَّ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ؛ فبين بذلك أنه مخصوص في الحرب، قلت: القول بالعموم أولى وأرفع وأحسن وأعلى، قَدْ ذُنَّ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، فكان النبي ﷺ بالخيار إن شاء أن يأذن وإن شاء منع، وقال قتادة: قوله: "قَدْ ذُنَّ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ"، منسوخة² بقوله: "عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ"³.

قال الإمام الشوكاني⁴: "عفا الله عنك لم أذنت لهم للإنتكار من الله تعالى على رسوله ﷺ حيث وقع منه الإذن لمن استأذنه في القعود، قبل أن يتبين من هو صادق منهم في عذره الذي أبداه، ومن هو كاذب فيه، وفي ذكر العفو عنه ﷺ ما يدل على أن هذا الإذن الصادر منه كان خلاف الأولى، وفي هذا عتاب لطيف من الله سبحانه"⁵.

قال الإمام البيضاوي⁶: "قَدْ ذُنَّ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ تفويض للأمر إلى رأي الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم، واستدل به على أن بعض الأحكام مفوضة إلى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بأن تكون تابعة لعلمه بصدقه فكان المعنى: فائذن لمن علمت أن له عذراً"⁷.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي وافق مع الإمام الشوكاني والبيضاوي لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص ولكن ذكر القرطبي قول النسخ وما ذهب الإمام الألوسي إليه.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير القرطبي (321/12)

3 سورة التوبة: 43.

4 سبقت ترجمته

5 فتح القدير (420/2)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير البيضاوي (115/4)

أصل المسألة: إن الله تعالى يعلم المنافقين أم لا؟

"وَمَنْ حَوَّلَكُمْ مِنَ الْآعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ لَحْنٌ تَعْلَمُهُمْ سَتُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ¹، وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتُمُوهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ²"

إن الآية الأولى تدل على أن الرسول ﷺ لا يعلم المنافقين ولكن الآية الثانية تدل على عكسها، فكيف الجمع بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "لا تعلمهم" بيان لتمردهم أي لا تعرفهم أنت بعنوان نفاقهم يعني أنهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم إلى حيث يخفى عليك مع كمال فطنتك وصدق فراستك حالهم. "لَحْنٌ تَعْلَمُهُمْ" أي نعرفهم بذلك العنوان وإسناد العلم بمعنى المعرفة إليه تعالى بما لا ينبغي أن يتوقف فيه وإن وهم فيه من وهم لا سيما إذا خرج ذلك مخرج المشاكلة، وقد فسر العلم هنا بالمعرفة ويشهد على هذا التفسير برواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما³.

قال الإمام الألوسي: المراد "ولتعرفنهم في لحن القول" أي صرف الكلام عن سننه الجاري عليه، إما بإزالة الإعراب، أو التصحيف، وهو المذموم، وذلك أكثر استعمالاً، وإما بإزالته عن التصريح وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى، وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيث البلاغة ويشهد على هذا التفسير بقول الراغب⁴ وإياه بقصد قوله تعالى: "وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ".

قال الإمام الألوسي: إن المنافقين كانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول صلى الله عليه وسلم مما ظاهره حسن ويعنون به القبيح وكانوا يتكلمون بكلام ذي دسائس وكان صلى الله عليه وسلم يعرفهم بسيماهم ولحن القول بذلك، ويشهد على هذا التفسير برواية أنس رضي الله تعالى عنه ما خفي بعد هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من المنافقين كان عليه الصلاة والسلام يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوكهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق، وفي دعواه أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرفهم كما يعرف القائف حال الشخص بعلامات تدل عليه

1 سورة التوبة: 101.

2 سورة محمد: 30.

3 انظر: تفسير روح المعاني (12/6)

4 المفردات في غريب القرآن (ص: 738)

ويظهر الأمر¹ حسبما أشار فرسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المعرفة أولى وأولى ولعلها بعلامات وراء طور عقولنا، والنور المذكور ويشهد على هذا التفسير بحديث النبوي ﷺ "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى"² متفاوت الظهور بحسب القابليات وللنبي صلى الله عليه وسلم أمته، وذكروا من علامات النفاق بغض علي كرم الله تعالى وجهه³.

النتيجة: قال الإمام الألوسي إن الآية الثانية تدل على معرفة لحن قولهم وكلامهم وحركاتهم وأيضاً سيماهم كما مر في رواية أنس رضي الله عنه يعني إن الآية الأولى تدل على علامات الرسوخ والتدقيق فرسول الله ﷺ لا يعلمها بالإحاطة الكلية والآية الثانية تدل على علامات الظاهرة فالرسول ﷺ يعرفها إجمالاً فإذا لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بأصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام ابن الجوزي⁴: "قوله تعالى: "لَا تَعْلَمُهُمْ" فيه وجهان: أحدهما: لا تعلمهم أنت حتى نُعَلِّمَكَ بهم، والثاني: لا تعلم عواقبهم"⁵.

قال الإمام ابن كثير⁶: قوله "لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ"، لا ينافي قوله تعالى، "وَلَوْ نَشَاءُ لَارْتَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ"⁷؛ لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين"⁸.

1 انظر: تفسير روح المعاني (333/13)

2 سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر (149/5)، رقم الحديث: 3127، حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث ضعيف انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (299/4)

3 الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع الديلمي الحمذاني الملقب إلكيا، ت: السعيد بن بسيوني زغلول، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة النشر: 1406 هـ - 1986 م، عدد الأجزاء: 5 (85/2)

4 سبقت ترجمته

5 زاد المسير (292/2)

6 سبقت ترجمته

7 سورة محمد: 30.

8 تفسير ابن كثير (204/4)

قال الإمام القرطبي¹: "قوله تعالى، "لا تعلمهم نحن نعلمهم"، هو مثل قوله، "لا تعلموهم الله يعلمهم"² على ما تقدم، وقيل: المعنى لا تعلم يا محمد عاقبة أمورهم وإنما نختص نحن بعلمها، وهذا يمنع أن يحكم على أحد بجنة أو نار"³.

قال الإمام الرازي⁴: "قال تعالى لا تعلمهم نحن نعلمهم وهو كقوله لا تعلموهم الله يعلمهم والمعنى أنهم تمردوا في حرفة النفاق فصاروا فيها أستاذين، وبلغوا إلى حيث لا تعلم أنت نفاقهم مع قوة خاطرك وصفاء حدسك ونفسك"⁵.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع أقوال العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص.

1 سبقت ترجمته

2 سورة الانفال: 60.

3 تفسير القرطبي (241/8)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير الرازي (131/16)

المبحث الثاني: من بداية سورة يونس إلى آخر سورة النحل

سورة يونس:

أصل المسألة: إن المشركين يرجون البعث أم لا؟

"وَإِذَا تَنَالَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ الْبَدَلَةَ مِنْ تَلَقَّاءٍ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَّوْمٍ عَظِيمٌ¹، وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ²، وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْقُصُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَغْلُمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ³."

إن الآيتين الأوليين تدلان على أن المشركين لا يرجون بالبعث بعد الموت ولكن الآية الثانية تثبت بأن المشركين يوقنون بالآخرة، فكيف تدفع المناقاة بين الآيات؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "هؤلاء شفعاؤنا" أي الشفاعة في الدنيا لإصلاح المعاش، ويشهد على هذا التفسير بقول الحسن وحيث لا منافاة.

والجمهور على الأول، ومن سبر حال القوم رأهم مترددين ولذلك اختلفت كلماتهم، ونسبة الشفاعة للأصنام قيل باعتبار السببية وذلك لأنهم كما هو المشهور وضعوها على صور رجال صالحين ذوي خطر عندهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادتها فإن أولئك الرجال يشفعون لهم.

وقيل: إنهم كانوا يعتقدون أن المتولي لكل إقليم روح معين من أرواح الأفلاك فعينوا لذلك الروح صنما من الأصنام واشتغلوا بعبادتها قصدا إلى عبادة الكواكب وقيل: غير ذلك.

والحق أن من الأصنام ما وضع على الوجه الأول ومنها ما وضع لكونها كاهليا كل للروحانيات قُلْ تَبَكِّيتَا لَهُم "أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَغْلُمُ" أي تخبرونه سبحانه بما لا وجود له ولا تحقق أصلا وهو كون الأصنام شفعاءهم عنده جل شأنه فإن ما لا يعلمه علام الغيوب المحيط علمه بالكليات والجزئيات لا يكون له تحقق بالكلية⁴.

النتيجة: إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيات بتوجيهين:

1 سورة يونس: 15.

2 سورة الأنعام: 109.

3 سورة يونس: 18.

4 انظر: تفسير روح المعاني (84/6)

التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي لو كان المراد من قوله تعالى: "ويقولون هؤلاء..." أي هذه الشفاعة، الشفاعة الدنيا لإصلاح المعاش، فلا منافاة بين الآيات.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي: إن المشركين مترددين في آرائهم ولذلك صارت طائفتان: الطائفة الأولى: ترجوا لقاء ربه و الطائفة الثانية لا ترجوا، وإن آية سورة يونس وسورة النحل متعلقة مع الطائفة التي لا ترجوا اللقاء فحل التعارض بين الآيات، وإن آية سورة الفرقان متعلقة بطائفة التي ترجوا اللقاء فاندفع التعارض بين الآيات. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيات بأصول العام والخاص و ببيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال الإمام البيضاوي¹: "وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ الْأَوْتَانُ. شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ"، تشفع لنا فيما يهمننا من أمور الدنيا أو في الآخرة إن يكن بعث، وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يعلم قطعاً أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده"².

قال الإمام ابن كثير³: "قوله: وَمَا نَرَى مَقَكُمْ شَفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ"، تقرير لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدار الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان، طائنين أن تلك تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان ثم معاد"⁴.

قال الإمام أبو مسعود العمادي⁵: "ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، عن النظر بن الحرث إذا كان يوم القيامة يشفع لى اللات قيل إنهم كانوا يعتقدون أن المتولي لكل إقليم روح معين من أرواح الأفلاك فعينوا لذلك الروح صنما معيناً من الأصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا أن ذلك الروح يكون عند الإله الأعظم مشغولاً بعبوديته وقيل إنهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها أصناماً معينة واشتغلوا بعبادتها قصداً إلى عبادة الكواكب وقيل إنهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الأصنام ثم تقربوا إليها وقيل إنهم وضعوا هذه الأصنام على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر يشفعون لهم عند الله تعالى"⁶.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير البيضاوي (108/3)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير ابن كثير (303/3)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير أبي السعود (132/4)

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول الأمكنة والأزمنة وقد أضاف الأصول الآخر لدفع الإشكال المذكور وهو أصول العام والخاص.

اصل المسألة: إن الله تعالى يحب الفرح الديني أم لا؟

"قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ"¹، إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ وَاتَّبَانَهُ مِنَ الْكُفَّارِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْفُؤَادِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ"² إن الآية الأولى تدل على أن الله تعالى أحكم الفرح حينما جاء الفضل عليهم، ولكن الآية الثانية تدل على عكسها، فكيف التوفيق بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا" أي لا بالأموال الفانية القليلة المقدار الدنية القدر "هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ" من الخسائس والمحقرات، وفسر بعضهم الفضل بانكشاف صباح الأزل لعيون أرواح المرئيين وزيادة وضوحه في لحظة حتى تطلع شمس الصفات³.

والفرح بما أوتي إذ قال له قومه لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا لذاتها مذموم لأنه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتما كما قال أبو الطيب: أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا⁴ وقال ابن شمس الخلافة:

وإذا نظرت فإن يؤسا زائلا ... للمرء خير من نعيم زائل

ولذلك قال عز وجل: "وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ"⁵ والعرب تمدح بترك الفرح عند إقبال الخير قال الشاعر: ولست بمفراح إذ الدهر سري ... ولا جازع من صرفه المتقلب⁶

1 سورة يونس: 58.

2 سورة القصص: 76.

3 انظر: تفسير روح المعاني (165/6)

4 اللامع العزيمي شرح ديوان المتنبي، لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري، ت: محمد سعيد المولوي، ن: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 1 (ص: 663)

5 سورة الحديد: 23.

6 الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ن: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: 1423 هـ، عدد الأجزاء: 2 (115/1)

وعلى سبحانه النهي هاهنا بكون الفرح مانعا من محبته عز وجل فقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ" فهو دليل على أن كون الفرح بالدنيا مذموما شرعا، وإنما قلنا: إن الفرح بما لذاتها مذموم لأن الفرح بما لكونها وسيلة إلى أمر من أمور الآخرة غير مذموم، ومحبة الله تعالى عند كثير صفة فعل أي أنه تعالى لا يكرم الفرحين بزخارف الدنيا ولا ينعم جل شأنه عليهم ولا يقرهم عز وجل، والمراد أنه تعالى يبغضهم ويهينهم ويبعدهم عن حضرته سبحانه، وقال بعضهم: إن في نفي محبته تعالى إياهم تنبيها على أن عدم محبته تعالى كاف في الزجر عما نهي عنه فما بالك بالبغض والعقاب وهو حسن¹.

النتيجة: قال الإمام الألوسي: معنى الآية الأولى متعلقة بالفرح الذي يوصل الإنسان أمر من أمور الآخرة.

قال الإمام الألوسي: معنى الآية الثانية متعلقة بالفرح بما لذاتها مذموم.

إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيتين ببيان اختلاف الأمكنة والأزمنة و بأصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام الراغب الأصفهاني²: "فرح: الفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية فلهذا قال، ولا تفرحوا بما آتاكم، وفرحوا بالحياة الدنيا، ذلكم مما كنتم تفرحون، حتى إذا فرحوا بما أوتوا، فرحوا بما عندهم من العلم، إن الله لا يحب الفرحين، ولم يرخص في الفرح إلا في قوله، فبذلك فليفرحوا، ويومئذ يفرح المؤمنون"³.

قال الإمام الزمخشري⁴: "إيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداها من فوائد الدنيا"⁵.

قال الإمام النيسابوري⁶: "إن الفرح إنما يجب أن يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانيات الزائلة"¹.

1 انظر: تفسير روح المعاني (318/10)

2 سبقت ترجمته

3 المفردات في غريب القرآن

4 سبقت ترجمته

5 تفسير الكشاف (353/2)

6 هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، وكان يعرف بنظام الأعرج: مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات. ما وجدت تاريخ ولادته و وفاته (850هـ)، أصله من بدلة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور. أنظر: طبقات المفسرين، للداودي (ص: 420)، أعيان الشيعة (112/23)، انظر: أعيان الشيعة، لسيد محسن الأمين، ن: دار المعارف، بيروت، عدد الأجزاء: 12 (112/11)

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص وقد أضاف الآخر لدفع الإشكال المذكور ببيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أصل المسألة: إن الإيمان يتفع عند رؤية العذاب أم لا؟

"فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ²، فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ³"

ذكر الله تعالى قصة قوم يونس عليه السلام في الآية الأولى حينما شاهدوا العذاب فيؤمنون فكشف الله تعالى العذاب منهم ولكن جاء في الآية الثانية "فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا" يعني بعد مشاهدة عذاب الله تعالى لا ينفع إيمانهم لو آمنوا، كيف الجمع بين الآيتين؟

ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لدفع الإشكال بين الآيتين كما يلي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي للمراد من قوله تعالى: "لَمَّا آمَنُوا" أي عندما رأوا أمارات العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله "كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ" أي الذل والهوان في الحياة الدنيا بعد ما أظلمهم وكاد ينزل بهم "وَمَتَّعْنَاهُمْ" بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم إلى حين أي زمان من الدهر مقدر لهم في علم الله تعالى⁴.

قال الإمام الألوسي: ظاهر الآية يستدعي أن القوم شاهدوا العذاب لمكان كَشَفْنَا وهو الذي يقتضيه أكثر الأخبار وإليه ذهب كثير من المفسرين ويشهد على هذا التفسير بقوله تعالى: "فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا"⁵.

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي إن نفع الإيمان لقوم يونس عليه السلام بعد المشاهدة من خصوصياتهم فإن إيمان الكفار بعد مشاهدة ما وعدوا به إيمان بأس غير نافع لارتفاع التكليف حينئذ وعادة الله إهلاكهم من غير

1 غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (المعروف بتفسير النيسابوري) لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ت: الشيخ زكريا عميرات، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ (591/3-592)

2 سورة يونس: 98.

3 سورة غافر: 85.

4 انظر: تفسير روح المعاني (180/6)

5 سورة غافر: 85.

إمهال كما أم لك فرعون¹. ويشهد على هذا التفسير بقوله عز وجل: "سُنَّتَ اللَّهُ الْبَقِيَّةَ قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ"² فيعني بذلك الإيمان عند رؤية البأس الغير المعتاد.

وقد حكى إجماع الأئمة المجتهدين على عدم القبول ومستندهم فيه الكتاب والسنة، وما ينقل عن الإمام مالك من القبول لم يثبت عند المطلعين على أقوال المجتهدين واختلافاتهم.

الوجه الثالث: ذكر الإمام الألوسي قول الإمام القاضي عبد الصمد من ساداتنا الحنفية في تفسيره بأن مذهب الصوفية أن الإيمان ينتفع به ولو عند معاينة العذاب³.

وعنه بعض الأكابر أن إيمان البأس مقبول أيضا ومعنى "قَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا" أن نفس إيمانهم لم ينفعهم وإنما نفعهم الله تعالى حقيقة به، ولا يخفى عليك حال هذا التأويل وما كان من ذلك القبيل والله تعالى أعلم⁴.

النتيجة: إن التوجيهات المختلفة لدفع الإشكال بين الآيتين كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي: في قصة قوم يونس قوله تعالى: "لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا..." "كشف الله تعالى العذاب على قوم يونس عليه السلام، يعني لم ينزل العذاب عليهم بل ظهر إمارات العذاب فقط لذلك لا يوجد التعارض بين الآيتين.

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي إن الإيمان لا ينفع بعد المشاهدة كما مر في قوله تعالى ولكن نفع الله تعالى لقوم يونس عليه السلام وهو كان مخصوصا مع قومه فارتفع الإشكال بين الآيتين.

الوجه الثالث: ذكر الإمام الألوسي مذهب الصوفياء أن الإيمان ينتفع به ولو عند معاينة العذاب.

إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين بأصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام ابن كثير⁵: "في تفسيره تحت آية لما آمنوا كشفنا عنهم...، واختلف المفسرون: هل كشف عنهم العذاب الأخروي مع الدنيوي؟ أو إنما كشف عنهم في الدنيا فقط؟ على قولين، أحدهما: إنما كان ذلك في الحياة

1 انظر: تفسير روح المعاني (181/6)

2 سورة غافر: 85.

3 انظر: تفسير روح المعاني: (174/6-177)

4 انظر: تفسير روح المعاني: (344/12-345)

5 سبقت ترجمته

الدنيا، كما هو مقيد في هذه الآية، والقول الثاني فيهما لقوله تعالى: "وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ"¹ فأطلق عليهم الإيمان، والإيمان منقذ من العذاب الأخروي، وهذا هو الظاهر، والله أعلم"². قال الإمام ابن الجوزي³: "فإن قيل: كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد إتيانه إليهم، ولم يكشف عن فرعون حين آمن؟"فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن ذلك كان خاصاً لهم كما ذكرنا في أول الآية. والثاني: أن فرعون باشره العذاب، وهؤلاء دنا منهم ولم يباشرهم، فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية، فأما الذي يعاين، فلا توبة له، ذكره الزجاج، والثالث: أن الله تعالى علم منهم صدق النيات، بخلاف من تقدمهم من الهالكين"⁴.

قال الإمام القرطبي⁵: "إن قوم يونس آمنوا وندموا قبل أن يروا العذاب، لأن فيه أنه أخبرهم أنه يأتيهم العذاب إلى ثلاثة أيام، ففرقوا بين كل والده هولدها، وضجوا ضجة واحدة إلى الله عز وجل، وهذا هو الصحيح في الباب، وأنه لم يكن حكم الله عز وجل فيهم كحكمه في غيرهم في قول عز وجل: "فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا"⁶ وقوله عز وجل: "وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت"⁷ الآية، وقال بعض العلماء: إنهم رأوا مخائل العذاب فتأبوا"⁸.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألويسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص ولكن ذكر الإمام القرطبي الأصول الآخر لدفع الإشكال المذكور وهو بيان تفسير القرآن بالقرآن.

1 سورة الصافات: 147، 148.

2 تفسير ابن كثير (297/4)

3 سبقت ترجمته

4 زاد المسير (352/2)

5 سبقت ترجمته

6 سورة غافر: 85.

7 سورة النساء: 18.

8 تفسير القرطبي (131/15-132)

سورة هود:

أصل المسألة: هل يتكلم أي إنسان في يوم القيامة أم لا؟

"يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ¹، هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطَلِقُونَ²، يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ³"

إن الآية الأولى تدل في يوم القيامة لا تكلم نفس ولكن بإذن الله تعالى و أيضا الآية الثانية تدل مثل الآية الأولى ذلك اليوم ليس النطق لأي نفس ولكن الآية الثالثة تدل على عكسهما، فكيف ترفع هذه المناقاة بين الآيات؟

ذكر الإمام الألوسي الأجوبة المختلفة لحل الإشكال بين الآيات كما يلي:

الأول: المراد من قوله تعالى "لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ" أي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة يعني أنهم يتكلمون ولكن كلامهم عبثا.

الثاني: المراد من قوله تعالى "إِلَّا بِإِذْنِهِ" أي إلا بإذن الله تعالى شأنه وعز سلطانه في التكلم كقوله سبحانه: "لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ⁴" وهذا في موقف من مواقف ذلك اليوم، وقوله تبارك وتعالى: "هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطَلِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَلِرُونَ⁵" في موقف آخر من مواقفه كما أن قوله تعالى: "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا⁶" في آخر منها، وروي هذا عن الحسن.

الثالث: إن الله تعالى أجاز لهم كلاما ولكن يكون الإذن على كلام الحق فقط والممنوع منه الأعذار بالباطلة ، نعم قد يؤذن فيها أيضا لإظهار بطلانها كما في قول الكفرة: "وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ⁷" ونظائره.

الرابع: وأجاب قوم من المفسرين عن ذلك بأن يوم القيامة يوم طويل ممتد فيجوز أن يمنعوا النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض آخر منه ، ويضعف هذا الجواب أن الإشارة إلى يوم القيامة بطوله فكيف يجوز أن تكون الآيات فيه مختلفة، وعلى ما ذكره يكون معنى هذا "يَوْمٌ لَا يَنْطَلِقُونَ" هذا يوم لا ينطقون في بعضه وهو خلاف الظاهر، لم

1 سورة هود: 105.

2 سورة المرسلات: 35.

3 سورة النحل: 111.

4 سورة النبأ: 38.

5 سورة المرسلات: 35، 36.

6 سورة النحل: 111.

7 سورة الأنعام: 23.

يقبل الإمام الألوسي التوجيهات المذكورة لذا قال الإمام الألوسي: الجواب السديد عندي: عن ذلك أن يقال: إنما أريد نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله إقامة حجة وخلاص لا نفي النطق مطلقا بحيث يعم ما ليس له هذه الحالة، ويستشهد على الجواب المذكور بكلام العرب وقال: يجري هذا المجرى قولهم: خرس فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم نره قال شيئا وإن كان الذي وصف بالخرس والذي نفي عنه القول قد تكلم بكلام كثير إلا أنه من حيث لم يكن فيه حجة ولم يتضمن منفعة جاز إطلاق ما حكيناه عليه¹، فاندفع التعارض بين الآيات².

النتيجة: وللجمع بين الآيات أوجه كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: إن الكلام في الحقيقة ليس ممنوعا بل كلامهم لا ينفعهم ولا ينجيهم من جواب وشفاعة.

الوجه الثاني: إن الكلام في يوم القيامة يكون بإذن الله تعالى.

الوجه الثالث: إن القيامة له مواقف، فيجوز أن النطق ممنوع في موقف و يؤذن في موقف آخر.

الوجه الرابع: إن يوم القيامة يكون يوما طويلا متدا فيجوز أن يمنعوا النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض آخر منه. إن الإمام الألوسي رجح الوجه الأول وقال: إنما أريد نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله إقامة حجة وخلاص لا نفي النطق مطلقا بحيث يعم ما ليس له هذه الحالة و رجح الرأي المذكور بقول اللغة فليراجع البحث للمزيد. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال باستخدام معرفة كلام العرب وبأصول العام والخاص وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال الإمام ابن الجوزي³: "قوله عز وجل: "هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ"، قال المفسرون: هذا في بعض مواقف القيامة، قال عكرمة: تكلّموا واختصموا، ثم ختم على أفواههم، فتكلّمت أيديهم، وأرجلهم، فحيث لا ينطقون ولا يؤذون لهم فيعتذرون، وقال ابن الأنباري: لا ينطقون بحجة تَنقُطُهُمْ"⁴.

قال الإمام الزمخشري⁵: "يوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت: ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت، ولذلك ورد الأمران في القرآن أو جعل نطقهم كلا نطق، لأنه لا ينفع ولا يسمع"¹.

1 أمالي السيد المرتضي (34/1)

2 انظر: تفسير روح المعاني (334/6-335)

3 سبقت ترجمته

4 زاد المسير (386/4)

5 سبقت ترجمته

قال الإمام أبو السعود العمادي²: "يوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبّر عن كل وقت بيوم أولا ينطقون بشيء ينفعهم"³.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول الأمكنة والأزمنة وقد أضاف الأصول الأخرى وهو اللغة والعام والخاص.

أصل المسألة: إن الله تعالى بين جميع القصص على الرسول ﷺ أم لا؟

"وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُقِيتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ⁴، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا⁵، وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِّي بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ⁶".

إن الآية الأولى تدل على أن الله تعالى أخبر كل قصص لرسوله ﷺ ولكن آية أخرى تدل على عكسها يعني ما أنبأ الله تعالى جميع القصص بل بعض قصص، فكيف الجمع بين الآيات؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ" أي إن الله تعالى بين كل نوع من أنواع القصص التي ثبتت فؤاد الرسول ﷺ يعني نقص عليك من أنباء الرسل الأشياء التي ثبتت بها فؤادك جميعاً⁷.

قال الإمام الألوسي معني "من قبل" أي من قبل هذه السورة، أو اليوم، قيل: بين الله تعالى القصص على النبي ﷺ بمكة في سورة الأنعام وغيرها، وقال بعضهم: إن الله تعالى قصص الأنبياء على النبي ﷺ بالوحي في غير القرآن ثم قصهم عليهم بعد في القرآن "وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ" أي من قبل فلا تنافي الآية ما ورد في الخبر من أن الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر، والأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وعن كعب أحم ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً لأن نفي قصهم من قبل لا يستلزم نفي قصهم مطلقاً فإن نفي الخاص لا يستلزم نفي العام⁸،

1 تفسير الكشاف (681/4)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير أبي السعود (81/9)

4 سورة هود: 120.

5 سورة النساء: 164.

6 سورة غافر: 78.

7 انظر: تفسير روح المعاني (359/6)

8 انظر: تفسير روح المعاني (495/1-496)

واستشهد الإمام الألوسي لاثبات المعنى المذكور بسنة النبوي ﷺ كما أخرج أحمد عن أبي ذر أنه سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قلت: يا رسول الله كم الرسل؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير¹.

ولا يعارض هذا قوله تعالى: "وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ²"، مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا أُورْدْنَا أَخْبَارَهُمْ وَأَثَارَهُمْ عَلَيْكَ كَنُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَهُمْ أَكْثَرُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ولا يلزم من ذلك استمرار النفي فيجوز أن يكون قد قصوا عليه عليه الصلاة والسلام جميعاً بعد ذلك ولم ينزل ذلك قرآناً، وأظهر من ذلك في الدلالة على عدم استمرار النفي قوله تعالى: "رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ³" لتبادر الذهن فيه إلى أن المراد لم نقصصهم عليك من قبل لمكان قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وبالجملة الاستدلال بالآية على أنه ﷺ لم يعلم عدة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ولا علمها بعد جهل عظيم بل خذلان جسيم نعوذ بالله تعالى من ذلك، وكان رسول الله ﷺ يعلم قصص الأنبياء كلهم التي لم يذكر في القرآن الكريم واستشهد الإمام الألوسي لاثبات موقفه برواية ابن عباس وعلي كرم الله تعالى وجهه ﷺ كما تلي: عن علي كرم الله تعالى وجهه في قوله تعالى: "وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ" قال: بعث الله تعالى عنيدا حبشيا نبيا فهو ممن لم يقصص على محمد ﷺ، وعن ابن عباس بلفظ "إن الله تعالى بعث نبيا أسود في الحبش فهو ممن لم يقصص عليه عليه الصلاة والسلام"⁴. قال الإمام الألوسي لو أن الرسول ﷺ لا يعلم القصص التي لم يذكر في القرآن الكريم فمن أين علم علي كرم الله تعالى وجهه أو ابن عباس ذلك وهل يقول باب مدينة العلم على علم لم يفرض عليك من تلك المدينة حاشاه ثم حاشاه وكذا ابن عمه العباس عبد الله⁵.

النتيجة: قال الإمام الألوسي إن الله تعالى بين كل نوع من أنواع القصص التي يثبت به فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة في سورة الأنعام وغيرها، وقال بعضهم: قصصهم سبحانه عليه عليه الصلاة والسلام بالوحي في غير القرآن ثم قصصهم عليهم بعد في القرآن "وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ" أي من قبل فلا تنافي الآية ما ورد في الخبر من أن الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر، والأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. إن الإمام الألوسي اندفع التعارض بين

1 مسند الشاميين (154/3)، رقم الحديث: 1950، حكم الحديث: قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله التبريزي هذا حديث صحيح (مشكاة المصابيح (1589/3)

2 سورة النساء: 164.

3 سورة النساء: 164.

4 تفسير الطبري (368/20)

5 انظر تفسير روح المعاني: (341/12)

الآيات والحديث وقال: لا يقال إن الله تعالى لم يبين القصص التي لم يذكر في القرآن الكريم للرسول صلى الله عليه وسلم بل بين جميع القصص لنبي ﷺ كما ثبت برواية ابن عباس وعليه رحمته. حل الإمام الألوسي هذا الإشكال ببيان الحديث واللغة.

أقوال العلماء:

قال محمد بن أبي بكر الرازي¹: "معناه وكل نباء نقص عليك من أنباء الرسل هو ما ثبت به فؤادك فما في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف فلا يقتضي اللفظ قص أنباء جميع الأنبياء فلا تناقض بين الآيتين، والثاني: إن المراد بالكل هنا البعض²، كما قوله تعالى: "ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا"³، وَأَوْثِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ"⁴ كما قال الشاعر: ألا كل شيء ما خلا الله باطل قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد"⁵.

قال الإمام ابن الجوزي⁶: "قوله تعالى: وَكُلًّا نَقُصُّ، قال الزجاج: كلا، منصوب ب نقص، المعنى: كل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك، وما منصوبة بدلاً من كل، المعنى: نقص عليك ما تثبت به فؤادك ومعنى لتثبت الفؤاد: تسكين القلب ما هنا، ليس للشك، ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر، كان القلب أثبت"⁷. قال الإمام القرطبي⁸: "قوله تعالى: وكلا نقص عليك، كلا، نصب ب نقص، معناه وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك"⁹.

1 هو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، وهو من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب، أصله من الري. زار مصر والشام، وكان في قونية سنة 666 وهو آخر العهد به وكان توفي في سنة 666هـ، انظر: طبقات المفسرين للداودي (186/2)

2 مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، ن: المكتبة العلمية، 15-شارع مدرسة البسات، لاهور، ط: ثالثة، من شهر سبتمبر 1980م (ص: 145)

3 سورة البقرة: 260.

4 سورة النمل: 23.

5 صحيح مسلم، كتاب الشعر (1768/4) رقم الحديث: 2256.

6 سبقت ترجمته

7 زاد المسير (409/2)

8 سبقت ترجمته

9 تفسير القرطبي (116/9)

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أضاف الأصول الآخر وهو بيان الحديث، وقد ذكر محمد بن أبي بكر الرازي الأصول الآخر لحل هذا الإشكال وهو العام والخاص.

أصل المسألة: إن العذاب يضاعف للكافرين أم لا؟

"أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُفْجِرِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ¹، مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَفْئَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ²"

إن الآية الأولى تدل على أن العذاب للكافرين بالمضاعفة ولكن آية أخرى تدل على عكسها كما جاء في قوله تعالى "ومن جاء بالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا"، فكيف ترفع المناقاة بين الآيتين؟

ذكر الإمام الألوسي توجيهات مختلفة لدفع توهم التعارض المذكور بين الآيتين وقال: ما لهم استوجبوا تلك المضاعفة؟ فقول: لأنهم كرهوا الحق أشد الكراهة واستقلوا سماعه أعظم الاستقلال وتعاموا عن آيات الملك المتعال، ولا يشكل على هذا قوله سبحانه: "مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ³" بناء على أن المراد بمثل السيئة ما تقتضيه من العقاب عند الله تعالى ففعل ما فعلوه من السيئات يقتضي تلك المضاعفة فتكون هي المثل كما أن مثل سيئة الكفر هو الخلود في النار. وجوز أبو البقاء أن تكون ما مصدرية ظرفية أي يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم السمع وإبصارهم، والمعنى أن العذاب وتضعيفه دائم لهم متماد⁴.

وقال بعضهم: ليس المراد بالمضاعفة المذكورة ضم قدرين متساويين من العذاب كل منهما بقدر ما تقتضيه المعصية بل المراد لازم ذلك وهو الشدة فكأنه قيل: ومن يفعل ذلك يعذب عذاباً شديداً ويكون ذلك العذاب الشديد جزء كل من تلك الأفعال ومماثلاً له، والقرينة على المجاز قوله تعالى: "وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا" ونحوه، ويراد من الخلود المكث الطويل الصادق بالخلود الأبدي وغيره⁵.

1 سورة هود: 20.

2 سورة الأنعام: 160.

3 سورة الأنعام: 160.

4 انظر: تفسير روح المعاني: (232/6-233)

5 انظر: تفسير روح المعاني (49/10)

النتيجة: قال الإمام الألوسي "المضاعفة" بمعنى الشدة ليس المراد بالمضاعفة المذكورة ضم قدرين متساويين من العذاب كل منهما بقدر ما تقتضيه المعصية و جزء كل من تلك الأفعال يكون ماثلاً له، والقرينة على المجاز قوله تعالى: "وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا" ونحوه، ويراد من الخلود المكث الطويل الصادق بالخلود الأبدي. قال الإمام الألوسي إن الآية الثانية موضحة و مفسرة ومبينة للآية الأولى. فاندفع التعارض بين الآيتين بتخصيص معاني الكلمات باللغة.

أقوال العلماء:

قال الإمام الرازي¹: "قوله تعالى: يضاعف لهم العذاب، قيل سبب تضعيف العذاب في حقهم أنهم كفروا بالله وبالبعث وبالنشور، فكفرهم بالمبدأ والمعاد صار سبباً لتضعيف العذاب، والأصوب أن يقال إنهم مع ضلالهم الشديد، سعوا في الإضلال ومنع الناس عن الدين الحق، فلهذا المعنى حصل هذا التضعيف عليهم"².

قال الإمام القرطبي³: "أورد الإمام القرطبي قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال: قول ابن عباس رضي الله عنهما، يضاعف لهم العذاب، أي على قدر كفرهم ومعاصيهم"⁴.

قال الإمام الفراء⁵: "يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ، هم رءوس الكفرة الذين يضلون. وقوله: مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ، على وجهين، فسره بعض المفسرين: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يفعلون"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة.

أصل المسألة: إن ابن نوح عليه السلام كان من أهله أم لا؟

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَخْكُمُ الْحَاكِمِينَ⁷، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ⁸

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الرازي (333/17)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير القرطبي (19/9)

5 سبقت ترجمته

6 معاني القرآن (8/2)

7 سورة هود: 45.

8 سورة هود: 46.

إن الآية الأولى تدل على أن ابن نوح كان من أهله ولكن الآية الثانية تدل بأنه ما كان من أهله كما جاء في قوله تعالى: "يا نوح إنه ليس من أهلك"، فكيف يرفع التعارض بين الآيتين؟
قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ" أي أراد ذلك بدليل تفريع قوله سبحانه: "قَالَ رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَقْلِي" عليه، وقيل إن نداء نوح عليه السلام كان على حقيقته أو يقطر منه الاستعطاف، وجميل التوسل إليه من عهده منعما مفضلا في شأنه أولا وآخرا وهو على طريقة دعاء أيوب عليه السلام: "إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الصُّرُورُ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"¹ والمقصود منه الاستفسار عن سبب عدم إنجائه مع سبق وعده تعالى بإنجاء أهله وهو منهم. قال: "يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ" أي ليس منهم أصلا لأن مدار الأهلية هو القرابة الدينية وقد انقطعت بالكفر فلا علاقة بين مسلم وكافر ولذا لم يتوارثا، وقد ذكروا أن قرابة الدين أقرب من قرابة النسب كما أشار إلى ذلك أبو فراس بقوله:

كانت مودة سلمان له نسبا ... ولم يكن بين نوح وابنه رحم²

أو لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الذين أمرتك بمحملهم في الفلك لخروجه عنهم و ليس هو من الذين وعد بإنجائهم³.

النتيجة: قال الإمام الألوسي: إن نداء نوح عليه السلام كان على حقيقته أو يقطر منه الاستعطاف ولكن أخبر الله تعالى لنوح عليه السلام "إنه ليس من أهلك" وهذا الجواب من الله تعالى مبني على قرابة الدين يعني قرابة الدين نسب أصلي بنسبة قرابة النسب ونسبة الدين مقبول عند الله تعالى فقط لذا قال الله تعالى لنوح عليه السلام "إنه ليس من أهلك"، فدفع الإشكال بأصول العام والخاص وبمعرفة أصول اللغة.

أقوال العلماء:

قال الإمام ابن الجوزي⁴: "قوله تعالى: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ قولان: أحدهما: ليس من أهل دينك، والثاني: ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم"⁵.

قال الإمام ابن كثير¹: "قوله تعالى: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، أي: الذين وعدتك نجاتهم"².

1 سورة الأنبياء: 83.

2 المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ويليهِ كتاب الفلك الدائر على المثل السائر، لضياء الدين ابن الأثير، المؤلف للفلك : ابن أبي الحديد، شهرته : ابن الأثير، ت: أحمد الحوفي + بدوي طبانة، ن : دار نهضة مصر للطبع والنشر، البلد : القاهرة .
القاهرة، الطبعة : الثانية، عدد الأجزاء : 4 (126/1)

3 انظر: تفسير روح المعاني (266/6)

4 سبقت ترجمته

5 زاد المسير (377/2)

قال الإمام البيضاوي³: "قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار إليه بقوله: إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، فإنه تعليل لنفي كونه من أهله"⁴.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة.

أصل المسألة: إن هذه الأمة، الأمة الواحدة أو المختلفة؟

"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ⁵، وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"⁶.

إن الآية الأولى تدل على اختلاف الأمة ولكن الآية الثانية تدل على وحدة الأمة، فكيف يرفع الإشكال بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً" أي مجتمعين على الدين الحق بحيث لا يقع من أحد منهم كفر لكنه لم يشأ سبحانه ذلك فلم يكونوا مجتمعين على الدين الحق، ونظير ذلك قوله سبحانه: "وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا"⁷ أي لو شاء لجمعهم على هدى أو ضلالة "وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل ويشهد على هذا التفسير برواية ابن عباس والسدي والضحاك ومجاهد ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه "وما كان الناس إلا أمة واحدة على هدى" وذلك من عهد آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن قتل قابيل هابيل، وقيل: إلى زمن إدريس عليه الصلاة والسلام، وقيل: إلى زمن نوح عليه الصلاة والسلام، وكانوا عشرة قرون، وقيل: كانوا كذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام بعد أن لم يبق على الأرض من الكافرين ديار إلى أن ظهر بينهم الكفر، وقيل: من لدن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى أن ظهر عمرو بن لحي عبادة الأصنام وهو المروي عن عطاء.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير ابن كثير (326/4)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير البيضاوي (136/3)

5 سورة هود: 118.

6 سورة يونس: 19.

7 سورة السجدة: 13.

كانه قيل: وللاختلاف خلق الناس على معنى لثمرة الاختلاف، من كون "فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ"¹ خلقهم، واللام لام العاقبة والضرورة لأن حكمة خلقهم ليس هذا لقوله سبحانه: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"² في "الجن والإنس" اللام العهد.

وأجاب عن ذلك القاضي بما حاصله أن المراد - بالجنة والناس - إما عصاتهما على أن التعريف للعهد، وفي معنى ذلك ما قيل: المراد - بالجنة والناس - أتباع إبليس لقوله سبحانه في (الأعراف: 18) و "لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبْلُغُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ"³ فاللازم دخول جميع تابعيه في جهنم ولا محذور فيه، والقرآن يفسر بعضه بعضا.

ومن الغريب ما روي عن الحسن أن المراد من الاختلاف الاختلاف في الأرزاق والأحوال وتسخير بعضهم بعضا. وذكر بعض العارفين أن منشأ تشييب سورة هود له الله صلى تعالى عليه وسلم اشتغالها على أمره عليه الصلاة والسلام بالاستقامة على الدعوة مع إخباره أنه سبحانه إنما خلق الناس للاختلاف وأنه لا يشاء اجتماعهم على الدين الحق⁴.

"وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً" على الفطرة التي فطر الله الناس عليها متوجهين إلى التوحيد متنورين بنور الهداية الأصلية "فَاخْتَلَفُوا" بمقتضيات النشأة واختلاف الأمزجة والأهوية والعادات والمخالطات⁵.

النتيجة: إن التوجيهات المختلفة لدفع الإشكال بين الآيتين كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "ولو شاء ربك لجعل الناس..." أي الاختلاف في الأرزاق والأحوال وتسخير بعضه بعضا فإذا لا تعارض بين الآيتين.

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "ولو شاء ربك لجعل الناس..." أي فريق في الجنة وفريق في السعير فدفع التعارض بين الآيتين.

الوجه الثالث: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً" أي وما كان الناس كافة من أول الأمر إلا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف.

1 سورة الشورى: 7.

2 سورة الذاريات: 56.

3 سورة ص: 85.

4 انظر: تفسير روح المعاني (355/6-358)، تفسير روح المعاني (84/6)

5 انظر: تفسير روح المعاني (86/6)

الوجه الرابع: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً" أي إن الناس يخلق أولاً علي الفطرة هو فطرة الله على الفطرة التي فطر الله الناس عليها ثم بعده مختلف باختلاف الدين، فاندفع التعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بأصول العام والخاص وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال الإمام القرطبي¹: "قوله تعالى: ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، قال سعيد بن جبير: على ملة الإسلام وحدها، وقال الضحاك: أهل دين واحد، أهل ضلالة أو أهل هدى، ولا يزالون مختلفين، أي على أديان شتى، قاله مجاهد وقتادة، وقيل: مختلفين في الرزق، فهذا غني وهذا فقير"².

قال الإمام ابن كثير³: "قوله: وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَجَعَ إِلَيْكَ، أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم، قال عكرمة: مُخْتَلِفِينَ، في الهدى وقال الحسن البصري: مُخْتَلِفِينَ، في الرزق، يُسَخَّر بعضهم بعضاً، والمشهور الصحيح الأول"⁴.

قال الإمام الطبري⁵: "وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ"، قال أهل الباطل، معنى ذلك: وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ في الرزق، فهذا فقير وهذا غني ذكر من قال ذلك، مُخْتَلِفِينَ في الرزق، سَخَّرَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ وقال بعضهم: مُخْتَلِفِينَ في المغفرة والرحمة، أو كما قال وأولي الأقوال في تأويل ذلك، بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم علي أديان وملل وأهواء شتى"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص وقد أضاف الأصول الآخر وهو بيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير القرطبي (11/9)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير ابن كثير (361/4)

5 سورة هود: 118.

6 تفسير الطبري (636/12)

أصل المسألة: هل فراغ في الجهنم أم لا؟

"إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"¹، يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ"²

واستشكل دعوى أن فيها فراغا بأنه مناف لصريح قوله تعالى: لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ الآية، فكيف ارتفعت المناقاة بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي المراد- بالجنة والناس- أتباع إبليس لقوله سبحانه في (الأعراف: 18) و"لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ"³ فاللازم دخول جميع تابعيه في جهنم ولا محذور فيه، والقرآن يفسر بعضه بعضا، ولا حاجة الى تقدير عصاة مضافا الى الفريقين. المراد من العصاة الذين قدر الله تعالى أن يدخلوها، وأجاب بعضهم بأن ذلك لا يقتضي دخول الكل بل قدر ما يملأ جهنم. المراد بلفظ "أَجْمَعِينَ" تعميم الأصناف، وذلك لا يقتضي دخول جميع الأفراد كما إذا قلت: ملأت الجراب من جميع أصناف الطعام لا يقتضي ذلك إلا أن يكون فيه شيء من كل صنف من الأصناف لا أن يكون فيه جميع أفراد الطعام، وعلى هذا يظهر فائدة لفظ "أَجْمَعِينَ"⁴.

وأجيب بأنه لا منافاة لأن الامتلاء قد يراد به أنه لا يخلو طبقة منها عمن يسكنها وإن كان فيها فراغ كثير كما يقال: إن البلدة ممتلئة بأهلها ليس فيها دار خالية مع ما بينها من الأبنية والأفضية هذا ويدل غير ما حديث أنها تطلب الزيادة حقيقة إلا أنه لا يدري حقيقة ما يوضع فيها حتى تمتلئ إذ الأحاديث في ذلك من المتشابهات التي لا يراد بها ظواهرها عند الأكثرين ويشهد على هذا التفسير بالحديث كما أخرج مسلم⁵ عن أنس قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر فيسكنهم في فضول الجنة"⁶.

1 سورة هود: 119.

2 سورة ق: 30.

3 سورة ص: 85.

4 انظر: تفسير روح المعاني: (357/6، 359، 358)

5 صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الثائر يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (4/2188)، رقم الحديث: 2848.

6 انظر: تفسير روح المعاني (338/13)

النتيجة: قال الإمام الألوسي: إن المراد بالجنة والناس - أتباع إبليس كما مر قبل النتيجة والقرآن يفسر بعضه بعضا والمراد من الامتلاء: قد يراد به أنه لا يخلو طبقة منها عمن يسكنها وإن كان فيها فراغ كثير. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيتين بتفسير القرآن بالقرآن وبيان الحديث و أيضا استشهد لحل الإشكال المذكور من كلام العرب.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري¹: "فيه معنيان، أحدهما: أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزداد على امتلائها، لقوله تعالى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ والثاني: أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد، ويجوز أن يكون هل من مزيد استكنار للداخلين فيها واستبداء، استبعادا، للزيادة عليهم لفرط كثرتهم أو طلبا للزيادة غيظا على العصاة"².

قال الإمام أبو السعود العمادي³: "سؤال وجواب جيء بها على منهاج التمثيل والتخييل لتحويل أمرها ولمعنى أنها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ أو أنها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم"⁴.

قال الإمام البيضاوي⁵: "يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، سؤال وجواب جيء بها للتخييل والتصوير، والمعنى أنها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجاً فوجاً حتى تمتلئ لقوله تعالى: "لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ" أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ، أو أنها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكنة لهم والطالبة لزيادتهم"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة، وقد أضاف الأصول الأخرى وهو تفسير القرآن بالقرآن وبيان الحديث.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الكشاف (389/4)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير أبي السعود (132/8)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير البيضاوي (143/5)

سورة يوسف

أصل المسألة: بيان تركية النفس جائز أمام الناس بالنفس جائز أم لا؟

"قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا"¹، الَّذِينَ يَخْتَصِمُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّعَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى"²

قال يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الأرض، عرف نفسه بالفاظ "حفيظ عليم" ولكن الآية الثانية تدل على أن الله تعالى منع من العمل المذكور كما جاء في قوله تعالى "فلا تزكوا أنفسكم" فكيف تكون الموافقة بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي: المعنى ولني على أمرها من الإيراد والصرف إِنِّي حَفِيظٌ لَهَا مِنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ التَّصَرُّفِ فِيهَا، وَقِيلَ: بِوَقْتِ الْجُوعِ، وَقِيلَ: حَفِيظٌ لِلْحِسَابِ عَلَيْهِمُ بِاللِّسَنِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ مَدْحِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِالْحَقِّ إِذَا جَهِلَ أَمْرُهُ، وَيَجُوزُ طَلَبُ الْوَلَايَةِ حِينَمَا كَانَ الطَّالِبُ مِمَّنْ يَسْتَطِيعُ بَقِيَامَ الْعَدْلِ وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ يَدِ الْجَائِرِ أَوْ الْكَافِرِ، وَرَبَّمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الطَّلَبُ إِذَا تَوَقَّفَ عَلَى وَلايَتِهِ إِقَامَةً وَاجِبًا مِثْلًا وَكَانَ مَتَعِينًا لِلذَّكَاءِ، وَيَشْهَدُ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَا تَسْأَلِ الْأَمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلْتَ إِلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أَعْنَتْ عَلَيْهَا"³.

وجاء في رواية أن الملك لما كلمه عليه السلام وقص رؤياه وعبرها له قال: ما ترى أيها الصديق؟ قال: تزرع في سني الخصب زرعاً كثيراً فإنك لو زرعت فيها على حجر نبت وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام بقصبه وسنبله فإنه أبقي له ويكون القصب علماً للدواب فإذا جاءت السنون بعث ذلك فيحصل لك مال عظيم، فقال الملك: ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفيني العمل فيه؟ فقال: "اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ" إلخ، والظاهر أنه أجابه لذلك

1 سورة يوسف: 55.

2 سورة النجم: 32.

3 صحيح البخاري، كتاب الأيمان والذور، باب قول الله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ، فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ، وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 89] (127/8)، رقم الحديث: 6622.

حين سأل، وإنما لم يذكر إجابته له عليه السلام إيدانا بأن ذلك أمر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما تندرج تحته أحكام السلطنة جميعها¹.

قال الإمام الألوسي: "فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ" لترتيب النهي عن تزكية النفس، فلا تشنوا على أنفسكم بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو بركاء العمل وزيادة الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته جل شأنه "هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى" المعاصي جميعا. والآية نزلت على ما قيل: في قوم من المؤمنين كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وطعامنا وحجتنا وهذا مذموم منهى عنه إذا كان بطريق الإعجاب، أو الرياء أما إذا لم يكن كذلك فلا بأس به ولا يعد فاعله من المتركين أنفسهم².

النتيجة: إن التوجيهات المختلفة لدفع التعارض بين الآيتين كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي إن يوسف عليه السلام ما طلب درجة الولاية والحفاظة بل أجاب بالألفاظ التالية "اجعلني على خزائن..." حين سأل الملك.

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي: يجوز طلب الولاية حينما كان الطالب ممن يستطيع بقيام العدل و أحكام الشريعة وإن كان من يد الجائر أو الكافر، وربما يجب عليه الطلب إذا توقف على ولايته إقامة واجب لذا قال يوسف "اجعلني على خزائن الأرض..." حين سأل الملك و أيضا ما قاله عليه السلام بطريق الإعجاب والرياء فلا بأس به.

الوجه الثالث: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ" أي تزكية النفس عن المعاصي بالكلية أو بركاء العمل و زيادة الخير لا يجوز لأي نفس هو يثني نفسه إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء أما إذا لم يكن كذلك فلا بأس به فإذا لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين ببيان الحديث واللغة والرواية الإسرائيلية وسبب النزول وأيضا بأصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري³: "في تحت قوله تعالى: فلا تزكوا أنفسكم، وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء: فأما من اعتقد أن ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوقيفه وتأنيده ولم يقصد به التمدح: لم يكن من المتركين أنفسهم، لأن المسرة بالطاعة طاعة، وذكرها شكر"¹.

1 تفسير روح المعاني (7/7)

2 انظر: تفسير روح المعاني (63/14)

3 سبقت ترجمته

قال الإمام جلال الدين المهلي²: "في بطون أمهاتكم فلا تركوا أنفسكم، لا تمدحوها على سبيل الإعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن"³.

قال الإمام الرازي⁴: "فلا تركوا أنفسكم، رياء وخيلاء، ولا تقولوا لآخر أنا خير منك وأنا أركى منك وأتقى، فإن الأمر عند الله"⁵.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أطاف الأصول الأخرى وهو بيان الحديث وسبب النزول والعام والخاص.

أصل المسألة: إن النبي جاء من أهل القرى أو من البدو؟

"وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ"⁶، وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ"⁷

إن الآية الأولى تدل على أن النبي جاء من البدو ولكن الآية الثانية تدل على أن الأنبياء جاءوا من أهل القرى فكيف للموافقة بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي: المراد من قوله تعالى "من البدو" أي البادية، وأصله البسيط من الأرض وإنما سمي بذلك لأن ما فيه يبدو للنظر لعدم ما يواريه ثم أطلق على البرية مطلقاً، وكان منزلهم على ما قيل: بأطراف الشام ببادية فلسطين وكانوا أصحاب إبل وغنم.

وزعم بعضهم أن يعقوب عليه السلام إنما تحول إلى البادية بعد النبوة لأن الله تعالى لم يعث نبيا من البادية. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: كان يعقوب عليه السلام قد تحول إلى بدا وسكنها ومنها قدم على

1 تفسير الكشاف (426/4)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المهلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ن: دار الحديث - القاهرة (ص: 702)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير الرازي (272/29)

6 سورة يوسف: 100.

7 سورة يوسف: 109.

يوسف وله بها مسجد تحت جبلها: قال ابن الأثير: إن بدا اسم موضع معروف يقال: هو بين شعب وبدا وهما موضعان¹.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "من أهل القرى" أي ما نعلم أن الله تعالى أرسل رسولا قط إلا من أهل القرى، ويشهد على هذا التفسير بقول قتادة، لم يبعث رسول من أهل البادية ولا من النساء ولا من الجن، وقوله تعالى: "وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ"² ويشهد على هذا التفسير بقول الحسن³.

النتيجة: إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيتين بصورتين:

الصورة الأولى: قال الإمام الألوسي إن يعقوب عليه السلام كان يسكن في القرى ولكن تحول إلى البادية بعد النبوة ؛ لأنهم كانوا أصحاب إبل وغنم، وأيضاً إن الله تعالى لم يبعث نبيا من البادية.

الصورة الثانية: قال الإمام الألوسي إن بدا اسم موضع معروف يقال: هو بين شعب وبدا وهما موضعان.

إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين ببيان اختلاف الأمكنة والأزمنة وبأصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام القرطبي⁴: "وجاء بكم من البدو، يروى أن مسكن يعقوب كان بأرض كنعان وكانوا أهل مواش وبرية وقيل: كان يعقوب تحول إلى بادية وسكنها وأن الله لم يبعث نبيا من أهل البادية"⁵.

قال الإمام الرغشري⁶: "مِنَ الْبَدْوِ أي من البادية، لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع"⁷.

قال الإمام الرازي⁸: "وجاء بكم من البدو: في الآية قولان: القول الأول: جاء بكم من البدو أي من البادية، وقال الواحدي: البدو بسيط من الأرض يظهر فيه الشخص من بعيد وأصله من بدا يبدو بدوا، ثم سمي المكان باسم المصدر فيقال: بدو وحضر وكان يعقوب وولده بأرض كنعان أهل مواش وبرية، والقول الثاني: قال ابن

1 انظر: تفسير روح المعاني (57/7)

2 سورة يوسف: 100.

3 انظر: تفسير روح المعاني (65/7)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير القرطبي (267/9)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير الكشاف (506/2)

8 سبقت ترجمته

عباس رضي الله عنهما كان يعقوب قد تحول إلى بدا وسكنها، ومنها قدم على يوسف وله بها مسجد تحت جبلها قال ابن الأنباري: بدا اسم موضع معروف يقال هو بين شعب وبدا وهما موضعان ذكرهما جميعا كثير¹. خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول الأمكنة والأزمنة وقد أضاف الأصول الآخر وهو العام والخاص.

سورة الرعد

لم أجد أي تعارض في سورة الرعد بضوء تفسير روح المعاني.

سورة ابراهيم

أصل المسألة: هل يثبت الحلال في يوم القيامة أم لا؟

"قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بِنِعْمَةٍ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ²، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بِنِعْمَةٍ فِيهِ وَلَا خِلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ³، الْأَخِلَاءُ يُؤْمِنُ بِغَضَبِهِمْ لِيُغْضِبَ عَذُوًّا إِلَّا الْمُتَّقِينَ⁴"

فإن قيل: في يوم القيامة "لا خلال" كما جاء في الآيتين الأوليين ولكن الآية الثالثة تدل على أن يكون الأخلاء في يوم القيامة فكيف الجمع بين الآيات المذكورة؟

قال الإمام الألوسي: أن يكون المعنى من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه لما لهجوا بتعاطيه من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وإنما الانتفاع والارتفاق فيه بالإتفاق لوجه الله تعالى، فعل الأول المنفي البيع والخلال في الآخرة، ولا يشكل ما هنا مع قوله تعالى: "الْأَخِلَاءُ يُؤْمِنُ بِغَضَبِهِمْ لِيُغْضِبَ عَذُوًّا إِلَّا الْمُتَّقِينَ⁵" حيث أثبت فيه المخالة وعدم العداوة بين المتقين لأن المراد هنا على ما قيل نفى للمخالة النافعة بذاتها في تدارك ما فات ولم يذكر في تلك الآية أن المتقين يتدارك بعضهم لبعض ما فات.

وقيل في التوفيق بين الآيتين: إن المراد لا مخالة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس وتلك المخالة الواقعة بين المتقين في الله تعالى. وفيه تقرير الحاصل أن قوله تعالى: "لَا خِلَالٌ" أي لا انتفاع بمساكنية عن الانتفاع بما

1 تفسير القرطبي (513/18)

2 سورة ابراهيم: 31.

3 سورة البقرة: 254.

4 سورة الزخرف: 67.

5 سورة الزخرف: 67.

يقابلهما وهو ما أنفق لوجه الله تعالى فهو حث على الإنفاق لوجهه سبحانه كأنه قيل: لينفقوا له من قبل أن يأتي يوم ينتفع بانفاقهم المنفقون له ولا ينفع الندم لمن أمسك¹.

وذكر في آية البقرة "مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ"² أن المعنى من قبل أن يأتي يوم لا تقدرين فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم أخلاقكم به³. "الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" الظرف متعلق بعدو والفصل لا يضره، والمراد أن المحبات تنقطع يوم إذ تأليهم الساعة ولا يبقى إلا محبة المتقين وهم المتصادقون في الله عن وجل لما أنهم يرون ثواب التحاب في الله عن وجل لما أنهم يرون ثواب التحاب في الله تعالى، واعتبار الانقطاع لأن الخل حال كونه خلًا محال أن يصير عدوًا⁴. النتيجة: قال الإمام الألوسي: إن الآية "لاخلال" مخصوصة مع الذين لا ينفقون أموالهم لوجه الله تعالى، والآية الثانية "لا خلة و لا شفاعة" مخصوصة بالكفار. والآية الثالثة "الأخلاء يومئذ..." مخصوصة بالمتقين. إن الإمام الألوسي هذا الإشكال بأصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام الرازي⁵: "مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ"⁶، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة البقرة: لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة⁷، فإن قيل: كيف نفى المخالة في هاتين الآيتين، مع أنه تعالى أثبتها في قوله: الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين⁸، قلنا: الآية الدالة على نفى المخالة محمولة على نفى المخالة بسبب ميل الطبيعة ورغبة النفس، والآية الدالة على ثبوت المخالة محمولة على حصول المخالة الحاصلة بسبب عبودية الله تعالى ومحبة الله تعالى والله أعلم⁹.

1 انظر: تفسير روح المعاني (209/7-210)

2 سورة البقرة: 254.

3 انظر: تفسير روح المعاني (6/6-13)

4 انظر تفسير روح المعاني (97/13)

5 سبقت ترجمته

6 سورة إبراهيم: 31.

7 سورة البقرة: 254.

8 سورة الزخرف: 67.

9 تفسير الرازي (96/19)

قال الإمام ابن الجوزي¹: "قيل إنما نفى هذه الأشياء لأنه عني عن الكافرين وهذه الأشياء لا تنفعهم"².
قال الصاوي المالكي³: "قوله بغير إذنه اشارة بذلك إلى أن الآية مطلقة فتحمل على المقيد وهي قوله تعالى، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، البقرة: 255، ولذا قال: والكافرون هم الظالمون"⁴.
خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص وقد أضاف الإمام الصاوي المالكي الأصول الآخر وهو التقييد.
سورة الحجر

أصل المسألة: إن استراق السمع للشياطين ممكن أم لا؟
"إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَيْهَاتٌ مُبِينٌ"⁵، إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ"⁶
فإن قيل إن الشياطين يسترق السمع ولكن آية أخرى تدل على عكسها كما جاء في قوله تعالى " إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ" فكيف الجمع بين الآيتين؟

ذكر الإمام الألوسي أوجه مختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيتين كما يلي:
الوجه الأول: قال الإمام الألوسي: اعلم أنه يجوز أن يكون استراق السمع من الملائكة الذين عند السماء لا من الملائكة الذين بين كل سماء وسماء ليجيء حديث الثخن واستبعاد السماع معه، ويشهد لهذا ما رواه البخاري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله تعالى عنهم قالت: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون مع الكلمة مائة كذبة من عند أنفسهم"⁷.

إن الملائكة منعوا إلى موضع الملائكة ومواضعها مختلفة، فرما ذهبوا إلى موضع الملائكة فتصيبهم الشهب وربما ذهبوا إلى غيره ولا يلقون الملائكة فلا يصيبهم شيء أحيانا أنهم هلكوا و أحيانا سلموا في بعضها جاز أن يذهبوا

1 سقت ترجمته

2 زاد المسير (302/1)

3 هو أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي: فقيه مالكي، نسبته إلى (صاء الحجر) في إقليم الغربية، بمصر. توفي بالمدينة المنورة. ولادته و وفاته (1175-1241هـ). أنظر: الأعلام للزركلي (246/1)

4 حاشية الصاوي علي الجلالين (119/1)

5 سورة الحجر: 18.

6 سورة الشعراء: 212.

7 صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (261/8)، رقم الحديث: 3210.

إلى موضع يغلب على ظنهم أنها لا تصيبهم فيه كما يجوز فيمن يسلك البحر أن يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة فيه. ويشهد على هذا التفسير بقول الجبائي.

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "إِنَّهُمْ لَمَعَزُولُونَ" إن الشياطين كانوا لا يحبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها ويشهد على هذا التفسير برواية ابن عباس رضي الله عنهما ويشهد على هذا قول عبد الوهاب الشعرائي هو قال الصحيح عندي: أن الشياطين ممنوعون من السمع منذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة وبتقدير استراقهم فلا يتوصلون إلى الإنس ليخبروهم بما استرقوه بل تحرقهم الشهب وتغنيهم انتهى¹.

الوجه الثالث: قال الإمام الألوسي "إِنَّهُمْ" أي الشياطين عَنِ السَّمْعِ لما يتكلم به الملائكة عليهم السلام في السماء "لَمَعَزُولُونَ" أي ممنوعون بالشهب بعد أن كانوا ممكنين كما يدل عليه قوله تعالى: "وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا"² إنهم كانوا ممنوعين من أخذ القرآن المجيد من اللوح المحفوظ أو من بيت العزة أو من سماعه إذ يظهره الله عز وجل لمن شاء في سمائه من باب أولى. وقد ثبت أن جبريل عليه السلام حين ينزل بالقرآن ينزل معه رصد حفظا للوحي من الشيطان وقد قال عز وجل: "فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَبْلُغَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتٍ رَحِمَ"³ ويشهد على هذا التفسير قول عبد الرحمن ابن خلدون وقال: إن الآيات إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك، بل ربما يقال: إن في كلامه بعد إشعارا ما بأن المنع إنما كان بين يدي النبوة فقط. لا قبل ذلك ولا بعده⁴.

النتيجة: إن الوجوه لدفع الإشكال بين الآيتين مختلفة كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي يجوز إن استراق الشياطين من الملائكة الذين عند السماء وهو في السحاب لا من الملائكة الذين بين كل سماء و سماء.

1 البواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، للإمام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعرائي، ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد علي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. عدد الأجزاء: 2، (186/1)

2 سورة الجن: 8-9.

3 سورة الجن: 26-28.

4 انظر: تفسير روح المعاني (130-138)، (273/7)

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي إن الشياطين كانوا يسترقون قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يمنعوا شديدا ولكن منع بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ورجح الإمام الألوسي هذا التوجيه.

الوجه الثالث: ذكر الإمام الألوسي قول ابن خلدون وقال: إن الآيات إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك. إن الإمام الألوسي دفع هذا الإشكال مع تفسير القرآن بالقرآن وبيان الحديث وبأصول العام والخاص.

أقول العلماء:

قال الإمام الزمخشري¹: "معزولون عن استماع كلام أهل السماء"².

قال الإمام الرازي³: "فكان الكفار يقولون لم لا يجوز أن يكون هذا من إلقاء الجن والشياطين كسائر ما ينزل على الكهنة؟، فأجاب الله تعالى عنه بأن ذلك لا يتسهل للشياطين لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء، ونعلم بالضرورة أن محمدًا ﷺ كان يلعن الشياطين ويأمر الناس بلعنهم، فلو كان هذا الغيب إنما حصل من إلقاء الشياطين، لكان الكفار أولى بأن يحصل لهم مثل هذا العلم، فكان يجب أن يكون اقتدار الكفار على مثله أولى، فلما لم يكن كذلك علمنا أن الشياطين ممنوعون عن ذلك، وأنهم معزولون عن تعرف الغيوب"⁴.

قال الإمام ابن الجوزي⁵: "إنهم عن السمع أي عن الاستماع للوحي من السماء لمعزولون فكيف ينزلون به وقال عطاء عن سماع القرآن لمحجوبون لأنهم يرجمون بالنجوم"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول الخاص والعام وقد أضاف الأصول الأخرى وهو بيان الحديث وتفسير القرآن بالقرآن.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الكشاف (339/3)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير الرازي (535/24)

5 سبقت ترجمته

6 زاد المسير (147/6)

سورة النحل:

أصل المسألة: إن المضل يوزر أعمال المضال أم لا؟

"لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ¹، وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ²، قُلْ أَعْتَذِرُ إِلَهُ أَنْبِي رَّبِّ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ³، (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ⁴."

فإن قيل إن الآيتين الأوليين تدلان على أن المضل يحمل أوزار المضال ولكن الآيتين الأخيرتين "ولا تزر وازرة وزري اخري"، "وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء" تدلان على عكسهما، فكيف الجمع بين الآيات؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "أوزارهم" أي بعض أوزار من ضل بإضلالهم و"من" تبعيضية. وقال الأخفش: إن "من" زائدة أي وأوزار الذين يضلونهم على معنى أنهم يعذبون عذابا يكون مساويا لعذاب كل من اقتدى بهم، ويشهد على هذا التفسير بالحديث النبوي ﷺ: "من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيء⁵". وفيه أن المأثور يدل على التبعيض لا أن بينهما مخالفة كما لا يخفى، ولتوهم هذه المخالفة قال الواحدي: إن من للجنس أي ليحملوا من جنس أوزار الاتباع⁶.

فكان أصل الكلام اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم بحزم نحمل على أنه جواب الأمر، فيكون المعنى إن تتبعوا نحمل والحمل هنا مجاز. والآية على ما أخرج جماعة عن مجاهد نزلت في كفار قريش قالوا لمن آمن منهم: لا نبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا فإن كان عليكم شيء فنحن نحمل أوزاركم فنزلت هذه الآية⁷.

1 سورة النحل: 25.

2 سورة العنكبوت: 13.

3 سورة الأنعام: 164.

4 سورة العنكبوت: 12.

5 صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (704/2)، رقم الحديث: 1017.

6 انظر: تفسير روح المعاني (365/7).

7 مصنف ابن شيبة، كتاب المغازي، في أذى قريش للبي ﷺ وما لقي منهم، لأبي بكر بن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، ن: مكتبة الرشد - الرياض، ط: أولى، 1409، عدد الأجزاء: 7 (332/7)، رقم الحديث: 36567.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ" نفي مؤكد عن سبيل الاستمرار لكونهم حاملين شيئا ما من خطاياهم التي التزموا حملها¹.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ" أي ليحملن أثقال أنفسهن كاملة "وَأَثْقَالًا" آخر "مَعَ أَثْقَالِهِنَّ" وهي أثقال ما تسببوا بالإضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير أن ينقص من أثقال من أضلوه شيء ما ويشهد على هذا التفسير² بقول النبي ﷺ: "أَيُّ دَاعٍ دَعَا إِلَى هَدْيٍ فَاتَّبِعْ عَلَيْهِ وَعَمَلْ بِهِ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَلَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئًا وَأَيُّ دَاعٍ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَاتَّبِعْ عَلَيْهَا وَعَمَلْ بِهَا فَعَلَيْهِ مِثْلُ أُوزَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَلَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْئًا"³.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ أَوْ تَزِرُ أُخْرَى" أي لا تحمل نفس أثمة "وَزَرَ أُخْرَى" أي إثم نفس أخرى بل تحمل كل نفس وزرها. ولا منافاة بين هذا وقوله تعالى في سورة العنكبوت "وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ"⁴ فإنه في الضالين المضلين وهم يحملون إثم إضلالهم مع إثم ضلالهم وكل ذلك آثامهم ليس فيها شيء من آثام غيرهم، ولا ينافيه قوله سبحانه: مَعَ أَثْقَالِهِمْ لأن المراد بأثقالهم ما كان بمباشرتهم وبما معها ما كان بسوقهم وتسببهم فهو للمضلين من وجه وللآخرين من آخر "وَأَنْ تَذُعُ مُثْقَلَةً" أي نفس أثقلتها الأوزار إلى حملها الذي أثقلها ووزرها الذي بمظهرها ليحمل شيء منه ويخفف عنها، والظاهر أن "وَلَا تَزِرُ إِنْ" نفي للحمل الاختياري تكريما من نفس الحامل ردا لقول المضلين "وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ" ويؤيده سبب النزول فقد روي أن الوليد بن المغيرة قال لقوم من المؤمنين اكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلي وزركم فنزلت⁵.

1 انظر: تفسير روح المعاني (346/10)

2 انظر: تفسير روح المعاني (346/10-347)

3 سنن ابن ماجه، لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، باب من من سنة حسنة أو سيئة، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: 2 (238/1)، رقم الحديث: 205، حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث صحيح (صحيح الجامع الصغير وزيادته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، ن: المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: 2 (527/1)

4 سورة العنكبوت: 13.

5 انظر: تفسير روح المعاني (356/11)

النتيجة: إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيات بصورتين:

الصورة الأولى: قال الإمام الألوسي: المراد من قوله تعالى: "ليحملوا أوزارهم..." و "ليحملن أثقالهم..." أي إن المضلين يحملون أوزار الضال بسبب إضلالهم يعني بدون سبب إضلال لا يحملون أوزار الناس كما قال أهل قریش لو اتبعوا سبيلنا فنحمل خطاياكم فإذا لا تعارض بين الآيات.

الصورة الثانية: "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ" و "وما هم بماملين من خطاياهم من شيء" أي لا تحمل نفس أثمة على آخر بدون سبب إضلال. يعني إن الآيتين المذكورتين تدل على نفي الاختيار فإذا لا منافاة بين الآيات. إن الإمام الألوسي اندفع الإشكال ببيان الحديث و العام والخاص واللغة وأسباب النزول.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري¹: "لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ، أى قالوا ذلك إضلالاً للناس وصداً عن رسول الله ﷺ، فحملوا أوزار ضلالهم كاملاً وبعض أوزار من ضلّ بضلالهم، وهو وزر الإضلال، لأن المضلّ والضال شريكان: هذا يضلّه، وهذا يطاوعه على إضلاله، فيتحاملان الوزر"².

"فإن قلت: كيف توفق بين هذا وبين قوله: وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ؟، قلت: تلك الآية في الضالين المضلين، وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم، وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم"³.

قال الإمام القرطبي⁴: "وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وقال قتادة: من دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء ونظيره قوله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم"⁵.

قال أبو السعود العمادي⁶: "ومن ضل، عن الطريقة التي يهديه إليها، فإنما يضل عليها، أي فإنما وبال ضلاله عليها لا على من عدها ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه، ولا تزر وازرة وزر أخرى، تأكيد للجمله

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الكشاف (601/2)

3 تفسير الكشاف (606/3)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير القرطبي (331/13)

6 سبقت ترجمته

الثانية أي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعلمه من التلازم بل إنما تحمل كل منها وزرها"¹.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع الإمام الزمخشري وأبي السعود العمادي لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أضاف الإمام القرطبي الأصول الآخر لحل الإشكال المذكور وهو تفسير القرآن بالقرآن.

أصل المسألة: إن المشركين ينكرون شركائهم في يوم القيامة أم لا؟

"وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبُّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ²، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ³"

فإن قيل في الآية الأولى قالوا المشركين "هؤلاء شركاءنا" ولكن في الآية الأخرى أنكروا الشرك وقالوا "والله ربنا ما كنا مشركين" فكيف التوافق بين الآيتين؟

ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لدفع التعارض بين الآيتين كمايلي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي إنهم يومئذ لا يكتُمون من الله تعالى حديثا ويشهد على هذا التفسير بقوله تعالى: "وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا"⁴ لعدم قدرتهم على الكتمان حيث إن جوارحهم تشهد عليهم بما صنعوا، أو أنهم لا يكتُمون شيئا من أعمالهم بل يعترفون بها فيدخلون النار باعترافهم، وإنما لا يكتُمون لعلمهم بأنهم لا ينفعهم الكتمان، وإنما يقولون: "والله ربنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ" كناية عن التبري عن الشرك وانتفاء التدين به ويشهد على هذا التفسير بقول الزجاج وقال: إن مثل ما في الآية أن ترى إنسانا يحب غاويا فإذا وقع في مهلكة تبرأ منه فيقال له: ما كان محبتك لفلان إلا أن تبرأت منه⁵. و إن الكفار قالوا "رَبُّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ" أي نعبدهم ونطيعهم ولعلمهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم أن ذلك ينجيهم من عذاب الله تعالى أو ينقص من عذابهم شيئا ويشهد على هذا التفسير بقول أبي مسلم⁶.

1 تفسير أبي السعود (162/5)

2 سورة النحل: 86.

3 سورة الأنعام: 23.

4 سورة النساء: 42.

5 تفسير روح المعاني (116/4)

6 انظر: تفسير روح المعاني (444/7)

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي إن الكفار قالوا في يوم القيامة "ما كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ"¹ بأن المراد ما كنا عاملين السوء في اعتقادنا أي كان اعتقادنا أن عملنا غير سيء، وهذا نظير ما قيل في تأويل قولهم² "وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ"³ يعني باعتقادهم عبادة الأصنام كان صحيحا في الدنيا ؛ لأن لا يعرفون عبادة الأصنام لا يجوز.

النتيجة: التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "هؤلاء شركاؤنا" و "والله ربنا ما كنا مشركين" إن الله تعالى ختم على أفواههم وأنطق جوارحهم فإذا ارتفع المناقاة بين الآيتين.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي إن الكفار لعلمهم قالوا "هؤلاء شركاؤنا" و "والله ربنا ما كنا مشركين" طمعا أن ينجيهم الله تعالى من العذاب أو ينقص من عذابهم شيئا فإذا لاتعارض بين الآيتين.

التوجيه الثالث: قال الإمام الألوسي إن الكفار يظنون عبادتهم للأصنام كان صحيحا لذا قالوا "والله ربنا ما كنا مشركين" فإذا لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين بأصول العام والخاص و ببيان اختلاف الأمكنة والأزمنة وتفسير القرآن بالقرآن.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري⁴: "فإن قلت: ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله، وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ؟، قلت: تتفاوت الأحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاوّل، فيقرّون في بعضها، ويحجدون في بعضها أو أريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم"⁵. "فكأنه قيل: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره، كل يقول: نفسي نفسي. ومعنى المجادلة عنها: الاعتذار عنها كقوله "هؤلاء أضلُّونا"، "ما كُنَّا مُشْرِكِينَ" ونحو ذلك"⁶.

قال الإمام الرازي⁷: "قالوا يحمل قوله، والله ربنا ما كنا مشركين، أي ما كنا مشركين في اعتقادنا وظنوننا، وذلك لأن القوم كانوا يعتقدون في أنفسهم أنهم كانوا موحدين متباعدين من الشرك"⁸.

1 سورة النحل: 28.

2 تفسير روح المعاني (370/7)

3 سورة الأنعام: 23.

4 سبقت ترجمته

5 تفسير الكشاف (66/2)

6 تفسير الكشاف (638/2)

7 سبقت ترجمته

8 تفسير الرازي (503/12)

قال الإمام البيضاوي¹: "وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى كِتْمَانِهِ لَأَن جَوَارِحَهُمْ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ، أَيْ يَدُونَ أَن تَسْوَى بِهِمُ الْأَرْضُ وَحَالَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا وَلَا يَكْذِبُونَهُ بِقَوْلِهِمْ، وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ"².

"وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ، يَكْذِبُونَ وَيَحْلِفُونَ عَلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ فِرَاطِ الْحَيَرَةِ وَالْدَهْشَةِ، كَمَا يَقُولُونَ: رَبُّنَا أَخْرَجَنَا مِنْهَا، وَقَدْ أَيْقَنُوا بِالْخُلُودِ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ عِنْدَ أَنْفُسِنَا وَهُوَ لَا يُوَافِقُ قَوْلَهُ"³.

لخلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول الأمكنة والأزمنة وقد أضاف الأصول الأخرى وهو بيان تفسير القرآن بالقرآن والعام والخاص.

أصل المسألة: إن الله تعالى أرسل رسولا ومنذرا وهاديا في كل أمة أم لا؟

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ⁴، وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ⁵، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ⁶، وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ⁷، لِيُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ⁸، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ⁹.

فإن قيل بعض الآيات تدل على أن الله تعالى أرسل رسولا ومنذرا في كل أمة ولكن الآية الثانية تدل على أن الله تعالى ما أرسل منذرا في كل قوم، فكيف الجمع بين الآيات؟

1 سبقت ترجمته

2 تفسير البيضاوي (75/2)

3 تفسير البيضاوي (158/2)

4 سورة النحل: 36.

5 سورة الرعد: 7.

6 سورة فاطر: 24.

7 سورة القصص: 46، سورة السجدة: 3.

8 سورة يس: 6.

9 سورة المائدة: 19.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك" أي نذير يطلق على الرسول ﷺ وهو المشهور وعلي ما يعمه والعالم الذي ينذر عنه عزوجل ويشهد على هذا التفسير بقوله تعالى: "وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ"¹ ومن قبلك أي من قبل إنذارك أو من قبل زمانك، والمراد بهم قريش الذين كانوا ملزمين بشرائع الرسل من قبل وإن كانوا مقصرين في البحث عنها لاسيما دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأنهم لم يزالوا على ذلك إلى أن فشست في العرب عبادة الأصنام التي أحدثها فيهم عمرو الخزاعي لعنه الله تعالى فلم يبق منهم على الملة الخنيفية إلا قليل بل أقل من القليل فهم داخلون وأيضا إن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام لم تعما وهو الأظهر. ولم يبعث رسول منهم قبل ﷺ.

قال الإمام الألوسي إن الدعاء إلى الله تعالى لم ينقطع عن كل أمة إما مباشرة من أنبيائهم وإما بنقل إلى وقت بعثة محمد ﷺ والآيات التي تدل على أن قريشا ما جاءهم نذير معناها لم يباشرهم وآباءهم الأقربين قربين ويشهد على هذا التفسير بقول أبي حيان وما ذكره أهل علم الكلام من حال أهل الفترات فإن ذلك على حسب الغرض لا أنه واقع فلا توجد أمة على وجه الأرض إلا وقد علمت الدعوة إلى الله عز وجل وعبادته انتهى².

"لتنذر قوما" مقولا فيهم لعلهم يتذكرون وظاهر الآية لم يرسل رسولا إلى العرب بعد انقطاع موت إسماعيل عليه السلام ورسالة إسماعيل عليه السلام انتهت بموته وبقائهم الأمد الطويل على أن إسماعيل عليه السلام كان مرسلا إليهم وكأنه لتطاول الأمد بين بعثته عليه السلام وبعثة نبينا عليه الصلاة والسلام إذ بينهما أكثر من ألفي سنة بكثير بدون رسول مبعوث فيهم نفى إتيان النذير إياهم من قبله ﷺ.

وقيل: إن موسى، وعيسى عليهما السلام كما أرسلنا لبني إسرائيل أرسلنا للعرب فللمراد بنفي هذا الإتيان الفترة التي بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام، ومنها على ما روى البخاري عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه ستمائة سنة وفي كثير من الكتب أنه خمسمائة وخمسون سنة، ونفي إتيان نبي بين زماننا وإتيان نبينا وإتيان عيسى عليهما الصلاة والسلام هو ما صححه جمع من العلماء لحديث لا نبي بيني وبين عيسى وقال بعضهم: إن بينهما أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان.

فالمراد بعدم إتيان النذير إياهم عدم وصول ما أتى به على الحقيقة إليهم ولا يمكن أن يراد بمؤلاء القوم العرب مطلقا ويقال: بأنهم لم يرسل إليهم قبل رسول الله ﷺ أحد أصلا لظهور بطلانه ومنافاته لقوله تعالى: "وَإِنْ مِنْ

1 سورة فاطر: 24.

2 انظر: تفسير روح المعاني (116/11)، البحر المحيط في التفسير (28/9)

أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ¹ والعرب أعظم أمة وكذا لقوله تعالى: "لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ"² بناء على أن ما فيه ليست نافية وهو على القول بأن ما فيه نافية مؤول بحمل الآباء على الآباء الأقربين، ولا يكاد يجوز في ما هاهنا ما جاز فيها من الاحتمال في آية يس بل المتعين فيها النفي ليس غير، وتكلف غيره مما لا ينبغي في كتاب الله تعالى. وقال الضحاك: يقول سبحانه إنك يا محمد لم تكن الرسول إلى أهل مدين تنلو عليهم آيات الكتاب وإنما كان غيرك ولكننا كنا مرسلين في كل زمان رسولا فأرسلنا إلى أهل مدين شعيبا وأرسلناك إلى العرب لتكون خاتم الأنبياء اه³. وعليه فالمعنى ما أنذر آباءهم رسول أي لم يباشرهم بالإنذار لا أنه لم ينذرهم منذر أصلا فيجوز أن يكون قد أنذرهم من ليس بنبي كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة فلا منافاة بين ما هنا وقوله تعالى: "وَأَنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ"⁴ وليس في ذلك إنكار الفترة المذكورة في قوله تعالى: "عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ"⁵ لأنها فترة إرسال وانقطاعها زمانا لا فترة إنذار مطلقا⁶.

النتيجة: التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي: إن الله تعالى أرسل رسولا ومنذرا في كل أمة و قوم ويشهد على هذا التفسير بقوله تعالى: "ولقد بعثنا في كل أمة رسولا..."، "إنما أنت منذر ولكل قوم هاد"، "وإن من أمة إلا خلا فيها نذير" و المراد من قوله تعالى: "لتنذر قوما ما أنذر آباءهم"، "ما أتاهم من نذير" أي مضت فترة طويلة لم يبعث إلى القریش نذير معناها لم يباشرهم ولا آباءهم القريين.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وإن من أمة إلا خلا فيها نذير" و "لتنذر قوما ما أنذر آباءهم" أي عام للرسول وللعالَم ينذر كما قيل. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيات بأصول العام والخاص وبيان تفسير القرآن بالقرآن واللغة.

أقوال العلماء:

قال الإمام الرازي⁷: "لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك¹، وقيل المراد الإنبات وهو على وجهين أحدهما: لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم، فتكون ما مصدرية الثاني: أن تكون موصولة معناه: لتنذر قوما الذين أنذر آباؤهم فهم

1 سورة فاطر: 24.

2 سورة يس: 6.

3 انظر: تفسير روح المعاني (296/10)

4 سورة فاطر: 24.

5 سورة المائدة: 19.

6 تفسير روح المعاني (386/11)

7 سبقت ترجمته

غافلون، فعلى قولنا ما نافية تفسيره ظاهر فإن من لم ينذر آباؤه وبعد الإنذار عنه فهو يكون غافلا، وعلى قولنا هي للإثبات كذلك لأن معناه لتنذره إنذار آباؤهم فيأثم غافلون².

قال الإمام البيضاوي³: "مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ، لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى، وهي خمسمائة وخمسون سنة، أو بينك وبين إسماعيل، على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل وما حوالاهم"⁴.

قال الإمام ابن عطية⁵: "قوله مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ، أي لم يباشروهم ولا رأوه هم ولا آباؤهم العرب، وقوله تعالى: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ⁶ يعم من بوشر من النذر ومن سمع به فالعرب من الأمم التي خلت فيها النذر على هذا الوجه لأنها علمت بإبراهيم وبنيه ودعوتهم وهم ممن لم يأثم نذير مباشر لهم سوى محمد ﷺ، وقال ابن عباس ومقاتل: المعنى لم يأثم نذير في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام"⁷.

"وقال قتادة ما نافية أي أن آباءهم لم ينذروا، فالآباء على هذا هم القريون منهم، وهذه الآية كقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ⁸، وهذه النذارة المنفية هي نذارة المباشرة والأمر والنهي، وإلا فدعوة الله تعالى من الأرض لم تنقطع قط"⁹.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة والعام والخاص وقد أضاف الأصول الآخر وهو تفسير القرآن بالقرآن.

1 سورة القصص: 46.

2 تفسير الرازي (253/26)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير البيضاوي (179/4)

5 أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر المحاربي الغرناطي، ولادته و وفاته (481 - 542 هـ) شيخ المفسرين، فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء لمرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملتزمين. وتوفي بلورقة. انظر: طبقات المفسرين للداودي (265/1)

6 سورة فاطر: 24.

7 تفسير ابن عطية (357/4)

8 سورة سبأ: 44.

9 تفسير ابن عطية (446/4)

أصل المسألة: الفرق بين السكر والخمر

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ¹، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ²

فإن قيل إن الخمر حلال كما جاء في الآية الأولى ولكن جاء في الآية الثانية عكسها، فكيف الجمع بين الآيتين؟
أورد الإمام الألوسي أقوال العلماء المفسرين لدفع توهم التعارض بين الآيتين المذكورتين:

وقال: المراد من قوله تعالى "سكرا" السكر بالخمر هو المروي عن ابن مسعود و ابن عمر وأبي رزين والحسن ومجاهد "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ"³ حينما أن السكر يكون بمعنى الخمر فذلك الوقت يكون حراما، فصارت الآية الأولى منسوخة بآية الثانية كما روي عن ابن مسعود وابن عمر وأبي رزين والحسن ومجاهد. ولو قوله تعالى: "سكرا" بمعنى الخل بلغة الحبشة أو بمعنى المطعوم المتفكه فذاك الوقت صارت الآية الأولى محكمة لآية الثانية كما اختار النخعي وأبي ثور وابن جبير ما نسخ الآية المائدة وقيل نزلت قبل ولا نسخ بناء على ما روي عن ابن عباس أن السكر هو الخل بلغة الحبشة أو على ما نقل عن أبي عبيدة " أن السكر المطعوم المتفكه به كالتنقل. وإلى عدم النسخ ذهب الحنفيون وقالوا: المراد بالسكر ما لا يسكر من الأنبذة، واستدلوا عليه بأن الله تعالى امتنّ على عباده بما خلق لهم من ذلك ولا يقع الامتنان إلا بمحلل فيكون ذلك دليلا على جواز شرب ما دون المسكر من النبيذ فإذا انتهى إلى السكر لم يجز وعضدوا هذا من السنة بما روي عن النبي ﷺ قال: حرم الله تعالى الخمر بعينها القليل منها والكثير والسكر من كل شراب⁴ أخرجه الدارقطني، وإلى حل شرب النبيذ ما لم يصل إلى الإسكار ذهب إبراهيم النخعي: وأبو جعفر الطحاوي وكان إمام أهل زمانه⁵. وسفيان الثوري وهو من تعلم وكان عليه الرحمة يشربه.

1 سورة النحل: 67.

2 سورة المائدة: 90.

3 سورة المائدة: 90.

4 سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني، كتاب الأشربة وغيرها (461/5) رقم الحديث: 4616، حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث صحيح (صحيح الجامع الصغير وزاداته للألباني (600/1)

5 أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بالطحاوي، شرح معاني الآثار، (، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتيبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، ن: عالم الكتب، الطبعة: الأولى - 1414 هـ، 1994 م، عدد الأجزاء: 5 (461/5)

وفي الآية دليل على قبح تناولها تعريضا من تقييد المقابل بالحسن، وهذا وجه من ذهب إلى أنه جمع بين العتاب والمنة، وعلى الأول يكون رمزا إلى أن السكر وإن كان مباحا فهو مما يحسن اجتنابه. واستدل ابن كمال على نزولها قبل التحريم أن المقام لا يحتمل العتاب فإن مساق الكلام على ما دل عليه سياقه ولحاظه في تعداد النعم العظام¹.

النتيجة: إن التوجيهات المختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيتين المذكورتين كما ذكر الإمام الألوسي:
الوجه الأول: المراد من قوله تعالى: "سكرا" أي يسكر من الأنبذة في ذلك الوقت السكر يكون بمعنى الخمر فذاك الوقت يكون حراما، فصارت الآية الأولى منسوخة بآية الثانية
الوجه الثاني: المراد من قوله تعالى "سكرا" أي لا يسكر من الأنبذة فذاك الوقت "آية النحل" محكمة لـ "آية المائدة" فدفع التعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بأصول النسخ وبالتقييد وبيان الحديث وبالسباق.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري²: "فيه وجهان: أحدهما أن تكون منسوخة. ومن قال بنسخها: الشعبي والنخعي، وثانيهما أن يجمع بين العتاب والمنة، وقيل: السكر النبيذ"³.

قال الإمام القرطبي⁴: "قال ابن عباس: نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر، وأراد بالسكر الخمر، وقيل: السكر العصير الحلو الحلال، والصحيح أن ذلك كان قبل تحريم الخمر فتكون منسوخة؛ فإن هذه الآية مكية باتفاق من العلماء، وتحريم الخمر مدني، قلت: فعلى أن السكر الخمر أو العصير الحلو لا نسخ، وتكون الآية محكمة وهو حسن، قال ابن عباس: الحبشة يسمون الخل السكر، إلا أن الجمهور على أن السكر الخمر، منهم ابن مسعود وابن عمر وأبو رزين والحسن ومجاهد وابن أبي ليلى والكلبي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم، كلهم قالوا: السكر ما حرمه الله من ثمريهما"⁵.

1 انظر: تفسير روح المعاني (418-420)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير الكشاف (617/2)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير القرطبي (128/10)

قال الإمام ابن الجوزي¹: "في المراد بالسكر ثلاثة أقوال، أحدها أنه الخمر قاله ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وإبراهيم ابن أبي ليلى والزجاج وابن قتيبة وروى عمرو بن سفيان عن ابن عباس قال السكر ما حرم من ثمرتها وقال هؤلاء المفسرون وهذه الآية نزلت إذ كانت الخمرة مباحة ثم نسخ ذلك بقوله، فاجتنبوه²، ومن ذكر أنها منسوخة سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي والنخعي، والثاني أن السكر الخل بلغة الحبشة رواه العوفي عن ابن عباس وقال الضحاك هو الخل بلغة اليمن، والثالث أن السكر الطعم يقال هذا له سكر أي طعم وأنشدوا، جعلت عيب الأكرمين سكرًا"³.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول النسخ وقد أضاف الأصول الأخرى وهو المطلق والمقيد وبيان الحديث والسياق.

أصل المسألة: إن تسلط الشيطان ثابت على الناس أم لا؟

"إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ"⁴، وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا آتَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"⁵.

فإن قيل: إن الأولى تدل على تسلط الشيطان "على الذين يتولونه" ولكن جاء في الآية الثانية "وما كان لي عليكم من سلطان" فكيف يدفع التعارض بين الآيتين؟

إن الإمام الألوسي أولا يحلل الآيتين ثم يجيب كما ترى الآن وقال: إنَّه الضمير للشأن أو للشيطان "لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ" تسلط واستيلاء "عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَحْمَتِ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"⁶ أي إن المؤمنين يفوضون أمورهم إلى الله تعالى لا إلى غيره وبه وبه يعوذون فالمراد نفي التسلط بعد الاستعاذة و ذكر الإمام الألوسي موقف البعض: نفي ذلك مطلقا. بعد ثبت هذا التوضيح إن نفي التسلط من الشيطان ليس له مطلقا بل له لهم الذين يعوذون بالله تعالى وعند البعض تكون مطلقا.

1 سبقت ترجمته

2 سورة المائدة: 90.

3 زاد المسير (465/4)

4 سورة النحل: 100.

5 سورة إبراهيم: 22.

6 سورة النحل: 99.

والاستعاذة من المحتقرات فهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وسأوسه إلا فيها يحتقروته على ندور وغفلة فأمرُوا بالاستعاذة منه لمزيد الاعتناء بحفظهم "إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ" أي يجعلونه واليا عليهم فيحبونه ويطيعونه ويستجيبون دعوته فالمراد بالسلطان التسلط والولاية بالدعوة المستتعبة للاستجابة لا ما يعم ذلك والتسلط بالقسر والإجاء فإن في جعل التولي صلة «ما» يفصح بنفي إرادة التسلط القسري فإن المفسور بمعزل عنه بهذا المعنى، وقد نفي هذا أيضا عن الكفرة في قوله تعالى حكاية عن اللعين: "وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ¹ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ أَسْبَغَ الشَّيْطَانُ وَإِغْوَانَهُ إِيَّاهُمْ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى.

ذكر الإمام الألوسي أقسام القدرة واستشهد بقول أبي حيان وقال: بأن القدرة على حمل الإنسان على الشيء تارة تكون بالقهر من الحامل وتارة تكون بتقوية الداعية في قلبه وذلك بإلقاء الوسواس إليه وهذا نوع من أنواع التسلط فكأنه قال: تسلط الشيطان على الإنسان بالوسوسة لا بالضرب ونحوه فَاسْتَجَبْتُمْ لِي أي أسرعتم إجابتي كما يؤذن بذلك الفاء، فَلَا تُلْوَموُنِي بوعدي إياكم حيث لم يكن على طريق القسر والإجاء كما يدل عليه الفاء، وقيل: بوسوستي فإن من صرح بالعداوة وقال: "لَأَقْعُدَنَّكُمْ هَٰذَا صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ"² لا يلام بأشال ذلك. وقري "فَلَا يُلْوَموُنِي" بالياء على الالتفات "وَلَوْوُوا أَنْفُسَكُمْ" حيث استجبت لي باختياركم الناشئ عن سوء استعدادكم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا لربكم إذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج. إن المقصود في الآية نفي أن يكون له تسلط في أمر الإضلال إلا بمحض الوسوسة لا نفي أن يكون له تسلط أصلا والسياق أدل قرينة على ذلك³.

النتيجة: إن الاستشهاد على ذلك بأن المقصود في الآية نفي أن يكون له تسلط في أمر الإضلال إلا بمحض الوسوسة لا نفي أن يكون له تسلط أصلا والسياق أدل قرينة على ذلك.

إن تسلط الشيطان واستيلائه على الناس بواسطة دعوته كما جاء في القرآن الكريم "إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ" ولا بالقسر والإجاء كما جاء في القرآن الحكيم "وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ" إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيتين ببيان السياق واللغة وتفسير القرآن بالقرآن.

1 سورة إبراهيم: 22.

2 سورة الأعراف: 16.

3 انظر: تفسير روح المعاني (197/7-200)

أقوال العلماء:

قال الإمام القاضي ثناء الله باني بتي¹: "إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ، أَيْ يَحِبُّونَهُ وَيَطِيعُونَهُ فَيَجْعَلُونَهُ مُسْلِطًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِاخْتِيَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ يَضْطَرُّهُمْ إِلَى اتِّبَاعِهِ فَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ، مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"².

قال الإمام البيضاوي³: "وما كان لي عليكم من سلطان، تسلط فألجفكم إلى الكفر والمعاصي، إلا أن دعوتكم إلا دعائي إياكم إليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم: تحية بينهم ضرب وجيع"⁴. "إنه ليس له سلطان، تسلط وولاية، على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، على أولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فإنهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وسوسه إلا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك أمروا بالاستعانة فذكر السلطنة بعد الأمر باستعانة لئلا يتوهم منه أن له سلطاناً"⁵.

قال الإمام أبو السعود العمادي⁶: "إن عبادي، وهم المشار إليهم بالمخلصين، ليس عليك سلطان، تسلط وتصرف بالإغواء، إلا من اتبعك من الغاوين، وفيه مع كونه تحقيقاً لما قاله اللعين تفخيم لشأن المخلصين وبيان لمنزلتهم ولا نقطاع محالب الإغواء عنهم وأن إغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم". "أنه، الضمير للشأن أو للشيطان، ليس له سلطان، تسلط وولاية، على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، أي إليه يفوضون أمروهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون فإن وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم"⁷.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أضاف الأصول الأخرى وهو بيان تفسير القرآن بالقرآن والسياق.

1 سبقت ترجمته

2 التفسير المظهر (ص: 2090)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير البيضاوي (3/ 197)

5 تفسير البيضاوي (3/ 240)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير أبي السعود (5/ 79-140)

المبحث الثالث: من بداية سورة الإسراء إلى آخر سورة الأنبياء

سورة الإسراء

أصل المسألة: إن الإنسان يقرأ الأعمال بنفسه في يوم القيامة أو فقط إن الله تعالى يحاسب؟
"اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا"¹، وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا
وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ"²

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن النفس سينظر حسابه بنفسه ولكن الآية الثانية تدل على عكسها، فكيف الموافقة بين الآيتين؟

ذكر الإمام الألوسي أقوال العلماء لدفع توهم التعارض بين الآيتين:

الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً" أي المراد بالنفس الجوارح فإنها تشهد على العبد إذا أنكر وهو خلاف الظاهر، واستشهد على التفسير المذكور بقول مقاتل.

الثاني: ذكر الإمام الألوسي قول الحسن: حينما يحاسب الله تعالى أعمال الكافر فقال الكافر فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له "اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ" أنه يقال ذلك للمؤمن والكافر ويشهد الإمام الألوسي على التفسير برواية ابن أبي حاتم عن السدي "من أن الكافر يخرج له يوم القيامة كتاب فيقول: رب إنك قضيت أنك لست بظلام للعبيد فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له "اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ"³ أو لما ينبا الله تعالى حال إنبائه بقبايح أفعاله يعرض عليه كتابه فيقال له "اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا"⁴ فإذا أخذ في القراءة تلجلج لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة فقبل له "لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَنَجَّلَّ بِهِ" هذا التوضيح أقرب إلى توضيح الآية أن الإنسان يقرأ بنفسه⁵. وجاء أن المؤمن يقرأ أولاً سيئاته وحسناته في ظهر كتابه يراها أهل الموقف ولا يراها هو فيقبطونه عليها فإذا استوفى قراءة السيئات وظن أنه قد هلك رأى في آخرها هذه سيئاتك قد غفرناها لك فيتبلج وجهه ويعظم سروره ثم يقرأ حسناته فيزداد نورا "وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا"⁶، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ

1 سورة الإسراء: 14.

2 الأنبياء: 47.

3 انظر: تفسير روح المعاني (2321/7)، تفسير ابن أبي حاتم (2321/7)

4 سورة الإسراء: 14.

5 انظر: تفسير روح المعاني (159/15)

6 سورة الانشقاق: 9.

افْرءُوا كِتَابِيَهٗ¹، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ² وأما الكافر فيقرأ أولاً حسناته وسيئاته في ظهر كتابه يراها أهل الموقف فيتعوذون من ذلك فإذا استوفى قراءة الحسنات وجد في آخرها هذه حسناتك قد رددناها عليك وذلك قوله تعالى: "وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا"³ فيسود وجهه ويعظم كربته ثم يقرأ سيئاته فيزداد بلاء على بلاء وينقلب بمزيد خيبة وشقاء ويقول: "يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ وَلَمْ أَذَرِ مَا حِسَابِيَهٗ"⁴ جعلنا الله تعالى ممن يقرأ فيرقى لا ممن يقرأ فيشقى بمنه وكرمه هذا.

الثالث: قال الإمام الألوسي فسر بعضهم "الكتاب بالنفس" بمعنى المنتقشة بآثار الأعمال ونشره وقراءته بظهور ذلك له ولغيره، وبيانه أن ما يصدر عن الإنسان خيراً أو شراً يحصل منه في الروح أثر مخصوص وهو خفي ما دامت متعلقة بالبدن مشغولة بواردات الحواس والقوى فإذا انقطعت علاقتها قامت قيامته لانكشاف الغطاء باتصالها بالعالم العلوي فيظهر في لوح النفس نقش أثر كل ما عمله في عمره وهو معنى الكتابة والقراءة⁵. كفى بنا حاسبين قيل أي عادين ومحصين أعمالهم على أنه من الحساب مراداً به معناه اللغوي وهو العد⁶.

النتيجة: إن التوجيهات المختلفة لدفع الإشكال بين الآيتين كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي: لما يحاسب الله تعالى أعمال الإنسان فيقول: رب إنك قضيت أنك لست بظلام للعبيد فاجعلي أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك، وأيضاً يظهر الله تعالى أعمال الإنسان عليه، لكي يطمئن الإنسان فحينما يشاهد أعماله التي عمل في الدنيا ويقبل أعماله بنفسه حينما يريها. فدفع التعارض بين الآيتين بمعرفة اختلاف أمكنتها وأزمته.

الوجه الثاني: قوله تعالى "كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً" إن المراد بالنفس الجوارح فإنها تشهد على العبد إذا أنكر وهو خلاف الظاهر، فدفع التعارض بين الآيتين بأسلوب أصول العام والخاص.

الوجه الثالث: المراد بالقراءة والكتابة: المنتقشة بآثار الأعمال ونشره وقراءته بظهور ذلك له ولغيره، لما يصدر الأعمال من الإنسان ما شاء من خير أو شر فيحصل له أثر مخصوص بالروح وهو يكون مخفياً حتى انقطع الروح من بدنه فبعد انقطاعه أنه يتصل بالعالم العلوي فيظهر في لوح النفس نقش أثر كل ما عمله في عمره وهو معنى

1 سورة الحاقة: 19.

2 سورة الحاقة: 20.

3 سورة الفرقان: 23.

4 سورة الحاقة: 25، 26.

5 انظر: تفسير روح المعاني (34-33/8)

6 تفسير روح المعاني (55/9)

الكتابة والقراءة. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال ببيان تفسير القرآن بالقرآن والحديث و اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

ذكر الإمام الرازي¹ قول السدي وقال: "يقول الكافر يومئذ إنك قضيت أنك لست بظلام للعبيد، فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً والله أعلم"².

قال الإمام أبو حيان الأندلسي³: "الظاهر أن المراد بنفسك ذاتك أي كفى بك. وقال مقاتل: يريد بنفسه جوارحه تشهد عليه إذا أنكر"⁴.

قال محمد بن أبي بكر الرازي⁵: "مواقف القيامة مختلفة ففي موقف بكل الله حسابهم إلى أنفسهم وعلمه محيط به وفي موقف يحاسبهم هو و قيل هو الذي يحاسبهم"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اختلاف الأمكنة والأزمنة وقد أضاف الأصول الأخرى وهو بيان تفسير القرآن بالقرآن والحديث.

أصل المسألة: إيتاء العلم للإنسان قليل أو كثير؟

"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا⁷، يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"⁸.

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن العلم لم يؤت الإنسان إلا قليلاً، ولكن الآية الثانية تدل على عكسها يعني أوتي خيراً كثيراً، فكيف التوافق بين الآيتين؟

يذكر الإمام الألوسي الحديث لبيان قصة اليهود في تفسيره وقال: أنه لما نزل "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" قالت اليهود: قد أوتينا التوراة فيها علم كل شيء¹ أو فلما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار يهود أو

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الرازي (310/20)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير البحر المحيط (22/7)

5 سبقت ترجمته

6 مسائل الرازي (ص: 185)

7 سورة الإسراء: 85.

8 سورة البقرة: 269.

اليهود أو حي بن أخطب -وردت رواية مختلفة- فقالوا: ساعة تقول: "وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا"² وساعة تقول "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"³ ومرادهم الاعتراض بأنه وقع في كتابكم تناقض⁴، وأيضاً أنهم قالوا أوتينا علماً كثيراً أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً نحن محتصون بهذا الخطاب فقال: بل نحن وأنتم فقالوا: ما أعجب شأنك ساعة تقول "وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا"⁵ فانزل الله تعالى: "قُلْ لَوْ كَانَ الْبَخْرُ"⁶ الآية أو فانزل الله تعالى "وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ" إلى قوله سبحانه "إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"⁷ إلى آخر الآية، ولا يخفى أن هذا أيضاً لا يلزم منه التناقض لأن الكثرة والقلة من الأمور الإضافية فالشيء يكون قليلاً بالنسبة إلى ما فوقه وكثيراً بالنسبة إلى ما تحته فما في التوراة قليل بالنسبة إلى ما في علم الله تعالى شأنه كثير بالنسبة إلى أمر آخر ويشهد على هذا التفسير برواية ابن حبان، وكأنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى أن المراد في الآية -"تبياناً لكل شيء"- من الأمور الدينية ولا شك أنها أقل قليل بالنسبة إلى معلومات الله تعالى التي لا نهاية لها⁸، وبهذا يرد على القائل بالعموم الحقيقي.

"وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" وهو علم المحسوسات أي إلا علماً قليلاً تستفيدونه من طرق الحواس فإن تعقل للمعارف النظرية إنما هو في الأكثر من إحساس الجزئيات ولذلك قيل: من فقد حساً فقد علماً، ولعل أكثر

1 انظر: تفسير روح المعاني (190/8)

2 سورة البقرة: 269.

3 سورة الإسراء: 85.

4 انظر: تفسير روح المعاني (373/8)

5 سورة البقرة: 269.

6 سورة الكهف: 109.

7 سورة لقمان: 27-28.

8 صحيح ابن حبان، كتاب العلم، ذكر البيان بأن الأعمش لم يكن بالمتفرد في سماع هذا الخبر من عبد الله بن مرة دون غيره (301/1)، حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث حسن صحيح (التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيم من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مقبذ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، السبيعي، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بليان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاشي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ) الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 12) (209/1)

الأشياء لا يدركه الحس لكونه غير محسوس أو محسوسا منع من إحساسه مانع كالغيبه مثلا وكذا لا يدرك شيئا من عرضياته ليرسمه بما فضلا عن أن ينتقل منها الفكر إلى الذاتيات ليقف على الحقيقة¹.

"وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"² والخطاب لليهود استظهر على ذلك بقصة موسى نبي بني إسرائيل مع الخضر عليهما السلام التي كان سببها ذكر العلم والأعلم وما دلت عليه من كثرة معلومات الله تعالى التي لا تحصى فكانت هذه السورة كإقامة الدليل لما ذكر من الحكم في تلك السورة³.

النتيجة: إن التوجيهات المختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيتين كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي لما نزل "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" فقالت اليهود: أوتينا التوراة فيها علم كل شيء فأنزل الله تعالى "قل لو كان البحر الح" أو "ولو أنما في الأرض من شجر أقلام الح" أي هذه الكثرة والقلة من الأمور الإضافية فالشيء يكون قليلا بالنسبة إلى ما فوقه وكثيرا بالنسبة إلى ما تحته فما في التوراة قليل بالنسبة إلى ما في علم الله تعالى شأنه كثير بالنسبة إلى أمر آخر.

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" أي هو علم المحسوسات أي إلا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس يعني أوتي علم المحسوسات قليلا كما لا يحصل العلم عن الروح بالمحسوسات ؛ لأن لم يستطع أي إنسان هو يدركه الروح بالحس فإذن لا إشكال بين الآيتين.

الوجه الثالث: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" أي الحكمة الإنسانية أن يعلم من الخير ما تسعه القوة البشرية بل ما يتنظم به أمر المعاش والمعاد وهو قليل بالنسبة إلى معلوماته تعالى كثير بالنسبة إلى غيرها فإذن ارتفع الإشكال بين الآيتين.

إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين بأصول العام والخاص وسبب النزول وأيضا استعان لدفع التعارض ببيان الحديث.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري⁴: "إنَّ القلة والكثرة تدوران مع الإضافة، فيوصف الشيء بالقلة مضافا إلى ما فوقه، وبالكثرة مضافا إلى ما تحته، فالحكمة التي أوتيتها العبد خير كثير في نفسها، إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله فهي قليلة.

1 انظر: تفسير روح المعاني (146/8-147)، (186/8)

2 سورة الإسراء: 85.

3 انظر: تفسير روح المعاني (190/8)

4 مبيقت ترجمته

وقيل: هو خطاب لليهود خاصة، لأنهم قالوا للنبي ﷺ: قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة، وقد تلوت، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ف قيل لهم: إن علم التوراة قليل في جنب علم الله" ¹.

قال الإمام الرازي ²: "ثم قال تعالى: وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" وعلى قولنا قد ذكرنا فيه احتمالين، أما المفسرون فقالوا أن النبي ﷺ لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: بل نحن وأنتم لم تؤت من العلم إلا قليلاً، فقالوا ما أعجب شأنك يا محمد ساعة تقول: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً (البقرة: 269) وساعة تقول هذا، فنزل قوله: ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام (لقمان: 27) إلى آخره" ³.

قال الإمام القرطبي ⁴: "قد قالت اليهود للنبي ﷺ: كيف لم تؤت من العلم إلا قليلاً وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً؟، فعارضهم رسول الله ﷺ بعلم الله فغلبوا، وقد نص رسول الله ﷺ بقوله في بعض الأحاديث: كلا، يعني أن المراد ب، ما أوتيتم، جميع العالم" ⁵.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول معرفة سبب النزول وقد اتفق مع الإمام القرطبي في أصول اللغة و بيان الحديث وقد أضاف الأصول الآخر وهو العام والخاص.

1 تفسير الكشاف (691/2)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير الرازي (127/25-503/21-405/21)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير القرطبي (324/10)

سورة الكهف

أصل المسألة: إن كلمات الله تعالى مبدل أم لا؟

"وَأَنزَلَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا¹، هُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ²، وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفَتِّرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ³"

فإن قيل إن قوله تعالى: "لا مبدل لكلماته" وفي آية أخرى "لا تبدل لكلمات الله" ولكن جاء في الآية الأخير قوله تعالى: إذا بدلنا آية مكان آية، فكيف التوافق بين الآيات؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ" أي لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها غيره وأما هو سبحانه فقدوته شاملة لكل شيء بمحو ما يشاء ويثبت، ويعلم مما ذكر اندفاع ما قيل: إن التبديل واقع لقوله تعالى: "وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً⁴، والظاهر عموم الكلمات الأخبار وغيرها.

وذكر الإمام الألوسي قول الإمام وقال: إن النسخ في الحقيقة ليس بتبديل لأن المنسوخ ثابت في وقته إلى وقت طرئان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلاً توهم لا يقتدى به⁵.

قال الإمام الألوسي: المراد من قوله تعالى: "لا تبدل لكلمات الله" أي لا تبديل لحقائقه سبحانه الواردة عليهم وأسمائه تعالى المنكشفة لهم وأحكام تجلياته جل وعلا النازلة بهم، أو لا تبديل لفطرتهم التي فطرتهم عليها، إن كل من في ذلك تحت ملكه سبحانه وتصرفه وقهره لا يقدر على شيء من غير إذنه⁶.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ" أي إذا نزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلاً منها بأن نسخناها بها، والظاهر على ما في البحر أن المراد نسخ اللفظ والمعنى، ويجوز أن يراد نسخ المعنى مع بقاء اللفظ "وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ" من للمصالح فكل من الناسخ والمنسوخ منزل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فإن كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة تنقلب مفسدة في وقت آخر لانقلاب الأمور الداعية إليها، ونرى الطبيب الحاذق قد يأمر المريض بشربة ثم بعد ذلك ينهيه عنها ويأمره بضدها، وما

1 سورة الكهف: 27.

2 سورة يونس: 64.

3 سورة النحل: 101.

4 سورة النحل: 101.

5 انظر: تفسير روح المعاني (245/9)

6 تفسير روح المعاني (168/6)

الشرائع إلا مصالح للعباد وأدوية لأمراضهم المعنوية فتختلف حسب اختلاف ذلك في الأوقات وسبحان الحكيم العليم¹.

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي التوجيهين لدفع توهم التعارض بين الآيات:

التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "لا تُبَدِّل لِكَلِمَاتِهِ" أي لا يقدر أحد على تبديل كلمات الله وتغييرها بسوي الله تعالى، وإن كل من في ذلك تحت ملكه سبحانه وتصرفه وقهره لا يقدر على شيء من غير إذنه، وأما هو سبحانه فقدوته شاملة لكل شيء يحو ما يشاء ويثبت فإذن لا تعارض بين الآيات.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي إن النسخ في الحقيقة ليس بتبديل بل النسخ كالمغاير، فإن كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة تنقلب مفسدة في وقت آخر لانقلاب الأمور الداعية إليها. إن الإمام الألويس رفع الإشكال بين الآيات بأصول النسخ والمنسوخ.

أقوال العلماء:

قال محمد بن أبي بكر الرازي²: "معنى الأول لا مغير للقرآن من البشر وهو جواب لقولهم للنبي ﷺ انت بقرآن غير هذا أو بدله، الثاني: أن معناه لا خلف لمواعيده ولا مغير لحكمه، ومعنى الثاني: النسخ والتبديل من الله تعالى فلا تنافي بينهما"³.

قال الإمام ابن الجوزي⁴: "في قوله: لا تُبَدِّل لِكَلِمَاتِهِ، قولان: أحدهما: لا يقدر المفكرون على الزيادة فيها والنقصان منها، والثاني: لا خلف لمواعيده، ولا مغير لحكمه"⁵.

قال الإمام الزمخشري⁶: "فلا مبدل لكلمات ربك، أي: لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها، إنما يقدر على ذلك هو وحده، وإذا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ"⁷.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع محمد بن أبي بكر الرازي لحل الإشكال المذكور في أصول النسخ وقد أضاف الإمام الزمخشري والإمام ابن الجوزي الأصول الآخر وهو اللغة.

1 تفسير روح المعاني (466/7)

2 سبقت ترجمته

3 مسائل الرازي (ص: 199)

4 سبقت ترجمته

5 زاد المسير (69/2)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير الكشاف (776/2)

أصل المسألة: إن الجن من جنس الملائكة أم لا؟

"وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا¹، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ²"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن إبليس كان من الجن ولكن الآية الأخيرة تدل على أنه كان من الملائكة، فكيف الجمع بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي اختلف العلماء على أن إبليس من الملائكة أو من الجن؟

ذكر الإمام الألوسي آراء العلماء ودلائلهم التي تدل على أن إبليس كان من الجن أو من الملائكة:

الطائفة الأولى: قال الإمام الألوسي إن إبليس كان من الجن ويشهد على هذا التفسير قوله تعالى: "إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ"³ وبأن الملائكة لا يستكبرون وهو قد استكبر، وبأن الملائكة - كما روى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها - خلقوا من النور⁴، "وخلق الجن من نار⁵" وهو قد خلق مما خلق الجن كما يدل عليه قوله تعالى حكاية عنه: "أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ"⁶ وعد تركه السجود - إباء واستكبارا حينئذ - إما لأنه كان ناشئا بين الملائكة مغمورا بالألوف منهم فغلبوا عليه وتناولوه الأمر ولم يمثل، أو لأن الجن أيضا كانوا مأمورين مع الملائكة، لكنه استغنى بذكرهم لمزيد شرفهم عن ذكر الجن.

وقوله تعالى: "كَانَ مِنَ الْجِنِّ" كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيد استثناء اللعين من الساجدين، فقيل إن إبليس كان أصلا من الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس وما كان من الملائكة وفيه دلالة على أنه لم يكن قبله جن كما لم يكن قبل آدم عليه السلام إنس. قال الإمام الألوسي: كانت الملائكة تقاتل الجن فسي إبليس وكان صغيرا فكان مع الملائكة فتعبد بالسجود معهم، ويشهد على هذا التفسير قول الحسن و سعد بن مسعود، وهو قول كثير من العلماء.

الطائفة الثانية: قال الإمام الألوسي: إن إبليس كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان

1 سورة الكهف: 50.

2 سورة البقرة: 34.

3 سورة الكهف: 5.

4 صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب في أحاديث متفرقة (2294/4)، رقم الحديث: 2996.

5 سورة الرحمن: 15.

6 سورة الأعراف: 12.

وكان له سلطان السماء الدنيا¹ وكان له مجمع البحرين بحر الروم وبحر فارس وسلطان الأرض فرأى أن له بذلك عظمة وشرفا على أهل السماء فوقع في نفسه كبر لم يعلم به أحد إلا الله تعالى قلما أمر بالسجود "ففسق" ظهر كبره الذي في نفسه فلعنه الله تعالى إلى يوم القيامة، ويجوز أيضا أن يكون كأن بمعنى صار - كما روي أنه مسخ بسبب هذه المعصية - فصار جنيا - كما مسخ اليهود فصاروا قردة وخنازير - سلمنا، لكن لا منافاة بين كونه جنا وكونه ملكا.

الطائفة الثالثة: قال الإمام الألوسي: فإن الجن - كما يطلق على ما يقابل الملك - يقال على نوع منه على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما - وكانوا خزنة الجنة أو صاغة حلبيهم. وقيل: صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة مثلنا، أو أنه يقال للملائكة جن أيضا - كما قاله ابن إسحاق - لاجتنانهم واستتارهم عن أعين الناس، وبذلك فسر بعضهم قوله تعالى: "وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا"² وورد مثله في كلام العرب، فقد قال الأعشى في سيدنا سليمان عليه السلام:

وسخر من جن الملائك تسعة ... قياما لديه يعملون بلا أجر³

وفي عقيدة أبي المعين النسفي ما يؤيد ذلك، وإما لأن إبليس سلبه الله تعالى الصفات الملكية وألبسه ثياب الصفات الشيطانية - فعصى عند ذلك - والملك ما دام ملكا لا يعصى.

قال الإمام الألوسي: أفهم كلام البعض أنه يحتمل أن ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات - وإنما يخالفهم بالعوارض والصفات - كالبررة والفسقة من الإنس - والجن يشملهما - وكان إبليس من هذا الصنف، فعده ما شئت من - ملك، وجن، وشيطان - وبذلك يحصل الجمع بين الأقوال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال⁴.

النتيجة: أوجه مختلفة لدفع التعارض بين الآيتين كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي ذهب بعض أهل العلم إلى أن إبليس أصلا كان من الجن وأنه أصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس.

1 شعب الإيمان، الإيمان بالملائكة، فصل في معرفة الملائكة (306/305/1)، رقم الحديث: 142، حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث موضوع، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (312/2)
2 سورة الصافات: 158.

3 خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، ت: محمد نبيل طريفي/أميل بديع يعقوب، ن: دار الكتب العلمية، سنة النشر 1998م، بيروت، عدد الأجزاء 13 (167/6)

4 انظر: تفسير روح المعاني (232-230/1)، تفسير روح المعاني (277-272/8)

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي ذهب بعض أهل العلم إلى أن إبليس كان أصلاً من الجن ولكن حين لم يتبع أمر الله تعالى فمسخ بسبب هذه المعصية فصار جنياً.

الوجه الثالث: قال الإمام الألوسي ذهب بعض أهل العلم ذهب إلى أن الجن صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة مثلنا، فإذا لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين بتفسير القرآن بالقرآن وبيان الحديث و معرفة اللغة وأصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري¹: "كَانَ مِنَ الْجِنِّ، كلام مستأنف جار مجرى التقليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كان قائلاً قال: ما له لم يسجد؟ فقل: كان من الجن ففَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، والفاء للتسبيب أيضاً، جعل كونه من الجن سبباً في فسقه، لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لأدم لم يفسق عن أمر الله، لأنَّ الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس"².

قال الإمام ابن الجوزي³: "وفي قوله: كَانَ مِنَ الْجِنِّ، قولان: أحدهما: أنه من الجن حقيقة، لهذا النص واحتج قائلو هذا بأن له ذرية، وليس للملائكة ذرية، وأنه كفر، والملائكة رسل الله، فهم معصومون من الكفر، والثاني: أنه كان من الملائكة، وإنما قيل: من الجن، لأنه كان من قبيل من الملائكة يقال لهم: الجن، قاله ابن عباس"⁴.

قال محمد بن أبي بكر الرازي⁵: "إنه من الجن حقيقة عملاً بظاهر هذه الآية، فعلي هذا استثناء من الملائكة استثناء من غير الجنس أو يكون استثناء من جنس المأمورين بالسجود لا من جنس الملائكة، القول الثاني: إنه كان من الملائكة قبل أن يعصي الله تعالى فلما عصاه مسخه شيطانا، إنه كان من خزان الجنة وهم جماعة من الملائكة يسمون الجن"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة والعام والخاص، وقد أضاف الأصول الأخرى وهو بيان تفسير القرآن بالقرآن والحديث.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الكشاف (727/2)

3 سبقت ترجمته

4 زاد المسير (90/3)

5 سبقت ترجمته

6 مسائل الرازي (ص: 203)

أصل المسألة: إن يوشع عليه السلام نسي أو نسيا يوشع وموسى معا؟
 "قَلَمًا بَلَقًا يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا نَسِيًا حَوْتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا¹، قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْنَتَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا²"
 فإن قيل جاء لفظ "نسيا" بالثنية في الآية الأولى ولكن جاء في الآية الأخيرة بلفظ مفرد "نسيت"، فكيف الجمع بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي: "نسيا حوتهما" أي نسبة النسيان إليهما جميعا وإليه ذهب الجمهور، والكلام على تقدير مضاف أي نسيا حال حوتهما إلا أن الحال الذي نسيه كل منهما مختلف فالحال الذي نسيه موسى عليه السلام كونه باقيا في المكمل أو مفقودا والحال الذي نسيه يوشع عليه السلام ما رأى من حياته ووقوعه في البحر، وهذا قول بأن يوشع شاهد حياته وفيه خير صحيح، ويشهد على هذا التفسير حديث الرسول ﷺ أن الله تعالى قال لموسى: "خذ نونا ميتا فهو حيث ينفخ فيه الروح فأخذ ذلك فجعله في مكمل فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تحبرني بحيث يفارقك الحوت قال: ما كلفت كثيرا فبينما هما في ظل صخرة إذا اضطرب الحوت حتى دخل البحر وموسى نائم فقال لفتاه: لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسي أن يحبره". وفي حديث أن الله تعالى قال له: "آية ذلك أن تزود حوتا مالحا فهو حيث تفقده ففعل حتى إذا انتهيا إلى الصخرة انطلق موسى يطلب ووضع فتاه الحوت على الصخرة فاضطرب ودخل البحر فقال لفتاه: إذا جاء نبي الله تعالى حدثته فأنساه الشيطان³"
 وزعم بعض أن الناسي هو الفتى لا غير نسي أن يحبر موسى عليه السلام بأمر الحوت، ووجه نسبة النسيان إليهما بأن الشيء قد ينسب إلى الجماعة وإن كان الذي فعله واحدا منهم، وما ذكر هنا نظير نسي القوم زادهم إذا نسيه متعهد أمرهم، وقيل: الكلام على حذف مضاف أي نسي أحدهما والمراد به الفتى وهو كما ترى⁴.
 قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "نسيت الحوت" أي نسيت أن أذكر لك أمر الحوت وما شاهدت من عجب أمره⁵.

النتيجة: إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين بصورتين:

- 1 سورة الكهف: 61.
- 2 سورة الكهف: 63.
- 3 صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {قَلَمًا بَلَقًا يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا نَسِيًا حَوْتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا} [الكهف: 61] (456/11)، رقم الحديث: 4726.
- 4 انظر: تفسير روح المعاني (296/8).
- 5 انظر: تفسير روح المعاني (199/8).

الصورة الأولى: قال الإمام الألوسي: نسبة النسيان إليهما جميعاً لتقدير مضاف أي نسيا حال حوتهما إلا أن الحال الذي نسيه كل منهما مختلف فالحال الذي نسيه موسى عليه السلام كونه باقياً في المكتل أو مفقوداً والحال الذي نسيه يوشع عليه السلام ما رأى من حياته ووقوعه في البحر.

الصورة الثانية: قال الإمام الألوسي: زعم بعض أن الناسي هو الفتى لا غير نسي أن يخبر موسى عليه السلام بأمر الحوت، ووجه نسبة النسيان إليهما بأن الشيء قد ينسب إلى الجماعة وإن كان الذي فعله واحداً منهم وهذا معروف في كلام العرب. إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيتين ببيان الحديث واللغة.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري¹: "نَسِيَا حَوْتَهُمَا أَي نَسِيَا تَفَقَدَ أَمْرَهُ وَمَا يَكُونُ مِنْهُ مِمَّا جَعَلَ أَمَارَةً عَلَى الظُّفْرِ بِالطَّلْبَةِ، وَقِيلَ: نَسَى يُوْشَعَ أَنْ يَقْدَمَهُ، وَنَسَى مُوسَى أَنْ يَأْمُرَهُ فِيهِ بِشَيْءٍ"². وافق الإمام أبو السعود العمادي مع الإمام الزمخشري³.

قال الإمام ابن الجوزي⁴: "إِنَّمَا قِيلَ: نَسِيَا حَوْتَهُمَا تَوْسَعاً فِي الْكَلَامِ، لِأَنَّهُمَا جَمِيعاً تَرَوُّدَاهُ، كَمَا يُقَالُ: نَسَى الْقَوْمُ زَادَهُمْ، وَإِنَّمَا نَسِيَهُ أَحَدُهُمْ، قَالَ الْفَرَاءُ: وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ"⁵، وَإِنَّمَا يَخْرُجُ ذَلِكَ مِنَ الْمَالِخِ، لَا مِنَ الْعَبِّ، وَقِيلَ: نَسَى يُوْشَعَ أَنْ يَحْمِلَ الْحَوْتَ، وَنَسَى مُوسَى أَنْ يَأْمُرَهُ فِيهِ بِشَيْءٍ، فَلِلذَلِكَ أَضْيَفُ النِّسْيَانِ، إِلَيْهِمَا"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أضاف الأصول الآخر وهو بيان الحديث.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الزمخشري (732/2)

3 تفسير أبي السعود (232/5)

4 سبقت ترجمته

5 سورة الرحمن: 22.

6 زاد المسير (96/3)

أصل المسألة: الفرق بين لفظ إمرا ونكرا

"فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا¹، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَفَيَا غُلَامًا فَفَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا رَكِبْتُ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا²"

فإن قيل جاء في الآية الأولى "إمرا" ولكن في الآية الآخر "نكرا"، فكيف الجمع بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي: "لَقَدْ جِئْتَ أَتَيْتَ وفعلت شيئاً إمراً أي داهياً منكراً من أمر الأمر بمعنى كثر قاله الكسائي فأصله كثير، والعرب كما قال ابن جني³ في سر الصناعة تصف الدواهي بالكثرة".

وفي الرواية عن الربيع أن موسى عليه السلام لما رأى من الخضر ما رأى امتلاً غضباً وشد عليه ثيابه وأراد أن ينفذ الخضر عليه السلام في البحر فقال أردت هلاكهم فستعلم أنك أول هالك وجعل كلما ازداد غضباً استعر البحر وكلما سكن كان البحر كالدهن⁴.

"لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا" منكراً جداً، قال الإمام: المنكر ما أنكرته العقول ونفرت عنه النفوس وهو أبلغ في تقبيح الشيء من الأمر، وقيل بالعكس، وقال الراغب: المنكر الدهاء والأمر الصعب الذي لا يعرف، ولهذا الأبلغية قال بعضهم المراد شيئاً أنكر من الأول، واختار الطيبي أنه دون الأمر وقال: إن الذي يقتضيه النظم أنه ذكر الأغلظ ثم تنزل إلى الأهون فقتل النفس أهون من الخرق لما فيه من إهلاك جماعة وأغلظ من إقامة الجدار بلا أجرة⁵.

النتيجة: إن الإمام الألوسي ارتفع الإشكال بصورتين:

الصورة الأولى: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "إمرا" أي داهياً منكراً من أمر الأمر بمعنى كثر، والمراد من قوله تعالى: في آية أخرى "منكرا" أي منكراً جداً، أن التفسير المعنوي واحد لهما فارتفع الإشكال ببيان معاني الكلمات يعني ألفاظهما مختلفة ولكن معناهما سواء.

الصورة الثانية: إن لفظ "إمرا" في الآية الأولى و لفظ "نكرا" في آية الثانية جاء باقتضاء رعاية النظم يعني لفظ "إمرا" تدل على معنى الأغلظ و لفظ "نكرا" تدل على الأهون فارتفع الإشكال بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين بمعرفة كلام العرب و ببيان البلاغة.

1 سورة الكهف: 71.

2 سورة الكهف: 74.

3 هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصل، صاحب التصانيف: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي (392) ببغداد. أنظر: سير أعلام النبلاء (17/17-18)

4 تفسير روح المعاني (317/8)

5 تفسير روح المعاني (318/8-319)

قال الإمام الرازي¹: "النكر أعظم من الأمر في القبح، وهذا إشارة إلى أن قتل الغلام أقيح من خرق السفينة لأن ذلك ما كان إتيافاً للنفس لأنه كان يمكن أن لا يحصل الفرق، أما هاهنا حصل الإتياف قطعاً فكان أنكر وقيل إن قوله: لقد جئت شيئاً إمرأ أي عجباً والنكر أعظم من العجب وقيل النكر ما أنكرته العقول ونفرت عنه النفوس فهو أبلغ في تقبيح الشيء من الأمر ومنهم من قال: الأمر أعظم" قال: لأن خرق السفينة يؤدي إلى إتياف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس إلا إتياف شخص واحد وأيضاً الأمر هو الداهية العظيمة فهو أبلغ من النكر وإنه تعالى حكى عن ذلك العالم أنه ما زاد على أن ذكره ما عاهده عليه"².

قال الإمام ابن الجوزي³: "قوله تعالى: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرَأً، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: منكرأ، قاله مجاهد، وقال الزجاج: عظيماً من المنكر، والثاني: عجباً، قاله قتادة، وابن قتيبة، والثالث: داهية"⁴.

قال محمد بن أبي بكر الرازي⁵: "قيل إمرأ معناه نكرأ، فعلي هذا لا فرق في المعنى؛ لأن الأمر والنكر معني واحد، وقيل الأمر العجب أو الداهية وخرق السفينة كان أعظم من قتل نفس واحدة؛ لأن في الأول هلاك كثيرين، وقيل النكر أعظم من الأمر فمعناه: جئت شيئاً أنكر من الأول؛ لأن ذلك كان يمكن تداركه بالسد وهذا لا يمكن تداركه"⁶.

مخالصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الرازي (487/21)

3 سبقت ترجمته

4 زاد المسير (99/3)

5 سبقت ترجمته

6 مسائل الرازي (206)

سورة مريم

أصل المسألة: نظرية دعاء ذكرى عليه السلام

"وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا¹، يَا ذَكَرْنَا إِنَّكَ نَافِثُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا²، قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا³"

فإن قيل إن ذكرى عليه السلام دعا من الله تعالى كما جاء في قوله تعالى "فهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا" ولكن الآية الآخر قوله تعالى: "أني يكون لي غلاماً" تدل على أن ذكرى عليه السلام ما دعا، فكيف الجمع بين الآيات؟

قال الإمام الألوسي: أجيب بأنه يحتمل أنه جهر به بعد ذلك إظهاراً لنعمة الله تعالى عليه وطلباً لما ذكر فتذكر، وقيل: هو استبعاد راجع إلى المتكلم حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة، وكان قد نسي عليه السلام دعاءه وهو بعيد جداً⁴.

النتيجة: إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بتوجيهين:

التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي: إن ذكرى عليه السلام نطق هي الكلمات لإظهار نعمة الله وشكره.

التوجيه الثاني: ذكر الإمام الألوسي وهو أن المدة طويلة بين الدعاء والقبول لذا قال ذكرى عليه السلام "قال رب أني يكون لي غلاماً" فاندفع التعارض ببيان اختلاف أمكنته وأزمته.

قال الإمام الألوسي: أنه جهر به بعد ذلك إظهاراً لنعمة الله تعالى عليه وطلباً لما ذكر فتذكر، وتوجيه آخر: هو استبعاد راجع إلى المتكلم حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة، وكان قد نسي عليه السلام دعاءه وهو بعيد جداً. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيات ببيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

قال الإمام الرازي⁵: "قوله: أني يكون لي غلام هو التعجب من أنه تعالى يجعلهما شابين ثم يرزقهما الولد أو يتركهما شيخين ويرزقهما الولد مع الشيخوخة بطريق الاستعلام لا بطريق التعجب، والدليل عليه قوله تعالى:

1 سورة مريم:5.

2 سورة مريم:7.

3 سورة مريم:8.

4 تفسير روح المعاني (386/8)

5 سبقت ترجمته

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ¹، وما هذا الإصلاح إلا أنه أعاد قوة الولادة².

"نقل سفيان بن عيينة أنه قال: كان دعاؤه قبل البشارة بستين سنة حتى كان قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة زمان الشيخوخة لا جرم استبعد ذلك على مجرى العادة لا شكاً في قدرة الله تعالى فقال ما"³.

قال محمد بن أبي بكر الرازي⁴: "قلنا: لم يقل ذلك علي طريق الإنكار والاستبعاد، بل ليجاب بما أجيب به عن طلبه الولد وهو قوله تعالى، يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى، فيزداد الموقنون إيقاناً و يرتدع المبطلون، وإلا فمعتقد زكريا أولاً وآخره ان علي منهاج واحد في أن الله تعالى غني من الأسباب، الثاني: أنه قال ذلك تعجب فرح وسرور، لا تعجب إنكار واستبعاد، الثالث: قيل إنه قال ذلك استفهاماً عن الحالة التي يهبه الله تعالى فيها الولد، هل يهبه في حال الشيخوخة أم يرده إلى حالة الشباب ثم يهبه ولكن هذا الجواب لا يناسبه ما أجيب به زكريا عليه السلام بعد استفهامه"⁵.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أصل المسألة: إن المتقين فقط يدخلون الجنة أو كل المؤمنين؟

"بَلِّغِ الْجَنَّةَ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا"⁶، وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ⁷، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ⁸، جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ"⁹.

1 سورة الأنبياء: 89-90.

2 تفسير الرازي (513/21)

3 تفسير الرازي (213/8-214)

4 سبقت ترجمته

5 مسائل الرازي (ص: 210)

6 سورة مريم: 63.

7 سورة آل عمران: 123.

8 سورة البينة: 7.

9 سورة البينة: 8.

فإن قيل إن الآيتين الأوليين تدلان على أن المتقين فقط يدخلون في الجنة ولكن الآية الآخر تدل على أن غير المتقي أيضا يدخلون في الجنة كما جاء في الآيتين الأخيرين، فكيف الجمع بين الآيات؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "نورثها" أي نبيها على من كان تقيا من ثمة تقواه وثمرته بما كما نبي على الوراثة مال مورثه وثمرته به فالإيراث مستعار للإبقاء، وإشارته على سائر ما يدل على ذلك كالبيع والهبة لأنه أتم أنواع التملك من حيث إنه لا يعقب بفسح ولا استرجاع ولا إبطال، وقيل: يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا، ويشهد على هذا التفسير برواية ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: "ليس من أحد إلا وله في الجنة منزل وأزواج فإذا كان يوم القيامة ورث الله تعالى للمؤمن كذا وكذا منزلا من منازل الكفار"¹ قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ" أي العباد ما يعم المؤمن التقى وغيره ووعد غير المؤمن التقى مشروط بالإيمان والتقوى، نعم اختار الأكثرون أن المراد من العباد هناك المتقون والمراد منهم هنا الأعم، والمراد من التقى من آمن وعمل صالحا على ما قيل، ولا دلالة في الآية على أن غيره لا يدخل الجنة مطلقا، وأخرج ابن أبي حاتم عن داود بن أبي هند أنه الموحَّد² فتذكر ولا تغفل³.

النتيجة: أورد الإمام الألوسي أقوالا مختلفة لتعيين معنى "عباد" وقال: المراد من العباد ما يعم المؤمن التقى وغيره ووعد غير المؤمن التقى مشروط بالإيمان والتقوى، نعم اختار الأكثرون أن المراد من العباد هناك المتقون والمراد منهم هنا الأعم، والمراد من التقى من آمن وعمل صالحا على ما قيل، ولا دلالة في الآية على أن غيره لا يدخل الجنة مطلقا، وأخرج ابن أبي حاتم عن داود بن أبي هند أنه الموحَّد.

إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيات بأصول العام والخاص واللغة.

أقوال العلماء:

قال محمد بن أبي بكر الرازي⁴: "قلنا: المراد بالتقوي هنا التقوي من الشرك، وكل المؤمنين سواء في ذلك"⁵. وجدت قول واحد في المسألة المذكورة.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع محمد بن أبي بكر الرازي لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة والعام والخاص.

1 تفسير ابن أبي حاتم (2413/7)

2 تفسير ابن أبي حاتم (2414/7)

3 انظر: تفسير روح المعاني (430-429/8)

4 سبقت ترجمته

5 مسائل الرازي (ص: 216)

أصل المسألة: نسبة لفظ سيق إلى المؤمنين والكافرين

"يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا¹، وَسَيَقُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَقُبِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ"²

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن حشر المتقين يكون بصورة وفد و لفظ الوفد يدل على الإكرام والإشراف و لكن جاء في الآية الثانية قوله تعالى "وسيق" هذا اللفظ يستعمل للمجرمين للإهانة وأيضاً اللفظ المذكور يستعمل للمتقين، فكيف الجمع بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا" أي ركبانا ويشهد الإمام الألوسي على هذا التفسير برواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ابن أبي الدنيا في صفة الجنة³، وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن علي كرم الله تعالى وجهه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقلت: يا رسول الله هل الوفد إلا الركب؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلأأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة"⁴ الحديث، وكذلك الذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك، ويشهد الإمام الألوسي على هذا التفسير بقول الراغب وقال: الوفد والوفود هم الذين يقدمون على الملوك مستنجزين الخوائج، ومنه الوفد من الإبل وهو السابق لغيرها، وهذا المعنى الذي ذكره هو المشهور، ومن هنا قيل: إن لفظه الوفد مشعرة بالإكرام والتبجيل حيث آذنت بتشبيه حالة المتقين بحالة وفود الملوك وليس المراد حقيقة الوفادة من سائر الحيات لأنها تتضمن الانصراف من الوفود عليه⁵.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا" جماعات مرتبة حسب ترتب طبقاتهم في الفضل، و يشهد على هذا التفسير برواية أبي هريرة قال: "قال رسول الله ﷺ أول زمرة تدخل الجنة

1 سورة مريم: 85.

2 سورة الزمر: 73.

3 صفة الجنة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت: علي رضا عبد الله، ن: دار للامون للتراث - دمشق / سوريا، عدد الأجزاء: 2x3 (128/2)

4 تفسير ابن أبي حاتم (1480/5)

5 انظر: تفسير روح المعاني (51/8-452)، و تفسير البحر المحيط (159/6)

من أمتي على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل" يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل¹.

وقال الإمام الألوسي لما ينسب لفظ "السوق" إلى المتقين فحيث الذي يدل على الإكرام والشرف ودار الكرامة؛ لأنهم يساقون إلى الجنة لحب لقاء الله تعالى ولشفهه و أن الملائكة لا يساقون المتقين بل يساقون مركبهم. و حينما لفظ "السوق" ينسب إلى الكفار و أهل جهنم فحيث الذي يدل على الإهانة لم يساقوا الكفار وأهل جهنم إلى الجنة بل أن الملائكة يساقونهم إلى جهنم بدون مركبهم فاندفع التعارض بين الآيات.

موقف العارفين: أورد الإمام الألوسي موقف العارفين وقال: إن المتقين يساقون إلى الجنة لأنهم قد رأوا الله تعالى في المحشر فلرغبتهم في رؤيته عز وجل ثانيا لا يحبون فراق ذلك الموطن الذي رأوه فيه ولشدة حبهم وشفههم لا يكاد يخطر لهم أنهم سيرونه سبحانه إذا دخلوا الجنة، ويشهد على هذا التفسير بالشعر يقول:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم²

ويدل على رؤيتهم إياه عز وجل ويشهد على هذا التفسير برواية أبي هريرة قال: "إن أناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله... وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم³ الحديث، ومع هذا فسوقهم ليس كسوق الذين كفروا كما لا يخفى⁴.

النتيجة: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وسيق" أي للشرف والإكرام أو للإهانة، حينما لفظ "سيق" ينسب إلى المتقين فكون معناه الشرف والإكرام كما جاء لفظ وفد للشرف والإكرام و لما ينسب إلى المجرمين والكفار وأهل جهنم فكون معناه الإهانة فاندفع التعارض بين الآيات. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيات بأصول العام والخاص والتفسير الإشاري و بيان الحديث واللغة.

1 صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة (4/2179)، رقم الحديث: 2834.
2 الأمالي في لغة العرب، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، ن: دار الكتب العلمية، سنة النشر 1398هـ 1978م، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 3*2 (1/222)
3 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (1/163)، رقم الحديث: 182.
4 انظر: تفسير روح المعاني (12/287)

أقوال العلماء:

قال الإمام القرطبي¹: "وسيق، بلفظ واحد، فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان، كما يفعل بالأسارى والخارجين، على السلطان إذا سبقوا إلى حبس أو قتل، وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين"².

قال الإمام الزمخشري³: "فإن قلت: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق؟ قلت: المراد بسوق أهل النار: طردهم إليها بالهوان والعنف، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سبقوا إلى حبس أو قتل. والمراد بسوق أهل الجنة: سوق مراكبهم، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، وحثها إسراعا بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين"⁴.

وافق الإمام الرازي والإمام القرطبي مع الإمام الزمخشري في المسألة المذكورة⁵.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أضاف الأصول الأخرى وهو أصول العام والخاص وبيان الحديث.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير القرطبي (285/15)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير الزمخشري (147/4)

5 تفسير الرازي (479/27)، تفسير القرطبي (285/15)

سورة طه

أصل المسألة: لماذا قدم اسم هارون عليه السلام على موسى عليه السلام؟
 "فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى¹، وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا²، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ³"

فإن قيل في الآية الأولى إسم هارون عليه السلام مقدم على اسم موسى عليه السلام ولكن جاء في الآية الثانية اسم موسى عليه السلام قبل اسم هارون عليه السلام، فكيف الجمع بين الآيتين؟
 قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى" أي تأخير موسى عليه السلام عند حكاية كلامهم المذكورة في سورة الأعراف المقدم فيه موسى عليه السلام لأنه أشرف من هارون والدعوة والرسالة إنما هي له أولاً وبالذات وظهور المعجزة على يده عليه السلام لرعاية الفواصل، وجوز أن يكون كلامهم بهذا الترتيب وقدموا هارون عليه السلام لأنه أكبر سناً، وقول السيد في شرح المفتاح: إن موسى أكبر من هارون عليهما السلام سهو⁴.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ" بدل مما قبل وإنما أبدلوا لتلا يتوهم أنهم أرادوا فرعون ولم يقتصر على موسى عليه السلام إذ ربما يبقى للتوهم رائحة لأنه كان ربي موسى عليه السلام في صغره، ولذا قدم هارون في محل آخر لأنه أدخل في دفع التوهم أو لأجل الفاصلة أو لأنه أكبر سناً منه، وقدم موسى هنا لشرفه أو للفاصلة، وأما كون الفواصل في كلام الله تعالى لا في كلامهم فقد قيل: إنه لا يضر⁵.

النتيجة: إن الإمام الألوسي ارتفع الإشكال بصورتين: الصورة الأولى: قال الإمام الألوسي: إن اسم موسى عليه السلام مقدم على هارون في سورة ؛ لأنه أشرف من هارون والدعوة والرسالة إنما هي له أولاً وبالذات وظهور المعجزة على يده عليه السلام لرعاية الفواصل، وأما كون الفواصل في كلام الله تعالى لا في كلامهم فقد قيل: إنه لا يضر.

الصورة الثانية: قال الإمام الألوسي: قدم اسم هارون عليه السلام في سورة طه ؛ لأن هارون عليه السلام كان أكبر سناً من موسى عليه السلام.

1 سورة طه: 70.

2 سورة الفرقان: 35.

3 سورة الأعراف: 122.

4 تفسير روح المعاني (541/8-542)

5 تفسير روح المعاني (5/27)

إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيات بمعرفة أصول البلاغة وبيان اختلاف أمكنته وأزمته.

أقوال العلماء:

قال الإمام أبو السعود العمادي¹: "أما رب هارون وموسى، تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية القواصل وقد جوز أن يكون ترتيب كلامهم أيضا هكذا إما لكبر سن هارون عليه الصلاة والسلام"².

قال الإمام الرازي³: "أَمَّا رَبُّ هَارُونَ وَمُوسَى: وهي أن فرعون ادعى الربوبية في قوله: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى⁴، والإلهية في قوله: مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي⁵، فلو أنهم قالوا: آمنا رب العالمين لكان فرعون يقول: إنهم آمنوا بي لا بغيري فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة، والدليل عليه أنهم قدموا ذكر هارون على موسى لأن فرعون كان يدعي ربوبيته لموسى بناء على أنه رباه في قوله: أَلَمْ نُزَيِّكْ فِينَا وَلِيدًا⁶، فالقوم لما احترزوا عن إيهامات فرعون لا جرم قدموا ذكر هارون على موسى قطعاً لهذا الخيال"⁷.

قال الإمام البيضاوي⁸: "قالوا آمنا رب هارون وموسى، قدم هارون لكبر سنه أو لروي الآية، أو لأن فرعون روى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره لربما توهم أن المراد فرعون وذكر هارون على الاستتباع. روي أنهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها"⁹.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لدفع توهم التعارض بين الآيات المذكورة بمعرفة أصول البلاغة واختلاف الأمكنة والأزمنة.

1] سبقت ترجمته

2 تفسير أبي السعود (28/6)

3 سبقت ترجمته

4 سورة النازعات: 24.

5 سورة القصص: 38.

6 سورة الشعراء: 18.

7 تفسير الرازي (76/22)

8 سبقت ترجمته

9 تفسير البيضاوي (33/4)

أصل المسألة:

"إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا¹، إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ²، يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفِّيهِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَافِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ³"

فإن قيل إن الله تعالى "أكاد أخفيها" وكاد من الأفعال المقاربة فعلم حتى الآن ما خفي الله تعالى علم الساعة بالفعل بل يخفيها قريبا ولكن جاء في الآية الآخر عكسهما، فكيف الجمع بين الآيات؟

قال الإمام الألوسي: المراد من قوله تعالى: "أكاد أخفيها" أي أقرب أن أخفي الساعة ولا أظهارها بأن أقول إنما آتية وحاصله أكاد أبلغ في إخفائها فلا أجمل كما لم أفصل، والمقاربة هنا مجاز ويشهد على هذا التفسير قول أبي حيان أو أريد إخفاء وقتها المعين وعدم إظهاره وإلى ذلك ذهب الأخفش وابن الأنباري وأبو مسلم ومن مجيء كاد بمعنى أراد واستشهد على هذا التفسير بقول جني وقال: في المحتسب قوله:

كادت وكدت وتلك خير إرادة ... لو عاد من هو الصباية ما مضى⁴

وروي عن ابن عباس وجعفر الصادق رضي الله تعالى عنهما أن المعنى أكاد أخفيها من نفسي، وهذا محمول على ما جرت به عادة العرب من أن أحدهم إذا أراد المبالغة في كتمان الشيء قال: كدت أخفيه من نفسي ونحو هذا من المبالغة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السبعة الذين يظلهم تحت ظله: ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه⁵.

ولا يجوز أن يكون من الخلق لأنه تعالى أخفاها عنهم لقوله سبحانه: "إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ⁶" فيتعين ما ذكر. وقالت فرقة أخرى: أكاد زائدة لا دخول لها في المعنى بل المراد الإخبار بأن الساعة آتية وإن الله تعالى يخفي

1 سورة طه: 15.

2 سورة لقمان: 34.

3 سورة الأعراف: 187.

4 المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، لأبي الفرج المعافي بن ذكريا بن يحيى المروفي بابن طرار الجريزي النهرواني، ضبطه وصححه: عبد الكريم سامي الجندبي: عدد الأجزاء: 1، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (ص: 19)

5 صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين (436/3)، رقم الحديث: 1423.

6 سورة لقمان: 34.

وقت إتيانها. وروي هذا المعنى عن ابن جبير واستدلوا على زيادة كاد بقوله تعالى: "لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا"¹ ويقول زيد الخليل: سريع إلى الهيجاء شاك سلاحه ... فما أن يكاد قرنه يتنفس². قوله سبحانه: "لَا يُجَلِّيْهَا لِيُؤْتِيَهَا إِلَّا هُوَ" بيان لاستمرار خفائها إلى حين قيامها³.

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية:
الوجه الأول: قال الإمام الألوسي: أكاد أبالغ في إخفائها من نفسي فلا أجمل كما لم أفصل وهذا محمول على ما جرت به عادة العرب كما مر.

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "لَا يُجَلِّيْهَا لِيُؤْتِيَهَا إِلَّا هُوَ" أي بيان لاستمرار خفائها إلى حين قيامها.

الوجه الثالث: قال الإمام الألوسي "أكاد" زائدة لا دخول لها في المعنى بل المراد الإخبار بأن الساعة آتية وإن الله تعالى يخفى وقت إتيانها. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيات بأصول معرفة اللغة وتفسير القرآن بالقرآن.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري⁴: "أي أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي إخفاءها ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به، وقيل: معناه أكاد أخفيها من نفسي، ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف، ومحذوف لا دليل عليه مطروح، والذي غرهم منه أن في مصحف أبي: أكاد أخفيها من نفسي، وفي بعض المصاحف: أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها"⁵.

قال الإمام الرازي⁶: "قوله: إن الساعة آتية أكاد أخفيها¹، معناه: لو أمكنني أن أخفيها عن نفسي لفعلت فكذا هذه الآية، كأنه قيل للعبد: ما تفعله من خير علمته، وأما الذي تفعله من الشر فلو أمكن أن أخفيه عن نفسي لفعلت ذلك"².

1 سورة النور: 40

2 أمالي المرتضي غرر الفوائد و درر القلائد، للشيخ المرتضي علي بن الحسين الموسوي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، عدد الأجزاء: 2، ن: دار الفكر العربي (332/1)

3 انظر: تفسير روح المعاني (24-123/5)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير الزمخشري (56/3)

6 سبقت ترجمته

قال الإمام البيضاوي³: "إن الساعة آتية كائنة لا محالة، أكاد أخفيها، أريد إخفاء وقتها، أو أقرب أن أخفيها فلا أقول إنما آتية ولولا ما في الأخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعداء لما أخبرت به، أو أكاد أظهرها من أخفاه إذا سلب خفاءه، ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه إذا أظهره، لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق ب آتية أو ب أخفيها على المعنى الأخير"⁴.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع الإمام الزمخشري والإمام البيضاوي في أصول اللغة وقد أضاف الأصول الآخر وهو تفسير القرآن بالقرآن.

أصل المسألة: ضموم يد موسى عليه السلام إلى جناح أو جيب؟
 "وَاضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى"⁵، وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ⁶، وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ⁷

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الله تعالى أحكم موسى عليه السلام "واضمم يدك إلى جناحك" و في الآيتين الآخرين "وأدخل يدك في جيبك"، "اسلك يدك في جيبك"، فكيف الموافقة بين الآيات؟
 قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَاضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ" أمر له عليه السلام بعد ما أخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت والضم الجمع، والجناح كما في القاموس اليد والعضد والإبط والجانب ونفس الشيء ويجمع على أجنحة وأجنح، وفي البحر الجناح حقيقة في جناح الطائر والملك ثم توسع فيه فأطلق على اليد والعضد وجنب الرجل.

وقيل: لمجئتي العسكر جناحان على سبيل الاستعارة وسمي جناح الطائر بذلك لأنه يجنحه أي يحمله عند الطيران، والمراد أدخل يدك اليمنى من طوق مدرعتك واجعلها تحت إبط اليسرى أو تحت عضدها عند الإبط أو تحتها عنده فلا منافاة بين ما هنا¹، وقوله تعالى: أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ².

1 سورة طه: 15.

2 تفسير الرازي (320/5)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير البيضاوي (25/4)

5 سورة طه: 22.

6 سورة النمل: 12.

7 سورة القصص: 32.

النتيجة: قال الإمام الألوسي: الجناح حقيقة يستخدم لجناح الطائر والملك ثم جاء التوسع في استعماله فأطلق على اليد والعضد وجنب الرجل فإذا لا تعارض بين الآيات. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بأصول معرفة البلاغة واللغة.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري³: "معنى: وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ، وقوله: اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ، على أحد التفسيرين: والحد، ولكن خولف بين العبارتين، وإنما كثر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين، وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء، وفي الثاني: إخفاء الرهب، قلت: المراد بالجناح المضموم، هو اليد اليمنى، وبالمضموم إليه: اليد اليسرى وكل واحد من معنى اليدين ويسراهما: جناح"⁴.

قال الإمام الرازي⁵: "اعلم أن معنى ضم اليد إلى الجناح ما قال في آية أخرى: وأدخل يدك في جيبك"⁶ "لأنه إذا أدخل يده في جيبه كان قد ضم يده إلى جناحه والله أعلم"⁷.

قال الإمام أبو السعود العمادي⁸: "اسلك يدك في جيبك، أي أدخلها فيه، تخرج بيضاء من غير سوء، أي عيب، واضمم إليك جناحك، أي يديك المبسوطتين لتتقي بمهما الحية كالخائف الفرع بإدخال اليمنى تحت العضد الأيسر واليسرى تحت الأيمن أو بإدخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر هو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة"⁹.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة.

1 انظر: تفسير روح المعاني (494/8)

2 سورة النمل: 12.

3 سبقت ترجمته

4 تفسير الزمخشري (408/3-409)

5 سبقت ترجمته

6 سورة النمل: 12.

7 تفسير الرازي (28/22)

8 سبقت ترجمته

9 تفسير أبي السعود (12/7)

أصل المسألة: إن عقدة موسى عليه السلام حلت بدعائه أم لا؟

"وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي¹، يَفْقَهُوا قَوْلِي²، قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى³، وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْنَا مَعِيَ زِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون⁴، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ⁵."

فإن قيل إن الله تعالى قبل دعاء موسى عليه السلام كما جاء "قد أوتيت سؤلك يا موسى" ولكن الآيتين الآخرين تدلان على أن الله تعالى ما قبل دعاء موسى عليه السلام؛ لأن قال فرعون "و لا يكاد يبين"، فكيف الجمع بين الآيات؟

قال الإمام الألوسي: إن موسى عليه السلام لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل عقدة تمنع الإفهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لِسَانِي ولم يضيفها مع أنه أخصر ولا يصلح ذلك للوصفية إلا بتقدير مضاف وجعل من تبعيضية أي عقدة كائنة من عقد لِسَانِي فإن العقدة للسان لا منه. وجعل قوله تعالى: "يَفْقَهُوا قَوْلِي" جواب الطلب وغرضاً من الدعاء فبحلها في الجملة يتحقق إتياء سؤله عليه السلام.

واعترض على ذلك بأن قوله تعالى "هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي" قال عليه السلام قبل استدعاء الحل على أنه شاهد على عدم بقاء اللكنة لأن فيه دلالة على أن موسى عليه السلام كان فصيحاً غاية أن فصاحة أخيه أكثر وبقية اللكنة تنافي الفصاحة اللغوية المرادة هنا بدلالة قوله لِسَانًا. ويشهد لهذه المنافاة ما قاله ابن هلال في كتاب الصناعتين: الفصاحة تمام آلة البيان ولذا لا يقال لله تعالى: فصيح وإن قيل لكلامه سبحانه فصيح ولذلك لا يسمى الألفغ والتمتام فصيحين لنقصان آلهما عن إقامة الحروف وبأن قوله تعالى "وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ" معناه لا يأتي ببيان وحجة⁶، وقد قال ذلك اللعين تمويهاً ليصرف الوجه عنه عليه السلام.

1 سورة طه: 27.

2 سورة طه: 28.

3 سورة طه: 36.

4 سورة القصص: 34.

5 سورة الزخرف: 52.

6 كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل

إبراهيم، ن: الم

كتبة المصرية، سنة النشر 1406هـ - 1986م، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 1 (ص: 7)

والحاصل أن ما استدل به على بقاء عقدة ما في لسانه عليه السلام وعدم زوالها بالكلية غير تام لكن قال بعضهم: إن الظواهر تقتضي ذلك وهي تكفي في مثل هذه المطالب وثقل ما في اللسان لا يخفف قدر الإنسان¹.

النتيجة: إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيات القرآنية بتوجيهات مختلفة كما يلي:

التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي: إنه عليه السلام لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل عقدة تمنع الإفهام.
التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي إن موسى عليه السلام قال "هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي" قبل استدعاء الحل على أنه شاهد على عدم بقاء اللكنة لأن فيه دلالة على أن موسى عليه السلام كان فصيحاً غاية أنه فصاحة أخيه أكثر وبقية اللكنة تنافي الفصاحة اللغوية المرادة هنا بدلالة قوله لساناً.

التوجيه الثالث: قال الإمام الألوسي قوله تعالى "ولا يكاد يبين" معناه: قال فرعون ذلك اللعين تمويهاً ليصرف الوجه عنه عليه السلام فإذن لا تعارض بين الآيات.

إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بأصول معرفة اللغة والبلاغة.

أقوال العلماء: قال الإمام الزمخشري²: "اختلف في زوال العقدة بكما لها فقليل: ذهب بعضها وبقي بعضها، لقوله تعالى: وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا، وقوله تعالى: وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ، وقيل: زالت بكما لها لقوله تعالى: قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى، وفي تنكير العقدة، وإن لم يقل عقدة لساني: أنه طلب حل بعضها إرادة أن يفهم عنه فهما جيداً، ولم يطلب الفصاحة الكاملة، ومن لساني، صفة للعقدة كأنه قيل: عقدة من عقد لساني"³.

قال الإمام البيضاوي⁴: "اختلف في زوال العقدة بكما لها فمن قال به تمسك بقوله قد أوتيت سؤلك يا موسى، ومن لم يقل احتج بقوله هو أفصح مني لساناً، وقوله ولا يكاد يبين وأجاب عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقاً بل عقدة تمنع الإفهام ولذلك نكرها وجعل يفهموا جواب الأمر، ومن لساني يحتمل أن يكون صفة عقدة وأن يكون صلة أحلل"⁵.

1 تفسير روح المعاني (497/8-499)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير الزمخشري (61/3)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير البيضاوي (197/6)

قال الإمام الرازي¹: "الحق أنه انحل أكثر العقد وبقي منها شيء قليل لقوله: حكاية عن فرعون: أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين²، أي يقارب أن لا يبين وفي ذلك دلالة على أنه كان يبين مع بقاء قدر من الانعقاد في لسانه"³.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد اتفق مع الإمام الرازي لدفع الإشكال المذكور في أصول تفسير القرآن بالقرآن.

أصل المسألة: إن الكفار كم مدة لبثوا في القبر؟

"يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا⁴، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ"⁵

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الكفار يقولون "لبثنا في القبور" فقط عشرة أيام ولكن الآية الأخيرة تدل على "أنهم ما لبثوا غير ساعة"، فكيف الجمع بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "يَتَخَفَتُونَ" أي قائلين ما لبثتم في القبور "إلا عَشْرًا" أي عشر ليال أو عشرة أيام، ولعله أوفق بقول الأمثل. ومرادهم من هذا القول استقصار المدة وسرعة انقضائها والتنديم على ما كانوا يزعمون حيث تبين الأمر على خلاف ما كانوا عليه من إنكار البعث وعده من قبيل المحالات كأنهم قالوا: قد بعثتم وما لبثتم في القبر إلا مدة يسيرة وقد كنتم تزعمون أنكم لن تقوموا منه أبداً، وعن قتادة أنهم عنوا لبثهم في الدنيا وقالوا ذلك استقصاراً لمدة لبثهم فيها لزوالها ولاستطالتهم مدة الآخرة وبأن قوله تعالى: "لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ"⁶ صريح في أنه اللبث في القبور. وفي مجمع البيان عن ابن عباس وقتادة أنهم عنوا لبثهم بين النفختين يلبثون أربعين سنة مرفوعاً عنهم العذاب "نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ" أي بالذي يقولونه وهو مدة لبثهم "إِذْ يَقُولُ أَفْلَهِمْ طَرِيقَةً" أي أعد لهم رأياً وأرجحهم عقلاً وإذ ظرف يقولون "إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا" واحداً وإليه ينتهي العدد في القلة. وقيل: المراد باليوم مطلق الوقت وتنكيره للتقليل والتحقير فالمراد إلا زمناً قليلاً، وظاهر المقابلة

1 سبقت ترجمته

2 سورة الزخرف: 52.

3 تفسير الرازي (44/22)

4 سورة طه: 103.

5 سورة الروم: 55.

6 سورة الروم: 56.

بالعشر يعبده¹. "ما لبثوا" أي ما أقاموا في القبور كما روي عن الكلبي ومقاتل، والمراد به ما أقاموا بعد الموت "غَيْرَ سَاعَةٍ" أي قطعة من الزمان قليلة، وروى غير واحد عن قتادة أنهم يعنون ما لبثوا في الدنيا كذلك وقيل: يعنون ما لبثوا فيما بين فناء الدنيا والبعث وهو ما بين النفختين²، وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "ما بين النفختين أربعون قيل أربعون يوماً يا أبا هريرة قال أبيت قيل أربعون شهراً قال أبيت قيل أربعون سنة قال أبيت"³.

النتيجة: قال الألوسي المراد من العشرة مدة يسيرة أو اليوم مطلق الوقت وتنكيره للتقليل والتحقيق فالمراد إلا زمناً قليلاً، وظاهر المقابلة بالعشر يعبده وأيضاً "غير ساعة" أي قطعة من الزمان قليلة، يعني هنا ليس عدداً مخصوصاً بل يبين مدة الوقت هي مدة يسيرة و زمن قليلة. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بأصول معرفة اللغة وبيان الحديث.

أقوال العلماء: قال الإمام ابن الجوزي⁴: "قوله تعالى: يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ، أي: يسار بعضهم بعضاً، إِنَّ لِبِئْسَ أَهْلًا يَكُونُونَ لِمَا يُبْعَثُونَ، وهذا على طريق التقليل، لا على وجه التحديد،"⁵.

قال الإمام أبو السعود العمادي⁶: "إن لبثتم أي ما لبثتم في الدنيا، إلا عشراً، أي عشر ليال استقصار لمدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطاعتهم مدة الآخرة"⁷.

قال الإمام الزمخشري⁸: "إنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له، أو ينسون أو يكذبون أو يظنون"⁹. خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أضاف الأصول الآخر لدفع الإشكال وهو بيان الحديث.

1 انظر: تفسير روح المعاني (570/8)

2 انظر: تفسير روح المعاني (58/11)

3 صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} (45/12)، رقم الحديث: 4814.

4 سبقت ترجمته

5 زاد المسير (175/3)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير أبي السعود (41/6)

8 سبقت ترجمته

9 تفسير الزمخشري (487/3)

سورة الأنبياء:

أصل المسألة: هل خلق كل شيء من الماء أم لا؟

"أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ¹، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ²"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن كل شيء جعل من الماء ولكن الآية الأخيرة تدل على أن الجان خلق من نار، فكيف الجمع بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي: "وجعلنا من الماء كل شيء حي" معناه: أي خلقنا من الماء كل حيوان أي منتصف بالحياة الحقيقية. ونقل ذلك عن الكلبي. وجماعة ويؤيده قوله تعالى: "وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ"³ ووجه كون الماء مبدأ ومادة للحيوان وتخصيصه بذلك أنه أعظم مواده وفرط احتياجه إليه وانتفاعه به بعينه ولا بد من تخصيص العام لأن الملائكة عليهم السلام وكذا الجن أحياء وليسوا مخلوقين من الماء ولا محتاجين إليه على الصحيح.

وقال قتادة: المعنى خلقنا كل نام من الماء فيدخل النبات ويراد بالحياة النمو أو نحوه، ولعل من زعم أن في النبات حساً وشعوراً أبقى الحياة على ظاهرها، وقال قطرب، وجماعة: المراد بالماء النطفة ولا بد من التخصيص بما سوى الملائكة عليهم السلام والجن أيضاً بل بما سوى ذلك والحيوانات المخلوقة من غير نطفة كأكثر الحشرات الأرضية. ويجوز أن يكون الجعل بمعنى التصيير المتعدي لمفعولين وهما هنا "كُلُّ" و"مِنْ الْمَاءِ" وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به ومن اتصالية كما قيل في قوله صلى الله عليه وسلم: "ما أنا من دد ولا الدد مني"⁴ والمعنى صيرنا كل شيء حي متصلاً بالماء أي مخالطاً له غير منفك عنه، والمراد أنه لا يحيا دونه.

نقل عن تالس الملطي وهو أول من تفلسف بملطية أن أصل الموجودات الماء حيث قال: الماء قابل كل صورة ومنه أبدعت الجواهر كلها من السماء والأرض انتهى⁵.

1 سورة الأنبياء: 30.

2 سورة الرحمن: 15.

3 سورة النور: 45.

4 المعجم الأوسط، باب الألف، من اسمه أحمد (1/132)، رقم الحديث: 413. حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (469/5)

5 تفسير روح المعاني (35/9-36)

قال الإمام الألوسي المراجع من قوله تعالى: "وخلق الجن" أي هو أبو الجن وهو إبليس قاله الحسن، وقال مجاهد: هو أبو الجن وليس بإبليس، وقيل: هو اسم جنس شامل للجن كلهم من مارج من لهب خالص لا دخان فيه ويشهد على هذا التفسير برواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما¹.

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لدفع التعارض بين الآيتين كما يلي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي: وجه كون الماء مبدأ ومادة للحيوان وتخصيصه بذلك أنه أعظم مواده وفرط احتياجه إليه وانتفاعه به بعينه المراد بالماء النطفة ولا بد من التخصيص بما سوى الملائكة عليهم السلام والجن أيضا بل بما سوى ذلك والحيوانات المخلوقة من غير نطفة كأكثر الحشرات الأرضية.

الوجه الثاني: وقال الإمام الألوسي: جعلنا معنى صيرنا، كل شيء حي متصلا بالماء أي مخالطا له غير منفك عنه، والمراد أنه لا يحيا دونه.

الوجه الثالث: ذكر الإمام الألوسي قول ثالث الملطي: الملطي وهو أول من تفلسف بملطية أن أصل الموجودات الماء حيث قال: الماء قابل كل صورة ومنه أبدعت الجواهر كلها من السماء والأرض فإذا لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بأصول العام والخاص وبأصول معرفة كلام العرب.

أقوال العلماء:

قال الإمام الرازي²: "ذكر الإمام الرازي قولين تحت آية، وهو الذي خلق من الماء بشرا³" فقال: أحدهما: أنه الماء الذي خلق منه أصول الحيوان، وهو الذي عناء⁴، بقوله: والله خلق كل دابة من ماء⁵"، والثاني: أن المراد النطفة، لقوله: خلق من ماء دافق⁶، من ماء مهين⁷".

قال الإمام القرطبي¹: "قوله تعالى: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ، ثلاث تأويلات: أحدها: أنه خلق كل شيء من الماء؛ قال قتادة الثاني: حفظ حياة كل شيء بالماء، الثالث: وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي؛ قال قطرب، وَجَعَلْنَا، بمعنى خلقنا²".

1 تفسير روح المعاني (104/14-105)

2 سبقت ترجمته

3 سورة الفرقان: 54.

4 تفسير الرازي (24/475)

5 سورة النور: 45.

6 سورة الطارق: 6.

7 سورة المرسلات: 20.

قال محمد بن أبي بكر الرازي³: "قلنا: المراد به البعض وهو الحيوان كما في قوله تعالى: وأوتيت من كل شيء"⁴، وقوله تعالى: وجاءهم الموج من كل مكان"⁵، ونظائره كثيرة، الثاني: أن الكل مخلوقون من الماء، ولكن البعض بواسطة والبعض بغير واسطة، ولهذا قيل إنه تعالى خلق للملائكة من ريح خلقها من الماء، وخلق الجن من نار خلقها من الماء، وخلق آدم من تراب خلقه من الماء"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألويسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وتفسير القرآن بالقرآن وقد ذكر الأصول الآخر وهو أصول العام والخاص.

أصل المسألة: إن المؤمنين يوردون على جهنم أم لا؟

"إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَى أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ⁷، يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُؤَيَّدُوا إِلَى اللَّهِ تَوْفَىٰ نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاجْعَلْ لَنَا إِنْكَارًا عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ⁸، وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا⁹، رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ¹⁰."

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن المؤمنين مبعدون من الجهنم والآية الثانية تدل على أن الله تعالى لا يخزي النبي ﷺ والمؤمنين ولكن الآية الثالثة تدل على أن كل إنسان يورد في الجهنم والآية الرابعة تدل على أن الناس الذين يدخلون في الجهنم فيكون الخزي لهم ولكن سبق ما يخزي الله تعالى الأنبياء والرسل والمؤمنين، فكيف الجمع بين الآيات؟

1 سبقت ترجمته

2 تفسير القرطبي (285/11)

3 سبقت ترجمته

4 سورة النمل: 23.

5 سورة يونس: 22.

6 مسائل الرازي (228)

7 سورة الأنبياء: 101.

8 سورة التحريم: 8.

9 سورة مريم: 71.

10 سورة آل عمران: 192.

ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لدفع التعارض بين الآيات القرآنية كما يلي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "أولئك عنها مبعدون" أي مبعدون عن عذاب جهنم أو بعلو درجاتهم، وبعد منزلتهم في الشرف والفضل أي أولئك المنعوتون بما ذكر من النعت عنها أي عن جهنم "مُبْعَدُونَ" لأنهم في الجنة وشتان بينها وبين النار¹.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه" رد الإمام الألوسي على المعتزلة على أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن لأنه إذا أدخله الله تعالى النار فقد أخزاه والمؤمن لا يخزي لقوله تعالى: "يَوْمَ لَا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ"² وأجيب بأنه لا يلزم من أن لا يكون من آمن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مخزيا أن لا يكون غيره وهو مؤمن كذلك، وأيضا الآية ليست عامة لقوله تعالى: "وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا"³ فتحمل على من أدخل النار للخلود وهم الكفار، واستشهد الإمام الألوسي على هذا التفسير برواية أنس وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جرير⁴.

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَأِنْ مِنْكُمْ" أي التفات إلى خطاب الإنسان سواء أريد منه العموم أو خصوص الكفرة لإظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام. "وَأِنْ مِنْهُمْ" أي وما منكم أحد "إِلَّا وَارِدُهَا" أي داخلها ويشهد على هذا التفسير قراءة ابن عباس وعكرمة وهذه الآية عام للمسلم والكافر وجماعة كما ذهب إلى ذلك جمع كثير من سلف المفسرين وأهل السنة، وعلى ذلك قوله تعالى: "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ"⁵ وقوله تعالى: في فرعون: "يَقْدُمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَفِى السَّعِيرِ الْمَوْزُودُ"⁶ يقول: "لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين يراد وسلاما كما كانت على إبراهيم عليه السلام حتى إن للنار ضجيجا من يردهم ثم ينجي الله تعالى الذين اتقوا"⁷.

1 انظر: تفسير روح المعاني (92/9)

2 سورة التحريم: 8.

3 سورة مريم: 71.

4 انظر: تفسير روح المعاني (372/2-374)

5 سورة الأنبياء: 98.

6 سورة هود: 9.

7 مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الكثيرين من الصحابة، مسند أحمد جابر بن عبد الله، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ن: مؤسسة الرسالة، الطبعة:

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (238)

ويشهد على هذا التفسير برواية الحسن وقال: ورود المرور عليها من غير دخول، وروي ذلك أيضا عن قتادة وذلك بالمرور على الصراط الموضوع على منها على ما رواه جماعة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وعمر المؤمن ولا يشعر بها ويشهد على هذا التفسير برواية ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحكيم وغيرهم عن خالد بن معدان قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: ربنا ألم تعدنا أن نرد النار قال: بلى ولكنكم مرمم عليها وهي خامدة"¹، ولا ينافي هذا ما أخرجه الترمذي والطبراني وغيرهما عن يعلى بن أمية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "نقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي"²، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد أنه قال في الآية: "ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرها ورود المشركين أن يدخلوها، ولا بد على هذا من ارتكاب عموم المجاز عند من لا يرى جواز استعمال اللفظ في معنيين، وعن مجاهد أن ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا" لما صح من قوله صلى الله عليه وسلم: "الحمى من فيح جهنم"³ ولا يخفى خفاء الاستدلال به على المطلوب⁴.

النتيجة: إن التوجيهات المختلفة لدفع التعارض بين الآيات المذكورة كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: ذكر الإمام الألوسي رحمه الله التوجيهات المختلفة لدفع التعارض في تفسيره كما قال، فتحمل "ربنا إنك من تدخل النار..." على من أدخل النار للخلود وهم الكفار، فمعنى ذلك أن الحزبي لمن يدخل النار و يعذب بعذاب الخلود والآية "يوم لا يحزى الله النبي والذين آمنوا..." محمول على المؤمنين أن المؤمن غير محزى، بهذا التوجيه دفع التعارض بين الآيتين.

الأول، 1421 هـ - 2001 م (396/22)، رقم الحديث: 14520. حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (304/10)

1 مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الزهد، ماجاء في لزوم المسجد (427/19)، رقم الحديث: 36578. حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث صحيح، انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتميز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه (438/8)

2 المعجم الكبير، باب الباء، من اسمه يعلى (258/22)، رقم الحديث: 18520. حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للألباني (421/7)

3 صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأما مخلوقة (314/8)، رقم الحديث: 3261.

4 انظر: تفسير روح المعاني (38-437/8)

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي لو تحمل الآية "ربنا إنك من تدخل النار..." بالعام يعني المؤمن أيضا يكون عذبا كقوله تعالى: في قطاع الطريق: "ذَلِكَ هُمُ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"¹ في ذلك الوقت آية نفي الخزي إنما دلت على نفيه في الآخرة عن المؤمنين مطلقا أو أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وآية القاطع دالة على الخزي في الدنيا ولا يلزم من منافاة الخزي يوم القيامة للإيمان منافاته للإيمان في الدنيا، للمؤمن لا يكون مخلدا في النار بل له الخروج ولو كان من أهل الكبائر، وأجيب أن الآية ليست عامة لقوله تعالى: "وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا"² فتحمل على من أدخل النار للخلود وهم الكفار. وكذلك قال بأن الإخزاء دل على معان متقاربة كالهلاك، والفضخ، والتخجيل، والإهانة وغير ذلك، ففي الآية الأولى دل على تخجيل الكفار وفي الثانية نفي الإهلاك عن المؤمنين وبهذا الوجه الآية الثانية تحمل على هذا المعنى: "يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ" ظرف - ليدخلكم - وتعريف النبي للعهد، والمراد به سيد الأنبياء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، والمراد بنفي الإخزاء إثبات أنواع الكرامة والعز فلا تعارض بينهما. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بأصول المطلق والمقيد بأصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام ابن الجوزي³: "قوله تعالى: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا في الكلام إضمار تقديره: وما منكم أحد إلا وهو واردها، وفيمن غني بهذا الخطاب قولان: أحدهما: أنه عام في حق المؤمن والكافر، هذا قول الأكثرين، وروي عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية للكفار"⁴.

قال الإمام الرازي⁵: "قوله تعالى: لمن يرى أي أنها تظهر إظهارا مكشوفًا لكل ناظر ذي بصر ثم فيه وجهان أحدهما: أنه استعارة في كونه منكشفا ظاهرا كقولهم: تبين الصبح لذي عينين، وعلى هذا التأويل لا يجب أن يراه كل أحد والثاني: أن يكون المراد أنها برزت ليراه كل من له عين وبصر، وهذا يفيد أن كل الناس يرونها من

1 سورة المائدة: 33.

2 سورة مريم: 71.

3 سبقت ترجمته

4 زاد المسير (142/3)

5 سبقت ترجمته

المؤمنين والكفار، إلا أنها مكان الكفار ومأواهم والمؤمنون يمرون عليها، وهذا التأويل متأكد¹ بقوله تعالى: "وإن منكم إلا واردها، إلى قوله: ثم ننجي الذين اتقوا"².

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص وقد أضاف لرفع الإشكال المذكور الأصول الآخر وهو المطلق والمقيد.

أصل المسألة: إن الرسول ﷺ يعلم الساعة أنها قريبة أم بعيدة أم لا؟
 "لَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ"³، أَمَّا اللهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ⁴، اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ⁵، اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
 مُّعْرِضُونَ⁶

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الرسول ﷺ لم يعلم في الساعة أ هي قريبة أم بعيدة، والآية الثانية تدل على أن أتى أمر الله فلا تستعجلوه يعني قريبة، والآية الثالثة أيضا تدل على أن الساعة قريبة والآية الرابعة أيضا تدل على أن حسابهم قريب، فكيف الجمع بين الآيات؟

قال الإمام الألوسي: "وإن أذري" أي ما أدري "أقرب أم بعيد ما تُوعَدُونَ" أي غلبة المسلمين عليكم وظهور الدين أو الحشر مع كونه آتيا لا محالة⁷.

قال الإمام الألوسي المراد بالأمر هنا ما وعد الله تعالى نبيه ﷺ من النصر والظفر على الأعداء والانتقام منهم بالقتل والسبي ونهب الأموال والاستيلاء على المنازل والديار.

وادعى بعضهم عموم الخطاب واستدل بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما نزل قوله تعالى: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ"⁸ قال الكفار فيما بينهم: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى تنظروا ما هو كائن، فلما تأخرت قالوا: ما نرى شيئا فنزلت: "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ"¹ فأشفقوا وانتظروا

1 تفسير الرازي (48/31)

2 سورة مريم: 71-72.

3 سورة الأنبياء: 109.

4 سورة النحل: 1.

5 سورة القمر: 1.

6 سورة الأنبياء: 1.

7 انظر: تفسير روح المعاني (102/9)

8 سورة القمر: 1.

قربها فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمُر الله فوثب رسول الله ﷺ ورفع الناس رؤوسهم فلما نزل "فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ" اطمأنوا ثم قال ﷺ: "بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعيه إن كادت لتسبقني"² المراد بالإتيان هو الإتيان الادعائي لا الحقيقي³.

"اقترب للناس حساهم" معناه: وحاصله أنه تعالى شأنه لبلوغ تأنيه إلى حد الكمال يستقصر للدد الطوال فيكون الحساب قريبا من الناس عند جنباه المتعال وإن كان بينه وبينهم أعوام وأحوال، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: يَزُودُهُ بَعِيداً وَرَأَهُ قَرِيباً⁴ قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "أتى أمر الله الخ" و "افترت الساعة" و "لعل الساعة قريب" وهي قرية بالنسبة إليه تعالى ولكن بعيدة بالنسبة إلى الناس مما لا يتصور التجدد والتفاوت حتما⁵.

النتيجة قال الإمام الألوسي: "وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون" أي غلبة المسلمين عليكم وظهور الدين أو الحشر مع كونه آتيا لا محالة فإذن لا تعارض بين الآيات. إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيات بأصول الخاص والعام واللغة.

أقوال العلماء:

قال الإمام القرطبي⁶: "وإن أدري، إن نافية بمعنى، ما أي وما أدري، أقرب أم بعيد ما توعدون، يعني أجل يوم القيامة لا يدره أحد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب؛ قاله ابن عباس، وقيل: أذنتكم بالحرب ولكني لا أدري متى يؤذن لي في محاربتكم"⁷.

قال الإمام أبو السعود العمادي⁸: "وإن أدري أي ما أدري، أقرب أم بعيد ما توعدون، من غلبة المسلمين وظهور الدين أو الحشر مع كونه آتيا لا محالة"⁹.

1 سورة الأنبياء: 1.

2 صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين (105/8)، رقم الحديث: 6504.

3 انظر: تفسير روح المعاني (335-334/7)

4 سورة المعارج: 6، 7.

5 انظر: تفسير روح المعاني (6-5/9)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير القرطبي (350/11)

8 سبقت ترجمته

9 تفسير أبي السعود (89/6)

قال الإمام الرازي¹: "أما قوله: وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون، ففيه وجهان: أحدهما: أقرب أم بعيد ما توعدون، من يوم القيامة، ومن عذاب الدنيا ثم قيل: نسخه قوله: واقترب الوعد الحق²، يعني منهما، فإن مثل هذا الخير لا يجوز نسخه، وثانيها: المراد أن الذي آذنهم فيه من الحرب لا يدري هو قريب أم بعيد لئلا يقدر أنه يتأخر كأنه تعالى أمره بأن ينذرهم بالجهاد الذي يوحى إليه أن يأتيه من بعد ولم يعرفه الوقت، فلذلك أمره أن يقول: إنه لا يعلم قربه أم بعده، تبين بذلك أن السورة مكية، وكان الأمر بالجهاد بعد الهجرة، وثالثها: أن ما يوعدون به من غلبة المسلمين عليهم كائن لا محالة ولا بد أن يلحقهم بذلك الذل والصغار، وإن كنت لا أدري متى يكون، وذلك لأن الله تعالى لم يطلعني عليه"³.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع الإمام القرطبي وأبي السعود العمادي لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد اتفق في أصول العام والخاص لرفع الإشكال المذكور مع الإمام الرازي.

أصل المسألة: إن الريح كان عاصفة أو رخاء؟

"وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ⁴، فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخَاءً حَيْثُ أَصَابَ⁵"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الريح كان عاصفة ولكن الآية الثانية تدل على أن الريح كان رخاء، فكيف الجمع بين الآيتين المذكورتين؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "عاصفة" أي الريح عاصفة ثم الظاهر أن المراد بالريح هذا العنصر المعروف العام لجميع أصنافه المشهورة، وقيل: المراد بها الصبا. وفي بعض الأخبار ما ظاهره ذلك، فعن مقاتل أنه قال: ترفع لسليمان عليه السلام ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح. وما ذكر من أنه يحمل على البساط هو المشهور ولعل ذلك في بعض الأوقات وإلا فقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد "أنه قال: كان لسليمان عليه السلام مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت يركب معه فيه الجن والإنس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب فإذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به

1 سبقت ترجمته

2 سورة الأنبياء: 97.

3 تفسير الرازي (195/22)

4 سورة (الأنبياء: 81.

5 سورة ص: 36.

فساروا معه فلا يدري القوم إلا وقد أظلمهم منه الجيوش والجنود¹. وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة وأبو جعفر "الرياح" بالجمع قيل: وهو أوفق لما شاع من أن الريح تستعمل في الشر والرياح في الخير، وقد علمت أن ذلك ليس بمطرد، وقوله تعالى: تَجْرِي بِأَمْرِ بِيَانٍ لتسخيرها له عليه السلام أو حال أي جارية بأمره رُخاء أي لينة من الرخاوة لا تحرك لشدها. واستشكل هذا بأنه يناقض قوله تعالى: "وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً"² لوصفها ثمت بالشدة وهنا باللين. وأجيب بأنها كانت في أصل الخلقة شديدة لكنها صارت لسليمان لينة سهلة أو أنها تشتد عند الحمل وتلين عند السير فوصفت باعتبار حالين أو أنها شديدة في نفسها فإذا أراد سليمان عليه السلام لينها لانت على ما يشير إليه قوله تعالى: "بِأَمْرِهِ" أو أنها تلين وتعصف باقتضاء الحال، وقال ابن عباس والحسن والضحاك: رخاء مطيعة لا تخالف إرادته كالمأمور المتقاد، فالمراد بليتها انقيادها له وهو لا يناقض عصفها، واللين يكون بمعنى الإطاعة³.

النتيجة: إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بصورتين: الصورة الأولى: إن "عاصفة" في أصل الخلقة شديدة لكنها لينة سهلة لسليمان عليه السلام. الصورة الثانية: إن كلمة "عاصفة" بمعنى لين والمراد من اللين الإطاعة فإذا لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي خصص المعنى العام بالمعنى الخاص كما مر.

أقوال العلماء: قال الإمام ابن الجوزي⁴: "إن للمفسرين قالوا: كان يأمر العاصف تارةً ويأمر الرُخاء أخرى، وقال ابن قتيبة: كأنها كانت تشتد إذا أراد، وتلين إذا أراد"⁵.

قال الإمام ابن جرير الطبري⁶: "أمر العاصف من الريح، فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته، حتى إذا استقلت أمر الرُخاء"⁷.

قال الإمام الزمخشري¹: "أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها، مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحكم، وقيل كانت في وقت رخاء، وفي وقت عاصفاً، لهُبوبها على حكم إرادته"². خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص.

1 تفسير روح المعاني (74/9-76)

2 سورة الأنبياء: 81.

3 تفسير روح المعاني (12/194)

4 سبق ترجمته

5 زاد المسير (3/576)

6 سبق ترجمته

7 تفسير الطبري (16/331)

المبحث الرابع: من بداية سورة الحج إلى سورة النور

سورة الحج

لم أجد أي تعارض في سورة الحج بضوء تفسير روح المعاني.

سورة المؤمنون

أصل المسألة: هل نسب وتساؤل في يوم القيامة أم لا؟

"فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ³، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ⁴"

فإن قيل إن قوله تعالى: "فإذا نفخ في الصور..." لا نسب ولا تسائل بينهم يومئذ ولكن جاء في الآية الثانية "بعضهم على بعض يتساءلون"، فكيف الجمع بين الآيتين؟

أورد الإمام الألوسي أجوبة مختلفة لحل الإشكال بين الآيتين كما يلي:

وقال: المراد من قوله تعالى "فإذا نُفِخَ فِي الصُّورِ" لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور، حينما جاء أن هذا النفخ عند ذاك "فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ" أي يوم إذ نفخ في الصور كما هي بينهم اليوم، والمراد أنها لا تنفعهم شيئا فهي منزلة منزلة العدم لعظم الهول واشتغال كل بنفسه بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه و يشهد علي هذا التفسير برواية ابن عساكر⁵ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الأولين والآخرين وفي لفظ "يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي مناد ألا إن هذا فلان ابن فلان فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه - وفي لفظ - من كان له مظلمة فليجيء ليأخذ حقه فيفرح والله المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرا ومصدق ذلك في كتاب الله تعالى: "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ" وهذا الأثر يدل على أن هذا الحكم غير خاص بالكفرة بل يعمهم وغيرهم.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الكشاف (130/3)

3 سورة المؤمنون: 101.

4 سورة الصافات: 50.

5 تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ت: عمرو بن غرامة العمروي، ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م، عدد الأجزاء: 80 (74 و 6 مجلدات فهارس) (285/18)

وقيل: إن الحكم خاص بالكفار كما يقتضيه سياق الآية فاندفع التعارض بين الآيتين، لذا لا ينفع نسب يومئذ إلا نسبه صلى الله عليه وسلم ويشهد على هذا التفسير برواية عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي"¹ ثبت بهذا الحديث المذكور بأن الآية "فلا أنساب..." مخصوص بالكفار. ذكر الإمام الألوسي حكم الحديث للرواية المذكورة وقال: "قد أخرج جماعة نحوه عن مسور محزمة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً، وأخرج ابن عساكر نحوه مرفوعاً أيضاً عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وهو خير مقبول لا يكاد يرد إلا من في قلبه شائبة نصب".

"وَلَا يَتَسَاءَلُونَ" أي ولا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله ومن هو ونحو ذلك لاشتغال كل منهم بنفسه عن الالتفات إلى أبناء جنسه. وروى جماعة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن وجه الجمع بين النفي هنا والإثبات في قوله سبحانه: "وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ"² فقال: إن نفي التساؤل في النفخة الأولى حين لا يبقى على وجه الأرض شيء وإثباته في النفخة الثانية، وعلى هذا فالمراد عنده بقوله تعالى: "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ" فإذا نفخ النفخة الأولى وهذه إحدى روايتين عنه رضي الله تعالى عنه، والرواية الثانية حملة على النفخة الثانية، وحينئذ يختار في وجه الجمع أحد الأوجه التي أشرنا إليها³.

النتيجة: أوجه مختلفة لدفع التعارض بين الآيات المذكورة كما ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "فلا أنساب بينهم..." لا تنفعهم شيئاً فهي منزلة منزلة العدم لعظم الهول واشتغال كل بنفسه بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه وهذا الحكم غير خاص بالكفرة بل يعمهم وغيرهم، يعني فلا أنساب في ذلك الوقت ما شاء من المسلم أو الكفار.

الوجه الثاني: قوله تعالى: "فلا أنساب بينهم" هذا الحكم خاص بالكفار كما يقتضيه سياق الآية، وقيل لا ينفع نسب يومئذ إلا نسبه صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثالث: إن نفي التساؤل في النفخة الأولى حين لا يبقى على وجه الأرض شيء وإثباته في النفخة الثانية. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال المذكور بأصول السياق وبيان الحديث وبأصول الأمكنة والأزمنة.

1 المستدرک علی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، ذکر اسلام امیر المؤمنین (3/341)، حکم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزادته (2/832)، رقم الحديث: 4684.

2 سورة الصافات: 27.

3 انظر: تفسير روح المعاني (9/263-265)

أقوال العلماء:

قال الإمام الرازي¹: "فلا أنساب بينهم يومئذ أي: لا يتفخرون بالأنساب ويذكرونها لما هم فيه فلا أنساب بينهم يومئذ أي: لا يتفخرون بالأنساب ويذكرونها لما هم فيه من الحيرة والدهشة ولا يتساءلون أي: لا يسأل بعضهم بعضاً، فإن لم يكن إزاء ذلك شغلاً شاغلاً، ومنه قوله تعالى: يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وقوله: ولا يسئل حميم حميماً، ولا ينافي هذا ما في الآية الأخرى من قوله: وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فإن ذلك معمول على اختلاف المواقف يوم القيامة، فالإثبات باعتبار بعضها، والنفي باعتبار بعض آخر"².

قال الإمام الشوكاني³: "إن ما هنا يكون في موقف والسؤال في موقف آخر من مواقف القيامة. وقيل: إنهم لا يسألون هنا سؤال استفهام عن ذنوبهم، لأن الله سبحانه قد أحصى الأعمال وحفظها على العباد، ولكن يسألون سؤال توبيخ وتقريع، ومثل هذه الآية قوله: ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال أبو العالية: المعنى لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم، وقيل: إن عدم السؤال هو عند البعث، والسؤال هو في موقف الحساب"⁴.

قال الإمام أبو السعود العمادي⁵: "فلا أنساب بينهم، تنفعهم لزوال الزاحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو لا أنساب يفتخرون بها، يومئذ، كما هي بينهم اليوم، ولا يتساءلون أي لا يسأل بعضهم بعضاً لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لأن هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اختلاف الأمكنة والأزمنة وقد أضاف الأخرى وهو أصول السياق وبيان الحديث.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الرازي (590/3)

3 سبقت ترجمته

4 فتح القدير (166/5)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير أبي السعود (151/6)

سورة النور

أصل المسألة: إن النكاح العاقي يجوز مع الزانية أم لا؟

"الرَّائِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ¹، وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ²، وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَفْعِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ أَلَّا تَعْمَلُوا³"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن النكاح العاقي لا يجوز مع الزانية والنكاح العاقي لا يجوز مع الزاني ولكن جاء في آيات أخرى مطلقا نكاح العاقي صحيح مع الزانية ونكاح العاقي صحيح مع الزاني قوله تعالى: "وأنكحوا الأيامى منكم..."، و "فانكحوا ما طاب لكم من النساء..." فكيف يرفع التعارض بين الآيات المذكورة؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "الرَّائِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً" أي تقبيح لأمر الزاني أشد تقبيح بيان أنه بعد أن رضي بالزنا لا يليق به أن ينكح العفيفة المؤمنة فينبهما. أورد الإمام الألوسي سبب نزول الآية برواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: "كان رجل يقال له مرثد يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت امرأة بغية بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له وأنه وعد رجلا من أسارى مكة بحمله قال فجنحت حتى انتهت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط فلما انتهت إلى غرفتي فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد فقالت: مرحبا وأهلا هلم فبت عندنا الليلة قلت: يا عناق حرم الله تعالى الزنا قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم قال فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة فأنتهت إلى غار أو كهف فدخلت فجاءوا حتى قاموا على رأسي فطل بولهم على رأسي وعماهم الله تعالى عني ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته حتى قدمت المدينة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله أنكح عناق؟ فأمسك فلم يرد علي شيئا حتى نزل "الرَّائِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً" الآية فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: يا مرثد "الرَّائِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" فلا تنكحها⁴.

1 سورة النور:3.

2 سورة النور:32.

3 سورة النساء:3.

4 صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب البكران يجلدان وينفيان (171/8)، رقم الحديث: 6831.

قال الإمام الألوسي إن التوجيهات مختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية:
الوجه الأول: قال الإمام الألوسي: إنه أحسن الوجوه في الآية أن قوله سبحانه: "الزَّانِي لَا يَنْكِحُ" إلخ حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا وذلك أن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والتفحّب لا يرغب غالبا في نكاح الصالح من النساء اللاتي على خلاف صفته وإنما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصالحاء من الرجال وينفرون عنها وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة والمشرّكين¹.

الوجه الثاني: إن الآية في قوم مخصوصين كانوا يزنون في جاهليتهم ببيغايا مشهورات فلما جاء الإسلام وأسلموا لم يمكنهم الزنا فأرادوا لفقرهم زواج أولئك النسوة إذ كان من عادتهن الإنفاق على من تزوجهن فنزلت الآية لذلك، ويشهد على هذا التفسير برواية ابن عباس و ابن عمر و أصحابه

الوجه الثالث: قال الإمام الألوسي: إن الحكم عاما في الزناة أن لا يتزوج أحدهم إلا زانية ثم جاءت الرخصة ونسخ ذلك بقوله تعالى: "وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ"² وقوله سبحانه: "فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ"³ ويشهد على هذا التفسير برواية ابن المسيب و مجاهد، وإلى ذلك ذهب الإمام الشافعي⁴.

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي توجيهات مختلفة لدفع التعارض بين الآيات القرآنية كما يلي:

التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ" إلخ كان خاصا مع قوم مخصوص. **التوجيه الثاني:** قال الإمام الألوسي إن ميلان الصحابة للفقر إلى نساء الكنايات و يكتسبن في أنفسهن فيصلح لنا أن نتزوج منهن إشارة إليه... منع الله تعالى نكاح العاني مع الزانية وعكسها.

التوجيه الثالث: قال الإمام الألوسي: إن الحكم كان عاما في الزناة أن لا يتزوج أحدهم إلا زانية ثم جاءت الرخصة ونسخ ذلك بقوله تعالى: "وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ"⁵ وقوله سبحانه: "فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ"⁶ إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيات ببيان الحديث وبأصول النسخ والعام والخاص.

1 انظر: تفسير روح المعاني (282/9-283)

2 سورة النور: 32.

3 سورة النساء: 3.

4 انظر: تفسير روح المعاني (282/9-286)

5 سورة النور: 32.

6 سورة النساء: 3.

أقوال العلماء:

قال الإمام أبو بكر الجصاص¹: "عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، قد نسختها الآية التي بعدها، وأنكحوا الأيامى منكم، عن ابن عباس قال يعني بالنكاح جماعها وروى ابن شبرمة عن عكرمة: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، قال لا يزني حين يزني إلا بزانية مثله، وفقهاء الأمصار متفقون على جواز النكاح وأن الزنا لا يوجب تحريمها على الزوج"².

قال الإمام البيضاوي³: "لكن المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهن"⁴.

قال الإمام أبو جعفر الطبري⁵: "وأنكحوا الأيامى"⁶، منكم فهن من أيامى المسلمين، قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني بالنكاح في هذا الموضع الوط، لم يعن بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات"⁷.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع الإمام أبو بكر الجصاص لحل الإشكال المذكور في أصول النسخ وقد اتفق مع الإمام البيضاوي والإمام الطبري لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أضاف الأصول الآخر وهو العام والخاص.

1 هو حمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص، ولادته ووفاته (305 - 370 هـ) فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها. انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخطب في أن يلي القضاء فامتنع. أنظر: تاج التراجم، لأبي الفداء زين الدين قُطْلُوبغا السوداني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيوخوني) الجمالي الحنفي، ت: محمد خير رمضان يوسف، ن: دار القلم - دمشق، ط: أولى، 1413 هـ - 1992م (ص: 96)

2 أحكام القرآن، لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، ت: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة للمصاحف بالأزهر الشريف، ن: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: 1405 هـ. (107/5-108)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير البيضاوي (99/4)

5 سبقت ترجمته

6 سورة النور: 32.

7 تفسير الطبري (160/17)

أصل المسألة: إن الأعضاء التي تشهد في يوم القيامة أم لا؟

"يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ¹، الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ²"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن يشهد الأعضاء عليهم في يوم القيامة ولكن جاء في الآية الأخير قوله تعالى "اليوم نختم على أفواههم..."، فكيف التوافق بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله عز وجل: "يَوْمَ تَشْهَدُ" إلخ أي شهادة الجوارح المذكورة بما أنه عز وجل ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها لا أن كلا منها يخبر بجنايتهن المعهودة فحسب. ولا يخفى أن الظاهر بقاء الشهادة على حقيقتها إلا أنه استشكل ذلك بأنه حينئذ يلزم التعارض بين ما هنا وقوله تعالى في سورة يس: "الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ³" لأن الختم على الأفواه ينافي شهادة الألسن.

وأجيب بأن المراد من الختم على الأفواه منعهم عن التكلم بالألسنة التي فيها وذلك لا ينافي الألسنة نفسها الذي هو المراد من الشهادة كما أشرنا إليها فإن الألسنة في الأول آلة للفعل وفي الثاني فاعلة له فيجتمع الختم على الأفواه وشهادة الألسن بأن يمنعوا عن التكلم بالألسنة وتجعل الألسنة نفسها ناطقة متكلمة.

وللمعتزلة في ذلك كلام، وقيل في التوفيق يجوز أن يكون كل من الختم والشهادة في موطن وحال، وأن يكون الشهادة في حق الرامين والختم في حق الكفرة⁴.

"الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ" كناية عن منعهم من التكلم، ولا مانع من أن يكون هناك ختم على أفواههم حقيقة. أما في مقام واحد من مقامات يوم القيامة أو في مقامين، وليس في كل من الآيتين ما يدل على الحصر ونفي شهادة غير ما ذكر من الأعضاء فلا منافاة بينهما وبين⁵ قوله تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ⁶"، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري من حديث "يدعي الكافر والمتناق لل حساب فيعرض ربه عليه عمله فيجحد ويقول أي رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك

1 سورة النور: 24.

2 سورة يس: 65.

3 سورة يس: 65.

4 انظر: تفسير روح المعاني (324/9-326)

5 انظر: تفسير روح المعاني (308/10)

6 سورة فصلت: 20.

ما لم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته فإذا فعل ذلك ختم علي فيه فلإني أحسب أول ما تنطق منه فخذة اليمنى ثم تلا اليوم نختم على أفواههم الآية¹ وفي حديث أخرجه مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً "إنه يلقي العبد ربه فيقول الله تعالى له أي فل ألم أكرمك إلى أن قال صلى الله عليه وسلم فيقول آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدق وتبني بخير ما استطاع فيقول: ألا نبعث شاهدنا عليك فيفكر في نفسه من الذي يشهد علي فيختم علي فيه ويقال لفلخذ انطقي فتتطرق فخذة ولحمه وعظامه بعمله². وفي بعض الأخبار ما يدل على أن العبد يطلب شاهداً منه فيختم علي فيه، أخرج مسلم عن أنس في قوله تعالى: "الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ" قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه قال: أتدرون مم ضحكتم؟ قلنا: لا يا رسول الله قال: من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى فيقول: إني لا أجيز علي إلا شاهداً مني فيقول كفى بنفسك عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً فيختم علي فيه ويقال لأركانها انطقي فتتطرق بأعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل³

النتيجة: التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي: إن الآية الأولى متصلة بالمسلمين والآية الثانية مع الكافرين.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي: مقامات عديدة للقيامة، واحد منها تكون الكيفية كما جاء في الآية الأولى و منها تكون الكيفية بمكان آخر يكون مختلفاً من الأولى.

التوجيه الثالث: قال الإمام الألوسي من الممكنات أن الناس ينقسم بقسمين، الأول: بعض الناس لا ينكرون في يوم القيامة حين يشاهدون أعمالهم، وبعض الناس ينكرون حين يشاهدون أعمالهم، ثم يختم الله تعالى علي ألسنتهم ويشهد أعضاءهم على أعمالهم. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بأصول العام والخاص واختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال الإمام ابن الجوزي⁴: "قوله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَهُوَ لاء غير الذين يختم على أفواههم"¹.

1 تفسير ابن أبي حاتم (3199/10)، تفسير الطبري (473/19)

2 صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين (2279/4)، رقم الحديث: 2968.

3 صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين (2280/4)، رقم الحديث: 2969.

4 سبق ترجمته

قال الإمام أبو جعفر الطبري²: "فإن قال قائل: وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم؟ قيل: عني بذلك أن السنة بعضهم تشهد على بعض، لا أن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه"³.

قال الإمام القرطبي⁴: "والمعنى: يوم تشهد السنة بعضهم على بعض بما كانوا يعملون من القذف والبهتان. وقيل: تشهد عليهم ألسنتهم ذلك اليوم بما تكلموا به. (وَأُيَدِّيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ) أي وتكلم الجوارح بما عملوا في الدنيا"⁵.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص وقد أضاف الأصول الآخر وهو بيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

1 زاد المسير (287/3)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير الطبري (230/17)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير القرطبي (210/12)

المبحث الخامس: من بداية سورة الفرقان إلى آخر سورة الروم

سورة الفرقان:

سورة الشعراء: لم أجد أي تعارض في سورة الفرقان وسورة الشعراء بضوء تفسير روح المعاني.

سورة النمل

أصل المسألة: إن الله تعالى زين الأعمال للناس أو الشيطان؟

"إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ"¹، وَإِذْ زَيَّنَّا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفَتَنَآءُ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَزِيءٌ لَا تَرَوُنَّ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ"²

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الله تعالى زين لهم أعمالهم ولكن الآية الأخير تدل على أن الشيطان زين لهم أعمالهم، فكيف التوافق بين الآيتين؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ" أي القبيحة بما ركبنا فيهم من الشهوات والأمانى حتى رأوها حسنة "فَهُمْ يَعْمَهُونَ" يتحيرون ويترددون والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها. إن الله تعالى زين لهم الأعمال الحسنة في البداية ولكن لم يتبعوا أحكام الله تعالى بل يميلوا إلى الكفر والشرك والشهوات، فسلط الله تعالى عليهم الشهوات والأمانى في قلوبهم حتى رأوها حسنة و صاروا من المترددين. ونسبة التزيين إليه عز وجل عند الجماعة حقيقة وكذا التزيين نفسه.

والمصحيح لهذا الجواز إمهاله تعالى الشيطان وتخليته حتى يزين لهم. والداعي له إلى أحد الأمرين إيجاب رعاية الأصلح عليه عز وجل. ونسب إلى الحسن أن المراد بالأعمال الحسنة وتزيينها بيان حسناتها في أنفسها جالا واستتباعها لفنون المنافع مالا أي زيننا لهم الأعمال الحسنة فهم يترددون في الضلال والإعراض عنها.

والغناء عليه لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك: وعظته فلم يتعظ، وفيه إيذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم الأمور، وتعقب هذا القول بأن التزيين قد ورد غالبا في غير الخير نحو قوله تعالى: "زَيَّنَّا لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ"³، زَيَّنَّا لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا¹، زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ² إلخ ووروده في الخير قليل

¹ سورة النمل: 4.

² سورة الأنفال: 48.

³ سورة آل عمران: 14.

نحو قوله تعالى: "حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ"³ ويعد حمل الأعمال على الأعمال الحسنة إضافتها إلى ضميرهم وهم لم يعملوا حسنة أصلاً. وكون إضافتها إلى ذلك باعتبار أمرهم بها، وإيجابها عليهم لا يدفع البعد⁴.
النتيجة: قال الإمام الألوسي إن الله تعالى زين لهم الأعمال الحسنة ولكن لم يميلوا إليها بل ذهبوا إلى الكفر والشرك والشهوات واستمروا على الأعمال المذكورة بحيث لا يتوقع منهم الإيمان ساعة فساعة أمانة لرقم الشقاء عليهم في الأزل والختم على قلوبهم وأنه تعالى زين لهم سوء أعمالهم فهم لذلك في تيه الضلال يترددون وفي بيداء الكفر يعمهون فإذا لا تعارض بين الآيتين.

قال الإمام الألوسي نسبة التزيين إلى الله تعالى حقيقة والمصحح لهذا المجاز إمهاله تعالى الشيطان وتخليته حتى يزين لهم. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بأصول العام والخاص واللغة و ببيان تفسير القرآن بالقرآن .

أقوال العلماء:

قال الإمام القرطبي⁵: "زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ، قيل: أعمالهم السيئة حتى رأوها حسنة، وقيل: زيننا لهم أعمالهم الحسنة فلم يعملوها، وقال الزجاج: جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زيننا لهم ما هم فيه"⁶.
قال الإمام الزمخشري⁷: "زَيَّنَ لِلْكَافِرِينَ أَى زينه الشيطان، أو الله عزّ وعلا على قوله: زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ، وزين، على البناء للفاعل وهو الشيطان، أو الله عز وجل، وكلاهما جاء في القرآن: وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ، زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ"⁸.

قال الإمام الرازي⁹: "تأولوا قوله تعالى: زيننا لهم أعمالهم فهم يعمهون"¹⁰، على أنه تعالى زين لهم النعمة ونقضوا بذلك ما في القرآن كقوله تعالى: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم¹، وما كنا مهلكي القرى إلا

¹ سورة البقرة: 212.

² سورة الأنعام: 137.

³ سورة الحجرات: 7.

⁴ انظر: تفسير روح المعاني (153/10-155)

⁵ سبقت ترجمته

⁶ تفسير القرطبي (155/13)

⁷ سبقت ترجمته

⁸ تفسير الكشاف (63/2، 337/4)

⁹ سبقت ترجمته

¹⁰ سورة النمل: 4.

وأهلها ظالمون²، والمراد من التزيين هو أنه يخلق في قلبه العلم بما فيه من المنافع واللذات ولا يخلق في قلبه العلم بما فيه من المضار والآفات³.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد اتفق مع الإمام الرازي في أصول تفسير القرآن بالقرآن لرفع الإشكال المذكور وقد أضاف الأصول الآخر وهو العام والخاص.

سورة القصص

أصل المسألة: إن الله تعالى يهدي فقط أو رسله أيضا يهدي؟

"إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"⁴، وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"⁵

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الله تعالى يهدي فقط ولكن الآية الأخيرة تدل على أن النبي ﷺ أيضا يهدي، فكيف التوفيق بين الآيتين؟

يجيب الإمام الألوسي لدفع التعارض المذكورة وقال: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي" هداية موصلة إلى البغية لا محالة، وغيرهم ولا تقدر أن تدخله في الإسلام وإن بذلت فيه غاية الجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود. قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ" أي القدرة وهي صفة الله تعالى و أنه تعالى يهدي من يشاء بقدرته ولذا قيل: المعنى إنك لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله تعالى يقدر على أن يدخل من يشاء إدخاله وهو الذي علم سبحانه أنه غير مطبوع على قلبه، وللبحث فيه مجال⁶.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ لَا تَهْدِي الْخ" تدل على نفي القدرة يعني قال الله تعالى للرسول ﷺ إن عليك البلاغ لا الهداية.

¹ سورة الرعد: 11.

² سورة القصص: 59.

³ تفسير الرازي (7/144، 24/542)

⁴ سورة القصص: 56.

⁵ سورة الشورى: 52.

⁶ انظر: تفسير روح المعاني (15/368-269)

وزعم بعضهم أن المراد أن عليك البلاغ لا الهداية، فمن قضيت عليه بالكفر والوفاة عليه لا يهتدي أبداً¹. قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "إنك لتهدي إلى صراط مستقيم" أي إراء الطريق². النتيجة: قال الإمام الألوسي إن الآية الأولى تدل على نفي القدرة وهي صفة الله تعالى فإذا لا تعارض بين الآيتين. قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "إنك لتهدي إلى صراط مستقيم" أي إراء الطريق يعني قال الله تعالى للرسول ﷺ عليك البلاغ فقط و أنت لا تقدر أن تدخله في الإسلام وصفة القدرة مخصوصة بالله تعالى. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بأصول العام والخاص وبأصول معرفة اللغة.

أقوال العلماء:

قال الإمام راجب الأصفهاني³: "كل هداية نفاها الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن البشر، وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق، وذلك كإعطاء العقل، والتوفيق، وإدخال الجنة⁴، كقوله عز ذكره: "لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ"⁵. قال الإمام ابن الجوزي⁶: "وَأَنَّكَ لَتَهْدِي أَي: لَتَدْعُو"⁷ وافق الإمام الرازي⁸ والإمام القرطبي⁹ مع الإمام ابن الجوزي.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أضاف الأصول الآخر وهو العام والخاص.

1 انظر: تفسير روح المعاني (364/3-365)

2 انظر تفسير روح المعاني (94/1)

3 سبق ترجمته

4 للمفردات في غريب القرآن (ص: 836)

⁵ سورة البقرة: 272.

6 سبق ترجمته

7 زاد المسير (71/4)

8 تفسير الرازي (372/2)

9 تفسير القرطبي (60-20/16)

سورة العنكبوت:

أصل المسألة: نظرية القتال والتحريق لإبراهيم عليه السلام
 "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"¹،
 قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ"²

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على قتال و تحريق إبراهيم عليه السلام ولكن الآية الثانية تدل على تحريقه عليه السلام فقط، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين ؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً شافياً لدفع التعارض وقال: جاء هنا الترديد بين قتله عليه السلام وإحرقه فقد يكون ذلك من قائلين ناس أشاروا بالقتل وناس بالإحراق، وفي اقتراب قالوا حرقوه اقتصرنا على أحد الشيئين وهو الذي فعلوه رموه عليه السلام في النار ولم يقتلوه ثم إنه ليس المراد أنهم لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حججه عليه السلام إلا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم، بل إن ذلك هو الذي استقر عليه جواهرهم بعد التتبع والتي في المرة الأخيرة، وإلا فقد صدر عنهم من الخرافات والأباطيل ما لا يحصى فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ³.
 النتيجة: قال الإمام الألوسي المراد من الآية الأولى المشاورة والآية الثانية على اتفاق أحراقهم فإذا لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي اندفع الإشكال بين الآيتين ببيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال الإمام أبو جعفر الطبري⁴: "قال بعضهم لبعض: اقتلوه أو حرقوه بالنار، ففعلوا، فأرادوا إحراقه بالنار، فأضرموا له النار، فألقوه فيها، فأنجاه الله منها، ولم يسلطها عليه، بل جعلها عليه برداً وسلاماً"⁵.
 قال الإمام ابن الجوزي⁶: "فقالوا: حَرِّقُوهُ، وذكر في التفسير أن عمرو استشارهم، بأيّ عذاب أعذبه، فقال رجل: حَرِّقُوهُ"⁷.

¹ سورة العنكبوت:24.

² سورة الأنبياء:68.

³ انظر: تفسير روح المعاني (354/10)

⁴ سبق ترجمته

⁵ تفسير الطبري (380/18)

⁶ سبق ترجمته

⁷ زاد المسير (199/3)

قال الإمام القرطبي¹: "فما كان جواب قومه، حين دعاهم إلى الله تعالى، إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه، ثم اتفقوا على تحريفه"².

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اختلاف الأمكنة والأزمنة.

سورة الروم: لم أجد أي تعارض في سورة الروم بضوء تفسير روح المعاني.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير القرطبي (338/13)

الفصل الثاني: من بداية سورة لقمان إلى آخر سورة الناس:

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: من بداية سورة لقمان إلى آخر سورة الزمر.

المبحث الثاني: من بداية سورة غافر إلى آخر سورة الأحقاف.

المبحث الثالث: من بداية سورة محمد إلى آخر سورة الحجرات.

المبحث الرابع: من بداية سورة ق إلى آخر سورة الواقعة.

المبحث الخامس: من بداية سورة الحديد إلى آخر سورة التحريم.

المبحث السادس: من بداية سورة الملك إلى آخر سورة الناس.

المبحث الأول: من بداية سورة لقمان إلى آخر سورة الزمر

سورة لقمان: لم أجد أي تعارض في سورة لقمان بضوء تفسير روح المعاني.

سورة السجدة

أصل المسألة: إن مقدار العروج ألف سنة أو خمسين ألف سنة؟

"يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ¹، تَفْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ²"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن مقدار العروج "ألف سنة" و لكن الآية الثانية تدل على أن مقداره "خمسين ألف سنة"، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً كاملاً في تفسيره حيث قال: "في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ" أي في برهة متطاولة من الزمان فليس المراد حقيقة العدد، وعبر عن المدة المتطاولة بالآلف لأنها منتهى المراتب وأقصى الغايات وليس مرتبة فوقها إلا ما يتفرع منها من أعداد مراتبها

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف، والحاكم وصححه عن عبد الله بن أبي مليكة قال: "دخلت على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فسأله عن قوله تعالى: "يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ" فكان ابن عباس اتهمه فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ فقال: إنما سألتك لتخبرني فقال رضي الله تعالى عنه: ها يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه الله تعالى أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم فضرب الدهر من ضرباته حتى جلست إلى ابن المسيب فسأله عنهما إنسان فلم يخبر ولم يدر فقلت: ألا أخبرك بما سمعت من ابن عباس؟ قال: بلى أخبرته فقال للسائل: هذا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أبي أن يقول فيهما وهو أعلم مني³.

1 سورة السجدة:5.

2 سورة المعارج:4.

3 المستدرک علی الصحیحین، کتاب العلم، (652/4)، رقم الحديث: 8803. حكم الحديث: قال الإمام الذهبي هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه (التعليق - من تلخيص الذهبي)، انظر: (652/4)

ذكر الإمام الألويسي موقف المتصوفة وقال: بعض المتصوفة يسمون اليوم المقدر بألف سنة باليوم الربوي واليوم المقدر بخمسين ألف سنة باليوم الإلهي، ومحبي الدين قدس سره يسمي الأول يوم الرب والثاني يوم المعارج¹. وقوله تعالى: "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ" أي من سنينكم الظاهر تعلقه بتعرج، واليوم بمعنى الوقت والمراد به مقدار ما يقوم الناس فيه لرب العالمين إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار من اليوم الآخر والذي لا نهاية له. ويشير إلى هذا ما أخرج ابن حبان² عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام: "والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة مكتوبة يصليها في الدنيا". واختلف في المراد بهذا التقدير على هذا الوجه فقليل الإشارة إلى استطالة ذلك اليوم لشدة لا أنه بهذا المقدار من العدد حقيقة وروي هذا عن ابن عباس والعرب تصف أوقات الشدة والحزن بالطول وأوقات الرخاء والفرح بالقصر ومن ذلك قول الشاعر: من قصر الليل إذا زرتني ... أشكو وتشكين من الطول³ وقوله: ليلي وليلى نفى نومي اختلافهما ... بالطول والطول يا طوبى لو اعتدلا⁴ يوجد بالطول ليلي كلما بخلت ... بالطول ليلي وإن جادت به بخلًا^{5, 6}.

النتيجة: إن التوجيهات مختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيتين حيث ذكر الإمام الألويسي: التوجيه الأول: قال الإمام الألويسي: المراد من "ألف سنة"، و "خمس ألف سنة" المدة الطويلة فليس المراد حقيقة العدد و مثل الكلام المذكور كان عاما عند العرب كما استشهد الإمام الألويسي بكلام الشعراء.

1 تفسير روح المعاني (11/118-120)

2 صحيح ابن حبان، كتاب إخباره رحمته عن مناقب الصحابة رضي الله عنهم، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عن البعث و أحوال الناس في ذلك اليوم (44/8)، رقم الحديث: 7334. حكم الحديث: هذا حديث ضعيف (التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه (1544/3)

3 نفحة الريحانة وورشة طلاء الحانة. موافقا للمطبوع، محمد بن أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحمي، ن: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1426 هـ - 2005 م، ط: أولى، ت: أحمد عناية، عدد الأجزاء / 6 (84/4)

4 الكشكول. موافقا للمطبوع، لشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، ن: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1418 هـ - 1998 م، ط: الأولى، ت: محمد عبد الكريم النمرى، عدد الأجزاء / 2 (283/2)

5 الكشكول، لشيخ بهاء الدين (283/2)

6 تفسير روح المعاني (15/64)

التوجيه الثاني: ذكر الإمام الألويسي قول ابن عباس لدفع التعارض بين الآيتين و قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه الله تعالى أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم.

التوجيه الثالث: ذكر الإمام الألويسي موقف الصوفياء وقال: بعض المتصوفة يسمون اليوم المقدر بألف سنة باليوم الربوبي واليوم المقدر بخمسين ألف سنة باليوم الإلهي، وعيى الدين قدس سره يسمى الأول يوم الرب والثاني يوم المعارج. إن الإمام الألويسي دفع التعارض بين الآيتين بأصول معرفة اللغة والتفسير الإشاري وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال الإمام القرطبي¹: "فأما قوله تعالى: فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فمشكل مع آية، ألف سنة، وقد سأل عبدالله بن فيروز الديلمي عبدالله بن عباس عن هذه الآية وعن قوله: فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فقال: أيام سماها سبحانه، وما أدري ما هي؟ فأكره أن أقول فيها ما لا أعلم، وقيل: إن يوم القيامة فيه أيام؛ فمنه ما مقداره ألف سنة ومنه ما مقداره خمسون ألف سنة، وقيل: أوقات القيامة مختلفة، فيقذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة، ثم ينتقل إلى جنس آخر مدته خمسون ألف سنة، وقيل: مواقف القيامة خمسون موقفا؛ كل موقف ألف سنة"².

قال الإمام أبو السعود العمادي³: "في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون أي في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدثها من الزمان"⁴.

قال الإمام البيضاوي⁵: "المراد به يوم القيامة واستطالته إما لشدة على الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألويسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول الأمكنة والأزمنة وقد أضاف الأصول الأخرى وهو اللغة والتفسير الإشاري.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير القرطبي (87/14)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير أبي السعود (80/7)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير البيضاوي (244/5)

اصل المسألة: إن الله تعالى يتوفى أو ملك؟

"قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ¹، اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ²"

فإن قيل إن نسبة التوفى في الآية الأولى ينسب إلى ملك الموت ولكن ينسبه في الآية الثانية إلى الله تعالى، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين؟

ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لدفع التعارض بين الآيتين كما يلي:

قال الإمام الألوسي: نسبة التوفى إلى ملك الموت باعتبار أنه عليه الصلاة والسلام يباشر قبض الأنفس بأمره عز وجل كما يشير إلى قوله سبحانه: "الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ" أي بقبض أنفسكم ومعرفة انتهاء آجالكم.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله تعالى عنهما قال: دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رجل من الأنصار يعودُه فإذا ملك الموت عليه السلام عند رأسه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن فقال: أبشر يا محمد فإني بكل مؤمن رفيق واعلم يا محمد أني لأقبض روح ابن آدم فيصرح أهله فأقوم في جانب من الدار فأقول والله ما لي من ذنب وإن لي لعودة وعودة الحذر الحذر وما خلق الله تعالى من أهل بيت ولا مدر ولا شعر ولا وبر في بر ولا بحر إلّا وأنا أتصفحهم فيه كل يوم وليلة خمس مرات حتى أني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد إني لا أقدر أقبض روح بعوضة حتى يكون الله تبارك وتعالى الذي يأمر بقبضه³.

ونسبته إليه عز وجل في قوله سبحانه: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ"⁴ باعتبار أن أفعال العباد كلها مخلوطة له جل وعلا لا مدخل للعباد فيها بسوى الكسب كما يقوله الأشاعرة أو باعتبار أن ذلك بإذنه تعالى ومشيتته جل شأنه

1 سورة السجدة: 11.

2 سورة الزمر: 42.

3 العظمة، ، لأبي محمد عبد الله المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، باب الأمر بالتفكر في آيات الله عز وجل وقدرته وملكه وسلطانه وعظمته ووحدانيته، صفة ملك الموت عليه السلام وعظم خلقه وقوته، ت: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ن: دار العاصمة - الرياض، ط: الأولى، 1408، عدد الأجزاء: 5 (937/3)، رقم الحديث: 473. حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث موضوع، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (922/13)

4 سورة الزمر: 42.

ونسبته إلى الرسل في قوله تعالى: "تَوَفَّنَهُ رُسُلُنَا"¹ وإلى الملائكة في قوله سبحانه: "الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ"² لما أن ملك الموت لا يستقل به بل له أعوان كما جاء في الآثار يعالجون نزع الروح حتى إذا قرب خروجها قبضها ملك الموت، وقيل: المراد بملك الموت الجنس، وقال بعضهم: إن بعض الناس يتوفاهم ملك الموت وبعضهم يتوفاهم الله عز وجل بنفسه، أخرج ابن ماجه عن أبي أمامة قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى وكل ملك الموت عليه السلام بقبض الأرواح إلا شهداء البحر فإنه سبحانه يتولى قبض أرواحهم"³.

النتيجة: التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي: إن نسبة التوفي إلى الملك مجازاً إلى الله تعالى مبني على حقيقتها؛ لأن ملك الموت لا يقبض الروح بدون إذن الله تعالى.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي إن بعض الناس يتوفاهم ملك الموت وبعضهم يتوفاهم الله عز وجل بنفسه، ويشهد على هذا التفسير حديث النبي ﷺ.

إن الإمام الألوسي دفع الإشكال ببيان معرفة الحديث و بأصول العام والخاص وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة. أقوال العلماء:

قال الإمام القرطبي⁴: "خلق الله تعالى ملك الموت وخلق على يديه قبض الأرواح واستلاها من الأجسام وإخراجها منها وخلق الله تعالى جنداً يكونون معه يعملون عمله بأمره فقال تعالى: ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة وقال تعالى: توفته رسولنا والبارئ خالق الكل الفاعل حقيقة لكل فعل قال الله تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الذي خلق الموت والحياة يحيي ويميت فملك الموت يقبض والأعوان يعالجون والله تعالى يزرق الروح وهذا هو الجمع بين الآي والأحاديث"⁵.

قال الإمام الرازي⁶: "أنه تعالى قال: الله يتوفى الأنفس حين موتها"¹، وقال: الذي خلق الموت والحياة"²، فهذان النصان يدلان على أن توفي الأرواح ليس إلا من الله تعالى، ثم قال: قل يتوفاكم ملك الموت"³، وهذا يقتضي أن

1 سورة الأنعام: 61.

2 سورة النحل: 28.

3 سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب فضل غزو البحر (928/2)، حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث، انظر: ضعيف جداً، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (278/6)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير القرطبي (93/14)

6 سبقت ترجمته

الوفاة لا تحصل إلا من ملك الموت. ثم قال في هذه الآية: توفته رسلنا فهذه النصوص الثلاثة كالمتناقضة، والجواب: أن التوفي في الحقيقة يحصل بقدرة الله تعالى، وهو في عالم الظاهر مفوض إلى ملك الموت، وهو الرئيس المطلق في هذا الباب، وله أعوان وخدم وأنصار، فحسنت إضافة التوفي إلى هذه الثلاثة بحسب الاعتبارات الثلاثة والله أعلم⁴.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص وقد أضاف الأصول الآخر وهو بيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

سورة الأحزاب

أصل المسألة: نظرية إطلاق الأم لزوجات الرسول ﷺ

"النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا⁵، الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ⁶

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن أزواج النبي ﷺ أمهات المسلمين ولكن الآية الثانية تدل على أن إطلاق الأم تكون على اللائي ولدنهم فقط، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين؟

يجيب الإمام الألوسي لدفع التعارض بين الآيتين المذكورتين وقال المراد من قوله تعالى: "وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ" أي منزلات منزلة أمهاتهم في تحريم النكاح واستحقاق التعظيم وأما فيما عدا ذلك من النظر إليهن والخلوة بهن وارثهن ونحو ذلك فهن كالأجنبيات، وفرع على هذا القسطلاني في المواهب أنه لا يقال لبناتهن أخوات المؤمنين في الأصح، والطبرسي وهو شيعي أنه لا يقال لإخوانهن أخوات للمؤمنين⁷.

1 سورة الزمر: 42.

2 سورة المائدة: 2.

3 سورة السجدة: 11.

4 تفسير الرازي (13/15-16)

5 سورة الأحزاب: 6.

6 سورة المجادلة: 2.

7 تفسير روح المعاني (11/150)

أُثْهَاتُهُمْ أي ما أمهاتهم على الحقيقة "إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ" فلا يشبه بمن من الحرمة إلا من ألحقها الله تعالى بمن كالمريضات ومنكوحات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فدخلن في حكم الأمهات، وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة "إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ" ينكره الشرع والعقل والطبع أيضا كما يشعر به التنكير، ومناط التأكيد كونه منكرا، وإلا فصدور القول عنهم أمر محقق "وَرُورًا" أي وكذبا باطلا منحرفا عن الحق، ووجه كون الظهار كذلك عند من جعله إخبارا كاذبا- علق عليه الشارع الحرمة والكفارة¹.

النتيجة: حيث قال الإمام الألوسي: إن أزواج الرسول ﷺ في منزلة أمهات المؤمنين في تحريم النكاح واستحقاق التعظيم وأما فيما عدا ذلك من النظر إليهن والخلوة بهن وارثنهن ونحو ذلك فهن كالأجنبيات وما أمهاتهم على الحقيقة. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين باستخدام أصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام الرعشمري²: "وَأَزْوَاجُهُ أُثْهَاتُهُمْ، تشبيه لمن بالأمهات في بعض الأحكام، وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن، وتحريم نكاحهن: قال الله تعالى: وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا، ومن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات"³.

قال الإمام ابن الجوزي⁴: "قوله تعالى: وَأَزْوَاجُهُ أُثْهَاتُهُمْ أي: في تحريم نكاحهن على التأيد، ووجوب إجلالهن وتعظيمهن ولا تجري عليهن أحكام الأمهات في كل شيء، إذ لو كان كذلك لَمَا جاز لأحد أن يتزوج بناتهن، وَلَوْ رُئِيَ المسلمون، ولجازت الخلوة بهن"⁵.

قال الإمام القرطبي⁶: "وأزواجه أمهاتهم، شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين أي في وجوب التعظيم والميرة والإجلال وحرمة النكاح على الرجال وحجبهن رضي الله تعالى عنهن بخلاف الأمهات وقيل: لما كانت شققتهن عليهم كشفقة الأمهات أنزلن منزلة الأمهات"⁷.

خلاصة الكلام: إن الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص.

1 تفسير روح المعاني (200/14)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير الكشاف (523/3)

4 سبقت ترجمته

5 زاد المسير (448/3)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير القرطبي (122/14)

سورة سبأ: لم أجد أي تعارض في سورة سبأ بضوء تفسير روح المعاني.
سورة فاطر: لم أجد أي تعارض في سورة فاطر بضوء تفسير روح المعاني
سورة يس:

أصل المسألة: كم النفخات تحدث في يوم القيامة؟

"وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ¹، يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِصُونَ²، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ³"

فإن قيل إن الآيتين الأولين تدل على نفخة واحدة و لكن الآية الثالثة تدل على نفختين، فكيف يدفع التعارض بين الآيات؟

يجيب الإمام الألوسي جوابا شافيا لدفع التعارض بين الآيات كما يلي:

قال الإمام الألوسي: إن العلماء اختلفوا في عدد النفخة:

الطائفة الأولى: قيل: الأظهر أن النفخات ثلاث: نفخة الصعق بمعنى الموت كما هو أحد معنييه المدلول عليها بقوله تعالى: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ⁴"، والثانية: نفخة البعث المذكورة في قوله تعالى: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ⁵"، ونفخة الفرع المذكورة في الآية المذكورة هاهنا، وهو اختيار ابن العربي، وهي علي ما سمعت عن القاضي عياض بعد النشر حين تنشق السموات والأرض. أن الطائفة الألى يستدل لاثبات موقفهم بالآيات.

والطائفة الثانية: وقيل: وقد يحذر ما هو المشهور من أن النفخة اثنتان: نفخة الفرع هي نفخة الصعق لأن الأمرين: الفرع بمعنى الخوف. والصعق بمعنى للموت لا زمان لها، قال القرطبي: والسنة كحديث مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص وهو طويل منه مع حذف ثم ينفخ في الصور فأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم

1 سورة يس: 51.

2 سورة المعارج: 43.

3 سورة الزمر: 68.

4 سورة الزمر: 68.

5 سورة يس: 51.

يصعق الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون¹. تدل على أن النفخ مرتين لا ثلاثة وهو الصحيح، ونفخ الفرع هو نفخ الصعق بعينه لاتحاد الاستثناء في آتيهما. وهذا النفخ قيل: المراد به النفخة الثانية، وإليه ذهب صاحب الغنيان، واختاره العلامة أبو السعود وقال: الذي يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه ذلك، ففي هذا الموضع اهتم الإمام الألوسي بالسياق القرآني مثبتاً موقفه بالسباق وهو نوع من أنواع السياق⁽²⁾ والصحيح عندي ما في القول الأول: من أن نفخة الفرع غير نفخة الصعق. فإن حديث الصحيحين لا تحيروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى عليه السلام آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أو جزى بصعقة الطور³: صريح في أن الصعق يوم القيامة، وأن لا موت فيه فهو فرع بلا موت⁴.

النتيجة: إن التوجيهات المختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيات كما ذكر الإمام الألوسي:
الوجه الأول: إن النفخات ثلاث كما اختار الطائفة الأولى وأثبت موقفهم بالآيات القرآنية و رد الدلائل التي اختار الطائفة الثانية. إن الإمام الألوسي رجح قول الطائفة الأولى.
الوجه الثاني: إن النفخة إثنان كما اختار الطائفة الثانية وأثبت موقفهم بالآيات القرآنية والحديث.
إن الإمام الألوسي رفع الإشكال ببيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.
أقوال العلماء:

قال الإمام الرازي⁵: "قال تعالى في موضع آخر: ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وقال هاهنا: فإذا هم الأجداث إلى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقوله في الموضعين: فإذا هم يقتضي أن يكونا معا نقول الجواب: عنه من وجهين أحدهما: أن القيام لا ينافي المشي السريع لأن الماشي قائم ولا ينافي النظر وثانيهما: أن السرعة

1 صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب في خروج الدجال ومكته في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور (4/2258)، رقم الحديث: 2940.

2 أنظر: تفسير روح المعاني (365/8)

3 صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه، قال: رب أرني أنظر إليك، قال: لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا، فلما أفاق قال: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين} [الأعراف: 143] (11/277)، رقم الحديث: 4638.

4 أنظر: تفسير روح المعاني (10/240-243)

5 سبقت ترجمته

يجيء الأمور كأن الكل في زمان واحد كقول القائل: مكر مفر مقبل مدبر معا، كجلمود صخر حطه السيل من عل، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون¹، فبالنفخة الأولى يموتون وبالنفخة الثانية يحيون ويقومون². قال الإمام البيضاوي³: "ونفخ في الصور يعني المرة الأولى، فصعق من في السماوات ومن في الأرض خر ميتا أو مغشيا عليه، إلا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل وإسرافيل فأنهم يموتون بعد، وقيل حملة العرش، ثم نفخ فيه أخرى نفخة أخرى وهي تدل على أن المراد بالأولى ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع، وأخرى تختلص بالنصب والرفع، فإذا هم قيام قائمون من قبورهم أو متوقفون، وقرئ بالنصب على أن الخير، ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى: يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم"⁴. خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور ببيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

سورة الصافات:

أصل المسألة: إن الله تعالى يعطي الرزق المعلوم أو بغير حساب؟
 "أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ⁵، مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ دُونِ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ"⁶

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الرزق معلوم للناس ولكن جاء في الآية الثانية أن الرزق يعطى الناس بغير حساب، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين المذكورتين؟

يجيب الإمام الألوسي جوابا شافيا لدفع التعارض بين الآيتين وقال:

وقوله سبحانه: رِزْقٌ مَّعْلُومٌ على الفاعلية للظرف وإما خير مقدم ورِزْقٌ مبتدأ مؤخر والجملة خير المبتدأ والمجموع كالخير للمستثنى المنقطع على ما أشرنا إليه أو استئناف لما أفاده الاستثناء إجمالا بيانا تفصيليا وقوله تعالى: "مَّعْلُومٌ" أي معلوم الخصائص ككونه غير مقطوع ولا ممنوع حسن المنظر لذيد الطعم طيب الرائحة إلى غير ذلك من الصفات المرغوبة، فلا يقال: إن الرزق لا يكون معلوما إلا إذا كان مقدرا بمقدار وقد جاء في آية أخرى:

1 سورة الزمر: 68.

2 تفسير الرازي (26/291-326)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير البيضاوي (5/49)

5 سورة الصافات: 41.

6 سورة غافر: 40.

"يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ"¹ وما لا يدخل تحت الحساب لا يحد ولا يقدر فلا يكون معلوماً، وقيل المراد معلوم الوقت لقوله تعالى: "وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا"² وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة³.
 "يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ" بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافاً مضاعفة فضلاً منه تعالى ورحمة⁴.
 النتيجة: التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "رزق معلوم" أي معلوم الخصائص ككونه غير مقطوع ولا ممنوع.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "رزق معلوم" أي معلوم الوقت.
 التوجيه الثالث: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "رزق معلوم" أي الرزق المعلوم الجنة.
 التوجيه الرابع: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "بغير حساب" أي بغير تقدير وموازنة بالعمل.
 إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بأصول العام والخاص واللغة.
 أقوال العلماء:

قال الشيخ أحمد الصاوي⁵: "لهم رزق معلوم أي أوقاته وصفاته فلا ينافي آية يرزقون فيها بغير حساب فإن المراد بغير معلوم المقدار"⁶.

قال الإمام الزمخشري⁷: "ويجوز أن يراد: رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها: من طيب طعم، ورائحة، ولذة، وحسن منظر، وقيل: معلوم الوقت، كقوله، وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا، وعن قتادة: الرزق المعلوم الجنة"⁸.

قال الإمام القرطبي¹: "قوله تعالى: أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ يعني المخلصين؛ أي لهم عطية معلومة لا تنقطع، قال قتادة: يعني الجنة، وقال غيره: يعني رزق الجنة، وقيل: هي الفواكه التي ذكر قال مقاتل: حين يشتهونه، وقال ابن السائب: إنه بمقدار الغداة والعشي"².

1 سورة غافر: 40.

2 سورة مريم: 62.

3 انظر: تفسير روح المعاني (83/12)

4 انظر: تفسير روح المعاني (323-324/12)

5 سبقت ترجمته

6 حاشية الصاوي (337/3)

7 سبقت ترجمته

8 تفسير الزمخشري (42/4)

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أضاف الأصول الآخر وهو العام والخاص.

سورة ص:

أصل المسألة: إن الإنسان خلق من طين أو حمأ مسنون أو من تراب؟
 "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ"³، وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ⁴، إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ⁵

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن البشر خلق من طين، و الآية الثانية تدل على أن البشر خلق من صلصال من حمأ مسنون و الآية الثالثة تدل على أن البشر خلق من تراب، فكيف يدفع التعارض بين الآيات المذكورة؟
 يجيب الإمام الألوسي جواباً كاملاً لدفع التعارض بين الآيات:

وقال المراد من قوله سبحانه: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ" وقيل: عبر بذلك إظهار للاستغراق في المقول له، والمراد إني خالق فيما سيأتي، وفي التعبير بما ذكر ما ليس في التعبير بصيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل البتة من غير صارف، والبشر الجسم الكثيف يلاقي ويياشر أو يادي البشرية ظاهر الجلد غير مستور بشعر أو وبر أو صوف، والمراد به آدم عليه السلام وذكر هنا خلقه "من طين"⁶ وفي آل عمران) وفي الحجر "من صلصال من حمأ مسنون"⁷ وفي الأنبياء من عجل ولا منافاة غاية ما في الباب أنه ذكر في بعض المادة القريبة وفي بعض المادة البعيدة، ثم إن ما جرى عند⁸ . وأيضاً عن ابن عباس وفي رواية الضحاك عنه أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة فتم خلقه بعد

1 سبقت ترجمته

2 تفسير القرطبي (77/15)

3 سورة ص: 71.

4 سورة الحجر: 26.

5 سورة آل عمران: 59.

6 سورة آل عمران: 59.

7 سورة الحجر: 26.

8 انظر: تفسير روح المعاني (214/12)

مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح. وحكى الماوردي¹ عنه أن الحين المذكور هاهنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره².

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي رواية الضحاك لحل الإشكال المذكور ولو نلجأ إلى قول ابن عباس و رواية الضحاك لايقي التعارض بين الآيات المذكورة. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بقول ابن عباس ورواية الضحاك وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء: قال الإمام الزمخشري³: "الصلصال: الطين اليابس له صلصلة، والفخار: الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف، فإن قلت: قد اختلف التنزيل في هذا، وذلك قوله عز وجل: مِنْ حَمَلٍ مَّسْتُونٍ، مِنْ طِينٍ لَازِبٍ، مِنْ تَرَابٍ، قلت: هو متفق في المعنى، ومفيد أنه خلقه من تراب: جعله طينا، ثم حمأ مسنونا، ثم صلصالا"⁴.

قال الإمام القرطبي⁵: "قوله تعالى: خَلَقَ الْإِنْسَانَ بِاتِّفَاقٍ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ يَعْنِي آدَمَ، مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ، الصلصال الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة، شبهه بالفخار الذي طبخ، وقيل: هو طين خلط برمل، وقيل: هو الطين الممتلئ من صل اللحم وأصل إذا أنتن، وقال هنا: مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ، وقال هناك: مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَلٍ مَّسْتُونٍ، وقال: إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ، وقال: كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، وذلك متفق المعنى، وذلك أنه أخذ من تراب الأرض فمججه فصار طينا، ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون، ثم انتقل فصار صلصالا كالفخار"⁶.

قال الإمام أبو السعود العمادي⁷: "في رواية الضحاك عنه أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح"⁸. خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اختلاف الأمكنة والأزمنة.

1 تفسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ن: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، عدد الأجزاء: 6 (162/6)

2 انظر: تفسير روح المعاني (169/15)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير الزمخشري (445/4)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير القرطبي (161-160/17)

7 سبقت ترجمته

8 تفسير أبي السعود (70/9)

سورة الزمر

أصل المسألة: إن الشفاعة فقط لله تعالى أم لا؟

"قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ¹، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ²، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ³"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الشفاعة مخصوصة مع الله فقط تعالى ولكن الآيتين الأخريين تدل على أن الشفاعة ليست مخصوصة مع الله تعالى، فكيف يدفع التعارض بين الآيات المذكورة؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً شافياً لدفع التعارض المذكورة وقال: "قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا" والمعنى أنه تعالى مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة ما إلا أن يكون المشفوع مرتضى والشفيع مأذوناً له⁴.

"مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" استفهام إنكاري ولذا دخلت إلاً والمقصود منه بيان كبرياء شأنه تعالى وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه بحيث يستقل أن يدفع ما يريده دفعا على وجه الشفاعة والاستكانة والخضوع فضلا عن أن يستقل بدفعه عنادا أو مناصبة وعداوة وفي ذلك تأييد للكافر حيث زعموا أن آلهتهم شفعاء لهم عند الله تعالى⁵. "لِمَنْ يَشَاءُ" أن يشفعوا له وَيَرْضَى ويراه سبحانه أهلا للشفاعة من أهل التوحيد والإيمان، وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله تعالى بمعزل⁶.

النتيجة: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "قل الله الشفاعة جميعا" الشفاعة الذاتي وهذه مخصوصة مع الله تعالى وأن الآيتين الأخريين متصلة بالشفاعة للمأذون فإذا لا تعارض بين الآيات.

إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بأصول معرفة العام والخاص.

أقوال العلماء: قال الإمام أبو جعفر الطبري¹: "عن مجاهد، قوله (قل لله الشفاعة جميعا)²، قال: لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه"³.

1 سورة الزمر: 44.

2 سورة البقرة: 255.

3 سورة الأنبياء: 28.

4 انظر: تفسير روح المعاني (265/12)

5 انظر: تفسير روح المعاني (11/2)

6 انظر: تفسير روح المعاني (59-58/14)

قال الإمام الزمخشري⁴: "تحت قوله تعالى: قل لله الشفاعة جميعا، ألا ترى إلى قوله تعالى: قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا أي هو مالِكها، فلا يستطيع أحد شفاعة إلا بشرطين: أن يكون المشفوع له مرتضى، وأن يكون الشفيع مأذونا له، وهاتين الشرطان مفقودان جميعا"⁵.

قال الإمام الرازي⁶: "لا يملك أحد شيئا ولا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله، فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله الذي يأذن في تلك الشفاعة، فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى: قل لله الشفاعة جميعا، ثم بين أنه لا ملك لأحد غير الله بقوله: له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون ومنهم من تمسك في نفي الشفاعة مطلقا بقوله تعالى: قل لله الشفاعة جميعا، وهذا ضعيف لأننا نسلم أنه سبحانه ما لم يأذن في الشفاعة لم يقدر أحد على الشفاعة"⁷.

خلاصة الكلام: إن الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص.

أصل المسألة: إن الله تعالى يغفر المسيئين أم لا؟

"قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"⁸، لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَئِن لَّهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدُّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ"⁹.

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الله تعالى يغفر للمسيئين ولكن جاء في الآية الثانية أن المسيئين يدخلون في النار، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين المذكورتين؟

1 سبقت ترجمته

2 سورة الزمر: 44.

3 تفسير الطبري (217/20)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير الزمخشري (131/4)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير الرازي (456-457/26)

8 سورة الزمر: 53.

9 سورة غافر: 43.

يجيب الإمام الألوسي جواباً كلامياً لدفع التعارض بين الآيتين وقال: إن إطلاق الآية على الكفار مطلق لقوله تعالى: "وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ"¹ بناء على أن الكفار مخلد في النار، ومن عمم أولاً قال: المراد بالمسرفين من عدا أولئك المنجيين².

وقال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ" أي هنا بالسفاكين للدماء بغير حلها فيكون المؤمن قد ختم تعريضاً بما افتتح به تصريحاً في قوله: "أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا" ويشهد على هذا التفسير بتفسير ابن مسعود ومجاهد.

وعن قتادة أنهم المشركون فإن الإشراك إسراف في الضلالة، وعن عكرمة أنهم الجبارون المتكبرون، وقيل: كل من غلب شره خيره فهو مسرف والمراد بأصحاب النار ملازموها، فإن أريد بالمسرفين ما يدخل فيه المؤمن العاصي أريد بالملازمة العرفية الشاملة للمكث الطويل، وإن أريد بهم ما يخص الكفرة فهي بمعنى الخلود³.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ" أي أفرطوا في المعاصي جائين عليها، وأصل الإسراف الإفراط في صرف المال ثم استعمل فيما ذكر مجازاً بمرتبين على ما قيل، وقال الراغب: هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر وهذا ظاهر في أنه حقيقة فيما ذكرنا وهو حسن. قال الإمام الألوسي المراجع من قوله تعالى: "عِبَادِيَ" أي على العهد أو على التشريف، وذهبوا إلى أن المراد بالعباد المؤمنون وقد غلب استعماله فيهم مضافاً إليه عز وجل في القرآن العظيم فكانه قيل: أيها المؤمنون المذنبون "لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ" أي لا تياسوا من مغفرته سبحانه وتفضله عز وجل على أن المغفرة مدرجة في الرحمة أو أن الرحمة مستلزمة لها لأنه لا يتصور الرحمة لمن لم يغفر له. وقال بعض أجلة المدققين: إن قوله تعالى: "يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا" خطاب للكافرين والعاصين وإن كان المقصود الأولى الكفار لمكان القرب وسبب النزول، فقد أخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال: إن أهل مكة قالوا: يزعم محمد ﷺ أنه من عبد الأوثان ودعا مع الله تعالى لها آخر وقت النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف تماجر وتسلم وقد عبدنا الآلهة وقتلنا النفس ونحن أهل شرك فأنزل الله تعالى: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ" إلخ. والذي يرجح في نظري ما اختاره من عموم الخطاب في يا عِبَادِيَ للعاصين والكافرين. وعن ابن عباس من حديث أخرجه ابن جرير وابن المنذر عنه "من آيس العباد من التوبة فقد جحد كتاب الله تعالى ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله تعالى عليه"،

1 سورة غافر: 43.

2 انظر: تفسير روح المعاني (9/15-16)

3 انظر: تفسير روح المعاني (12/325)

"وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ" الظاهر أنه خطاب للعباد المخاطبين فيما تقدم سواء أريد بهم المؤمنون أو ما يعمهم والكافرين، والمراد بما أنزل القرآن وهو كما أنزل إلى المؤمنين أنزل إلى الكافرين ضرورة أنه أنزل عليه صلى الله عليه وسلم لدعوة الناس كافة¹.

النتيجة: التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "المُسْرِفِينَ هم أصحاب النار" المشركين والسفاكين للدماء بغير حلها والجبارين والمتكبرين ولازموا بالسيئات ولم يرجعوا إلى التوبة حتى يأتي الموت، فاندفع التعارض بين الآيتين.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "قل يا عبادي الذين أسرفوا الخ" المسلمين والكافرين الذين لم يئسوا من رحمة الله تعالى ويرجون التوبة إلى الله تعالى فلاذن لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع التعارض بأصول معرفة العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام القاضي ثناء الله باني بقي²: "الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِي افْرطُوا بِالْجَنَازَةِ عَلَيْهَا بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي قَالَ الْبَغَوِي رَوَى عَنْ ابْنِ عَمْرِو أَنَّهُ أَرَادَ بِالْإِسْرَافِ الْكِبَائِرَ، لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِي لَا تَيْئَسُوا مِنْ مَغْفِرَتِهِ وَتَفَضَّلْهُ إِذَا أَمَنْتُمْ وَتَبَتُمْ عَنِ الشَّرْكِ وَهَذَا الْقَيْدُ ثَابِتٌ بِالْإِجْمَاعِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يَشْرِكْ بِهِ، وَبِالرَّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ فِي سَبَبِ نَزُولِ الْآيَةِ فَلَمَعْنَى لَا تَتْرَكُوا الْإِيمَانَ إِيَّاسَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِنَاءً عَلَى مَا اسْرَفْتُمْ مِنْ قَبْلِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ، فِي الضَّلَالَةِ الطَّغْيَانِ بِالْإِشْرَاقِ"³.

قال الإمام الزمخشري⁴: "الْمُسْرِفِينَ، عَنْ قِتَادَةَ: الْمُشْرِكِينَ، وَعَنْ مَجَاهِدٍ: السَّافِكِينَ الدَّمَاءَ بِغَيْرِ حُلِّهَا، وَقِيلَ: الَّذِينَ غَلَبَ شَرُّهُمْ خَيْرُهُمْ هُمُ الْمُسْرِفُونَ، أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ جَنَوْا عَلَيْهَا بِالْإِسْرَافِ فِي الْمَعَاصِي وَالْغُلُوِّ فِيهَا لَا تَقْنَطُوا، قَرِئَ بِفَتْحِ النُّونِ وَكسرها وضمها، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً يَعْنِي بِشَرِّ التَّوْبَةِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ هَذَا الشَّرْطِ فِي الْقُرْآنِ، فَكَانَ ذِكْرُهُ فِيْمَا ذَكَرَ لَهُ فِيْمَا لَمْ يَذْكَرْ فِيهِ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ فِي حَكْمِ كَلَامٍ وَاحِدٍ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ التَّنَاقُضُ"⁵.

1 انظر: تفسير روح المعاني (272/12)

2 سبقت ترجمته

3 التفسير المظهر (260-222/8)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير الزمخشري (135-170/4)

قال الإمام ابن كثير¹: "هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة"². خلاصة الكلام: إن الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص. أصل المسألة: إن الموت يقع على كل مخلوق أم لا؟ "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ"³، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ"⁴.

حينما ينفخ الصور كل شيء يموت إلا من شاء الله تعالى ولكن الآية الثانية تدل على أن كل نفس ذائقة الموت، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين المذكورتين؟

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "كُلُّ شَيْءٍ" أي موجود مطلقا هالِكٌ أي معدوم محض، والمراد كونه كالمعدوم وفي حكمه "إِلَّا وَجْهَهُ" أي إلا ذاته عز وجل هو النور الإلهي. وذلك لأن وجود ما سواه سبحانه لكونه ليس ذاتيا بل هو مستند إلى الواجب تعالى في كل آن قابل للعدم وعرضة له. روي عن الضحاك أنه قال في الآية: كل شيء هالك إلا الله عز وجل والعرش والجنة والنار، ومنهم من قال: إن المراد بالهلاك الموت والعموم باعتبار الأحياء الموجودين في الدنيا، وأيد بما روي عن ابن عباس أنه قال في تفسير الآية: كل حي ميت إلا وجهه. وأخرج عنه ابن مردويه أنه قال: لما نزلت: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ"⁵ قيل يا رسول الله فما بال الملائكة؟ فنزلت: "كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ"، فبين في هذه الآية فناء الملائكة والثققلين من الجن والإنس وسائر عالم الله تعالى وبريته من الطير والوحوش والسباع والأنعام وكل ذي روح أنه هالك ميت⁶. "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" قال الجنيد قدس سره: من كانت حياته بروحه يكون مماته بذهاها ومن كانت حياته بربه تعالى فإنه ينقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهي الحياة على الحقيقة⁷.

1 مبيقت ترجمته

2 تفسير ابن كثير (70/4)

3 سورة الزمر: 68.

4 سورة آل عمران: 185، وسورة الأنبياء: 35، وسورة العنكبوت: 57.

5 سورة آل عمران: 185، وسورة الأنبياء: 35، وسورة العنكبوت: 57.

6 تفسير روح المعاني (36-35/10)

7 تفسير روح المعاني (55-54/9)

وقال بعضهم: المراد بها النفس الإنسانية لأن الكلام مسوق لنفي خلود البشر، واختير عمومها لتشمل نفوس البشر والجن وسائر أنواع الحيوان ولا يضر ذلك بالسوق بل هو أنفع فيه، ولا شك في موت كل من أفراد تلك الأنواع نعم اختلف في أنه هل يصح إرادة عمومها بحيث تشمل نفس كل حي كالملك وغيره أم لا بناء على الاختلاف في موت الملائكة عليهم السلام والخور العين فقال بعضهم: إن الكل يموتون ولو لحظة لقوله تعالى: "كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ"¹ وقال بعضهم: إنهم لا يموتون لدلالة بعض الأخبار على ذلك، والمراد من كل نفس النفوس الأرضية والآية التي استدلت بها مؤولة بما ستعلمه إن شاء الله تعالى إلى وهم داخلون في المستثنى في قوله تعالى: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ"² أولاً يسلم أن كل صعق موت، وقال بعضهم: إن الملائكة يموتون والخور لا تموت، وقال آخرون: إن بعض الملائكة عليهم السلام يموتون وبعضهم لا يموت كجبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام ورجح قول البعض، ولا يرد أن الموت يقتضي مفارقة الروح البدن والملائكة عليهم السلام لا أبدان لهم لأن القاتل بموتهم يقول بأن لهم أبداناً لكنها لطيفة كما هو الحق الذي دلت عليه النصوص، وربما يمنع اقتضاء الموت البدن³. كُتِلُ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ حكم شامل لجميع الأنفس مجردة كانت أو بسيطة بحمل الموت على ما يشمل الموت الطبيعي والفناء في الله سبحانه وتعالى "تَوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ" على اختلافها يوم القيامة⁴.

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية: التوجيه الأول: ذكر الإمام الألوسي قول الجنيد قدس سره وقال: من كانت حياته بروحه يكون مماته بذاتها ومن كانت حياته بربه تعالى فإنه ينقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهي الحياة على الحقيقة. التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "ونفخ في الصور فصعق" إن الملائكة يموتون والخور لا يموتون.

التوجيه الثالث: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "ونفخ في الصور فصعق" إن بعض الملائكة عليهم السلام يموتون وبعضهم لا يموت كجبريل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام ورجح الإمام الألوسي قول البعض فاندفع التعارض بين الآيات.

1 سورة القصص: 88.

2 سورة الزمر: 68.

3 انظر: تفسير روح المعاني (9/43-45)

4 انظر: تفسير روح المعاني (2/364-365)

المبحث الثاني: من بداية سورة غافر إلى آخر سورة الأحقاف

سورة غافر (المومن)

اصل المسألة: إن أهل جهنم يدخلون في مكان واحد أو مكانات؟

"إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ¹، فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ²، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَرْجَعُهُمْ إِلَى الْحَمِيمِ³، هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ⁴، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آخٍ⁵"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن أهل جهنم يدخلون في الحميم أولاً ثم في النار فيعلم أن مكان الحميم خارج من مكان النار، والآية الثانية أيضاً تدل على المعنى المذكور، ولكن الآية الآخر تدل على أن مكان الحميم ليس خارج من مكان جهنم كقوله تعالى "هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون، يطوفون بينها وبين حميم آن"، فكيف يدفع التعارض بين الآيات القرآنية؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً لدفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية المذكورة وقال: "ثُمَّ إِنَّهُمْ مَرْجَعُهُمْ" أي لمصيرهم، وقد قرئ كذلك، وقرئ أيضاً "ثم أن منفذهم" لآلى الجحيم أي إلى مقرهم من النار فإن في جهنم مواضع أعد في كل موضع منها نوع من البلاء فالقوم يخرجون من محل قرارهم حيث تأجج النار ويساقون إلى موضع آخر مما دارت عليه جهنم فيه ذلك الشراب ليردوه ويسقوا منه ثم يردون إلى محلهم كما تخرج الدواب إلى مواضع الماء في البلد مثلاً لترده ثم ترد إلى محلها، وإلى هذا المعنى أشار قتادة ثم تلا قوله تعالى: "هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آخٍ⁶" ويؤيده قراءة ابن مسعود "ثم إن منقلبهم" إذ الانقلاب أظهر في الرد أو المراد ثم إن مرجعهم إلى دركات الجحيم فهو يرددون في الجحيم من مكان إلى آخر أدنى منه⁷.

1 سورة غافر: 71.

2 سورة غافر: 72.

3 سورة الصافات: 68.

4 سورة الرحمن: 43.

5 سورة الرحمن: 44.

6 سورة الرحمن: 43، 44.

7 تفسير روح المعاني (93-94/12)

النتيجة: قال الإمام الألوسي موضع عديدة للجهنم فالقوم يخرجون من محل قرارهم حيث تأجج النار ويساقون إلى موضع آخر مما دارت عليه جهنم فيه ذلك الشراب ليردوه ويسقوا منه ثم يردون إلى محلهم كما تخرج الدواب إلى مواضع الماء في البلد مثلاً لترده ثم ترد إلى محلها.

إن الإمام الألوسي رفع الإشكال ببيان تفسير القرآن بالقرآن والقراءة وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال الإمام أبو جعفر الطبري¹: "تحت قوله تعالى: في الحميم ثم في الناء يسجرون، والمراد بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينقلون من باب إلى باب"².

قال الإمام ابن كثير³: "وقوله: إذ الأغلال في أعناقهم والسلايل أي: متصلة بالأغلال، بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم، تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم"⁴؛ ولهذا قال: يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ، كما قال: "هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ"⁵، وقال بعد ذكره أكلهم الزقوم وشرهم الحميم، "ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ"⁶.

قال الإمام الزمخشري⁷: "وقيل: إن وادياً من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال، فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم"⁸.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اختلاف الأمكنة والأزمنة وقد أضاف الأصول الأخرى وهو بيان تفسير القرآن بالقرآن وأصول القراءة.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الطبري (284/7)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير ابن كثير (157/7)

5 سورة الرحمن: 43، 44.

6 سورة الصافات: 68.

7 سبقت ترجمته

8 تفسير الكشاف (451/4)

سورة حم السجدة (فصلت)

أصل المسألة: إن السموات خلق أولا أو الأرض؟

"قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ¹، اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ²"

ذكر الإمام الألوسي التعارض بين الآيات القرآنية بنفسه في تفسيره وقال: الناس مختلفون في خلق السماء وما فيها، والأرض وما فيها باعتبار التقدم والتأخر لتعارض الظواهر في ذلك، فذهب بعض إلى تقدم خلق السماوات لقوله تعالى: "أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا³" وذهب آخرون إلى تقدم خلق الأرض لقوله تعالى: "أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ⁴" إلى قوله سبحانه: "وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيٍّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا⁵"، فكيف يدفع التعارض بين الآيات القرآنية؟

ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية كما يلي:

قال الإمام الألوسي إن الناس مختلفون في خلق السماء والأرض وما فيها باعتبار التقديم والتأخير:

الطائفة الأولى: ذهب بعض إلى تقدم خلق الأرض على السماء لقوله تعالى: "أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ⁶" إلى قوله سبحانه: "وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيٍّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا⁷" ذكر الإمام الألوسي موقف ابن عباس رضي الله

1 سورة فصلت: 9.

2 سورة السجدة: 4.

3 سورة النازعات: 27-32.

4 سورة فصلت: 9.

5 سورة فصلت: 10-12.

6 سورة فصلت: 9.

7 سورة فصلت: 10-12.

عنهما لتوفيق بين الآيتين - يشير إلى هذا، ولا يعارضه ما رواه ابن جرير وغيره وصححوه عنه أيضا- "إن اليهود أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال: خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهن من المنافع يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة فقال تعالى: "أَتُنْكُمُ لَتَكْفُرُونَ إِلَى سَوَاءٍ لِلْإِسْأِيلِينَ" وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة" لجواز أن يحمل على أنه خلق مادة ذلك وأصوله إذ لا يتصور المدائن والعمران والخراب قبل، فعطفه عليه قرينة لذلك¹.

وروي عن الحسن أنه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهيفة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصدد الدخان وخلق منه السماوات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض، وذلك قوله تعالى: "كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهَا"² الآية³. وأجيب بأن خلق في الآية بمعنى قدر أو أراد الخلق ولا يمكن أن يراد به فيها الإيجاد بالفعل ضرورة أن جميع المنافع الأرضية يتجدد بإيجادها أولا فأولا سلمنا أن المراد الإيجاد بالفعل لكن يجوز أن يكون المراد خلق مادة ذلك بالفعل، ومن الناس من حمل ثم على التراخي الرتي لأن خلق السماء أعجب من خلق الأرض⁴.
الطائفة الثانية: ذهب آخرون إلى تقدم خلق السماء على الأرض لقوله تعالى: "أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا لِسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَغْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا"⁵، ثم استوى إلى السماء فسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ⁶ إن السماء خلقت مادتها أولا ثم سويت وأظهرت على صورتها اليوم.

نقل الإمام الواحدي عن مقاتل الأول- واختاره المحققون- ولم يختلفوا في أن جميع ما في الأرض مما ترى مؤخر عن خلق السماوات السبع بل اتفقوا عليه، فحينئذ يجعل- الخلق- في الآية الكريمة بمعنى التقدير لا الإيجاد أو بمعناه ويقدر الإرادة- ويكون المعنى أراد خلق ما في الأرض جميعا- لكم على حد: "إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ"⁷ و "فَإِذَا

1 انظر: تفسير روح المعاني (218/1)، تفسير الطبري (382/20)

2 سورة الأنبياء: 30.

3 انظر: تفسير روح المعاني (34/9)، (360/12)، (235/15)

4 انظر: تفسير روح المعاني (234/15)

5 سورة النازعات: 27- 32.

6 سورة البقرة: 29.

7 سورة المائدة: 6.

قَرَأْتُ الْقُرْآنَ¹ ولا يخالفه "وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" فإن المتقدم على خلق السماء إنما هو تقدير الأرض وجميع ما فيها، أو إرادة إيجادها والمتأخر عن خلق السماء إيجاد الأرض وجميع ما فيها فلا إشكال، وأما قوله سبحانه وتعالى: "خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ"² فعلى تقدير الإرادة، والمعنى أراد خلق الأرض، وكذا: "وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًّ"³ ينبغي أن يكون بمعنى أراد أن يجعل، ويؤيد ذلك قوله تعالى: "فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ"⁴ فإن الظاهر أن المراد ائتيا في الوجود، ولو كانت الأرض موجودة سابقة لما صح هذا فكانه سبحانه قال: أئتكم لتكفروا بالذي أراد إيجاد الأرض وما فيها من الرواسي والأقوات في أربعة أيام ثم قصد إلى السماء فتعلقت إرادته بإيجاد السماء والأرض فأطاعا بأمر التكوين فأوجد سبع سماوات في يومين وأوجد الأرض وما فيها في أربعة أيام⁵.

ونقل الواحد في البسيط عن مقاتل أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلا عن دحوها واختاره الإمام ونسبه بعضهم إلى المحققين من المفسرين وأولوا الآية بأن الخلق ليس عبارة عن التكوين والإيجاد بل هو عبارة عن التقدير، والمراد به في حقه تعالى حكمه تعالى أن سيوجد وقضاؤه عز وجل بذلك مثله في قوله تعالى: "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"⁶ ولا بد على هذا من تأويل جعل وبارك بنحو ما سمعت عن الإرشاد.

الطائفة الثالثة: واختار بعضهم أن خلق المادة البعيدة للسماء والأرض كان في زمان واحد وهي الجوهر النورية أو غيرها وكذا فصل مادة كل عن الأخرى وتمييزها عنها أعني الفتق وإخراج الأجزاء اللطيفة وهي المادة القريبة للسموات وإبقاء الكثيفة وهي المادة القريبة للأرض فإن فصل اللطيف عن الكثيف يستلزم فصل الكثيف عنه وبالعكس، وأما خلق كل على الهيئة التي يشاهد بها فليس في زمان واحد بل خلق السموات سابق في الزمان على خلق الأرض، ولا ينبغي لأحد أن يرتاب في تأخر خلق الأرض بجميع ما فيها عن خلق السموات كذلك،

1 سورة الإسراء: 45.

2 سورة فصلت: 9.

3 سورة الرعد: 3، فصلت: 10.

4 سورة فصلت: 11.

5 انظر: تفسير روح المعاني (1/219)، (12/356)، (15/234)

6 سورة آل عمران: 59.

ومتى ساء حل "ثم" للترتيب في الأخبار هان أمر ما يظن من التعارض في الآيات والأخبار هذا والله تعالى أعلم¹.

النتيجة: تكلم الإمام الألوسي في تقديم خلق السموات والأرض في تفسيره وذكر الآيات والأحاديث وأقوال العلماء ببيان تقديم خلق السموات والأرض وفهمت ببيان تعبيرات الإمام الألوسي: إن الإمام الألوسي اختار تقديم خلق الأرض مقدم على خلق السموات، وقال: خلق أولاً مادة الأرض ثم جعل مادة ما في الأرض من الرواسي والأشجار والأنهار وغيرها ثم خلق مادة السماء التي هي دخان ثم خلق صور السموات فبناها ورفع سمكها فسوها وبعد ذلك دحى الأرض وبسطها ومدّها وخلق فيها الجبال والأنهار والأشجار وغيرها، فحصل التوفيق بين الآيات بل بين الروايات أيضاً فإذا لا تعارض بين الآيات. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيات بأصول معرفة تفسير القرآن بالقرآن وبيان الحديث واختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال الإمام ابن كثير²: "قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى: خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ³، ففصل هاهنا ما يختص بالأرض مما يختص بالسماء، فذكر أنه خلق الأرض أولاً لأنها كالأساس، والأصل أن يُبْدَأَ بالأساس، ثم بعده بالسقف، كما قال: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ⁴، فأما قوله: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ⁵، ففي هذه الآية أن دحى الأرض كان بعد خلق السماء، فالذخّي هو مفسر بقوله: أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا، وكان هذا بعد خلق السماء، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص⁶.

قال الإمام أبو السعود العمادي⁷: "في سورة حم السجدة أن قوله تعالى قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى قوله تعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان الآية إن حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من

1 انظر: تفسير روح المعاني (360/12)

2 سبقت ترجمته

3 سورة الأعراف: 54.

4 سورة البقرة: 29.

5 سورة النازعات: 27-33.

6 تفسير ابن كثير (165/7)

7 سبقت ترجمته

الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روي أن العرش كان قبل خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث في الماء اضطراباً فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق منه اليبوسة فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيها يوم الخميس ويوم الجمعة¹.

قال الإمام الرازي²: "اختلف العلماء في هذه المسألة، والجواب المشهور: أن يقال إنه تعالى خلق الأرض في يومين أولاً ثم خلق بعدها السماء، ثم بعد خلق السماء دحا الأرض، وبهذا الطريق يزول التناقض"³.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول معرفة تفسير القرآن بالقرآن وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة وقد أضاف الأصول الآخر وهو بيان الحديث.

أصل المسألة: إن الإنسان يتوس بعد مس الشر من دعاء أم لا؟

"لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتُوسُّ قَنُوطًا⁴، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَلَدُو دُعَاءَ عَرِيضٍ"⁵

حينما مس الشر إنساناً فيتوس قنوط ولكن آية أخرى عكسها يعني إذا مسه الشر فلدو دعاء عريض، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين؟

إن التعبيرات مختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيتين حيث ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: يجب الإمام الألوسي الآيتين المذكورتين جواباً كاملاً وقال: ذكر بعض الأجلة أن الآيات قد تضمنت ضربين من طغيان جنس الإنسان فالأول في بيان شدة حرصه على الجمع وشدة جزعه على الفقد والتعريض بتظليم ربه سبحانه في قوله هذا لي مدحاً فيه سوء اعتقاده في المعاد المستجلب لتلك المساوي كلها، والثاني في بيان طيشه المتولد عنه إعجابه واستكباره عند وجود النعمة واستكائه عند فقدانها وقد ضمن في ذلك

1 تفسير أبي السعود (102/9-103)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير الرازي (546/27)

4 سورة فصلت: 49.

5 سورة فصلت: 51.

ذمه بشغله عن المنعم في الحاليتين، أما في الأول فظاهر، وأما في الثاني فلأن التضرع جزعا على الفقد ليس رجوعا إلى المنعم بل تأسف على الفقد المشغل عن المنعم كل الأشغال.

الوجه الثاني: وأجاب آخرون بأنه يجوز أن يقال: الحال الثاني شأن بعض غير البعض الذي حكى عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل في بعض الأوقات، واستدل بعضهم بقوله تعالى: **قَدْو دُعَاءِ غَرِيضٍ** على أن الإيجاز غير الاختصار وفسره لهذه الآية بحذف تكرير الكلام مع اتحاد المعنى والإيجاز بحذف طوله وهو الإطناب وهو استدلال بما لا يدل إذ ليس فيها حذف ذلك العرض فضلا عن تسميته¹.

وعن الزجاج أنهم إنما أخذوا بالضراء لأن أحوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله تعالى ألا ترى² قوله تعالى: **وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ قَدْو دُعَاءِ غَرِيضٍ**³.

"وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ" الضيقة والعسر **"فَيُؤْسُ قَنُوطٌ"** أي فهو يؤوس قنوط من فضل الله تعالى ورحمته، وهذا صفة الكافر، والآية نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل: في عتبة بن ربيعة⁴.

النتيجة: إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين بتوجيهين:

التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي إن الآيتين المذكورتين لم تتعلق بإنسان واحد بل بنوعين، وإحداها آئس من رحمة الله تعالى وثانيهما لا يؤوس من رحمته.

التوجيه الثاني:

قال الإمام الألوسي إن الآية الأولى مخصوصة مع الكفار والآية الثانية متعلقة بالمسلمين فدفع الإشكال بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بأصول معرفة العام والخاص وسبب النزول واللغة.

أقوال العلماء:

قال أبو جعفر الطبري⁵: **"فيؤوس قنوط يقول: فإنه ذو بأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشر النازل به عنه"**⁶.

1 تفسير روح المعاني (6/13)

2 انظر: تفسير روح المعاني (31/5)

3 سورة فصلت: 51.

4 انظر: تفسير روح المعاني (5/13)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير الطبري (457/20)

قال الإمام القرطبي¹: "ذكر الإمام القرطبي تحت قوله تعالى: فيفوس قنوط، قول السدي وقال: قال السدي: والانسان ما هنا يراد به الكافر"².

قال الإمام ابن كثير³: "يقول تعالى: لا يَمَلُ الإنسان من دعائه ربه بالخير وه: المال، وصحة الجسم، وغير ذلك وإن مسه الشر، وهو البلاء أو الفقر، فيفوس قنوط أي: يقع في ذهنه أنه لا يتعب له بعد هذا خير"⁴.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع الإمام الطبري والإمام ابن كثير لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد اتفق مع الإمام القرطبي لحل رفع الإشكال في أصول العام والخاص وقد أضاف الأصول الآخر وهو سبب النزول.

سورة الشوري:

أصل المسألة: إن الكفار ينظرون في يوم القيامة أم لا؟

"وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غَائِبِينَ مِنْ الدُّلَى يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ⁵، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى⁶"

إن الآية الأولى تدل على أن الكافر ينظرون من طرف خفي ولكن الآية الثانية تدل على أنه أعمى، فكيف التوفيق بين الآيتين المذكورتين؟

إن التوجيهات مختلفة لدفع الإشكال بين الآيتين حيث ذكر الإمام الألوسي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ" خفي دليل فالطرف عليه جفن العين ويشهد على هذا التفسير قول ابن عباس رضي الله عنهما. والطرف مصدر طرف إذا حرك عينه ومنه طرفه العين، والمراد بالخفي الضعيف، ومن ابتدائية أي يتبدى نظره من تحريك لأجفانهم ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر إلى السيف وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملاً عينيه منها كما يفعل في نظره إلى المحاب.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير القرطبي (372/15)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير ابن كثير (186/7)

5 سورة الشوري: 45.

6 سورة طه: 124.

الوجه الثاني: وقيل: يحشرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذاك نظر من طرف خفي، وهو تأويل متكلف¹.
الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي: إن الكافر يحشر أولا بصيرا ثم يعمي واستشهد على هذا التفسير قول ابن عباس رضي الله عنهما، وعن عكرمة أنه لا يرى شيئا إلا النار.

الوجه الثالث: ولعل ذلك أيضا في بعض أجزاء ذلك اليوم وإلا فكيف يقرأ كتابه.

الوجه الرابع: قال الإمام الألوسي: إن المعنى نحشره يوم القيامة أعمى عن الحجة أي لا حجة له يهتدي بها ويشهد على هذا التفسير برواية مجاهد ومقاتل والضحاك وأبي صالح وهي رواية عن ابن عباس أيضا، وهو مراد من قال: أعمى القلب والبصيرة، واختار ذلك إبراهيم بن عرفة وقال كلما ذكر الله سبحانه في كتابه العمي فذمه فإنما يراد به عمى القلب قال سبحانه وتعالى: "فَأَنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ"² وعلى هذا فالمراد بقوله "وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا" وقد كنت عالما بحجتي بصيرا بما أحاج عن نفسي في الدنيا. وحاصل الجواب عليه إني حشرتكم أعمى القلب لا تهتدي إلى ما ينجيكم من الحجة لأنك تركت في الدنيا آياتي وحججي وكما تركت ذلك ترك على هذا العمي أبدا، وقيل: المراد بأعمى متحيرا لا يدري ما يصنع من الحيل في دفع العذاب كالأعمى الذي يتحير في دفع ما لا يراه³.

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي التوجيهات المختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيتين كما يلي:

التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "من طرف خفي" خفي ذليل فالطرف عليه جفن العين.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي: يحشرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وذاك نظر من طرف خفي.

التوجيه الثالث: قال الإمام الألوسي: يحشر أولا بصيرا ثم يعمي.

التوجيه الرابع: نحشره يوم القيامة أعمى عن الحجة أي لا حجة له يهتدي بها.

التوجيه الخامس: قال الإمام الألوسي: المراد بأعمى متحيرا لا يدري ما يصنع من الحيل في دفع العذاب كالأعمى الذي يتحير في دفع ما لا يراه. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بأصول العام والخاص وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة واللغة.

1 انظر: تفسير روح المعاني (50/13)

2 سورة الحج: 46.

3 انظر: تفسير روح المعاني (586/8)

أقوال العلماء:

قال الإمام القرطبي¹: "أي ذليل، قال: وإنما ينظرون بقلوبهم لأنهم يحشرون عمياء، وعين القلب طرف خفي. وقال قتادة والسدي والقرطبي ومعيد بن جبير: يسارقون النظر من شدة الخوف، وقيل: المعنى ينظرون من عين ضعيفة النظر، وقال يونس: من، بمعنى الباء؛ أي ينظرون بطرف خفي، أي ضعيف من الذل والخوف، ونحوه عن الأخفش، وقال ابن عباس: بطرف ذابل ذليل، وقيل: أي يفزعون أن ينظروا إليها بجميع أبصارهم لما يرون من أطناف العذاب، وقيل: المراد به بصر العين وهو الظاهر"².

قال الإمام ابن الجوزي³: "قَبَصَرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ، وفي المراد بالبصر قولان: أحدهما: البصر المعروف، قاله الضحاك. والثاني: العلم"⁴.

قال الإمام البيضاوي⁵: "ينظرون من طرف خفي، أي يتندئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر إلى السيف، فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لأمر المعاد، وهو الغفلة والانشغال في المحسوسات والإلف بما وقصور النظر عليها، فبصرك اليوم حديد، نافذ لزوال المانع للأبصار، وقيل الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمعنى: كنت في غفلة من أمر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن، فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد اتفق مع الإمام البيضاوي في أصول العام والخاص وقد أضاف الأصول الآخر وهو بيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير القرطبي (46/16، 15/17)

3 سبقت ترجمته

4 زاد المسير (161/4)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير البيضاوي (84/5-141-142)

سورة الزخرف:

أصل المسألة: إن النبوة مناف للبشر عند الكفار أم لا؟

"لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ¹، ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكُفِّرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْفَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ²"

إن الآية الأولى تدل على أن النبوة لا منافاة للبشرية عند الكفار؛ لأنهم قالوا لماذا نزل هذا القرآن على رجل عظيم، ولكن الآية الثانية تدل على أن عقيدة الكفار كانت عكسها؛ لأنهم قالوا "أبشر يهدوننا؟"، كيف يدفع التعارض بين الآيتين؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً كاملاً في تفسيره كما يلي:

قال الإمام الألوسي قيل للناس لا عند الناس للدلالة على أنهم اتخذوه أعجوبة لهم وفيه من زيادة تقييح حالهم ما لا يخفى إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ أي إلى بشر من جنسهم كقوله تعالى حكاية: "أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا"³ وقوله سبحانه: "لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلْنَا مَلَكًا"⁴ أو إلى رجل من أئمة رجالهم من حيث المال لا من حيث النسب لأنه صلى الله عليه وسلم كان من مشاهيرهم فيه وكان منه مكان لا يدفع فهو كقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ⁵ وفي بعض الآثار أنهم كانوا يقولون: العجب أن الله تعالى لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب والعجب من فرط جهلهم أما في قولهم الأول فحيث لم يعلموا أن بعث الملك إنما يكون عند كون المبعوث إليهم ملائكة كما⁶ قال تعالى: "قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا"⁷.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ" أي من إحدى القريتين مكة والطائف أو من رجالهما، وهذا باب آخر من إنكارهم للنبوة وذلك أنهم أنكروا أولاً أن يكون النبي بشراً ثم لما بكتوا بتكرير الحجج ولم يبق عندهم تصور رواج لذلك جاؤوا بالإنكار من وجه آخر فتحكموا على الله

1 سورة الزخرف: 31.

2 سورة التغابن: 6.

3 سورة الإسراء: 94.

4 سورة المؤمنون: 24.

5 سورة الزخرف: 31.

6 تفسير روح المعاني (60-59/6)

7 سورة الإسراء: 95.

سبحانه أن يكون الرسول أحد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة لأنهم لم يقولوا هذه المقالة تسليماً بل إنكاراً كأنه قيل: هذا الكذب الذي يدعي لو كان حقاً لكان الحقيق به رجل من القريتين عظيم وهذا منهم لجهلهم بأن رتبة الرسالة إنما تستدعي عظيم النفس بالتخلي عن الرذائل الدنية والتحلي بالكمالات والفضائل القدسية دون التزخرف بالزخارف الدنيوية¹.

النتيجة: قال الإمام الألوسي: إن الكفار أنكروا أولاً أن يكون النبي بشراً ثم لما بكتوا بتكرير الحجج ولم يبق عندهم تصور رواج لذلك جاؤوا بالإنكار من وجه آخر فتحكموا على الله سبحانه أن يكون الرسول أحد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة لأنهم لم يقولوا هذه المقالة تسليماً بل إنكاراً. إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيتين بأصول اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري²: "ما زالوا ينكرون أن يبعث الله بشراً رسولا، فلما علموا بتكرير الله الحجج أن الرسل لم يكونوا إلا رجالاً من أهل القرى، جاءوا بالإنكار من وجه آخر، وهو تحكمهم أن يكون أحد هذين، وقولهم: هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به، وأرادوا بعظم الرجل: رياسته وتقدمه في الدنيا، وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيماً"³.

قال الإمام الرازي⁴: "إن الكفار قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ له رؤوسنا؟ فقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم⁵، وقال تعالى يصف قول قريش: أهولاء من الله عليهم من يبتنا⁶ كالأستحقار بهم والأنفة منهم، أنهم قالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، وبالجملية فهذا التعجب يحتمل وجهين: أحدهما: أن يتعجبوا من أن يجعل الله بشراً رسولا، كما حكى عن الكفار أنهم قالوا:

1 تفسير روح المعاني (78/13)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير الكشاف (248/4)

4 سبقت ترجمته

5 سورة الزخرف: 31.

6 سورة الأنعام: 53.

أبعث الله بشرا رسولا¹، والثاني: أن لا يتعجبوا من ذلك بل يتعجبوا من تخصيص محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي والنبوة مع كونه فقيرا يتيماء، فهذا بيان أن الكفار تعجبوا من ذلك².

قال الإمام البيضاوي³: "أنزل عليه الذكر من بيننا إنكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم أو أدون منهم في الشرف والرئاسة كقولهم، لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، وأمثال ذلك دليل على أن مبدأ تكذيبهم لم يكن إلا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي، بل هم في شك من ذكرى من القرآن أو الوحي لميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن الدليل، وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب إن هذا إلا اختلاق"⁴.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اختلاف الأمكنة والأزمنة.

سورة الدخان: لم أجد أي تعارض في سورة الدخان بضوء تفسير روح المعاني.

سورة الجاثية:

أصل المسألة: نظرية الكفار في البعث

"مَا نَذِرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ⁵، وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا هُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ"⁶

إن الآية الأولى تدل على أن الكفار مترددون في البعث بعد الموت ولكن الآية الثانية تدل على أن الكفار لا يوقنون على البعث بعد الموت، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين؟

يجيب الإمام الألوسي عنه بوجهين كما يلي: الوجه الأول: قال الإمام الألوسي: الرد من قوله تعالى: "وما نحن بمستيقنين" إمكان الساعة أي لا نتيقن إمكانها أصلا فضلا عن تحقق وقوعها المدلول عليه بقوله تعالى: "إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا" فقولهم ذلك رد لهذا، ولعل المثبتين لأنفسهم الظن من غير إيقان بأمر الساعة غير القائلين إن هي إلا حياتنا الدنيا فإن ذلك ظاهر في أنهم منكرون للبعث جازمون بنفي الساعة فيكون الكفرة

1 سورة الإسراء: 94.

2 تفسير الرازي (648/3، 185/17)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير البيضاوي (25/5)

5 سورة الجاثية: 32.

6 سورة الجاثية: 24.

صنفين صنف جازمون بنفيها كأثمتهم وصنف مترددون متحيرون فيها فإذا سمعوا ما يؤثر عن آباؤهم أنكروها وإذا سمعوا الآيات للتلوة تقهقر إنكارهم فترددوا.

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي: يحتمل اتحاد قائل ذلك وقائل هذا إلا أن كل قول في وقت وحال فهو مضطرب مختلف الحالات تارة يحزم بالنفي فيقول: إن هي إلا حياتنا الدنيا وأخرى يظن فيقول إن نظن إلا ظنا، وقيل: الجزم هناك بنفي وقوعها والظن من غير إيقان هنا بمجرد إمكانها فهم مترددون بإمكانها الذاتي جازمون بعدم وقوعها بالفعل فتأمل¹.

النتيجة: إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيتين بتوجيهين وهما كما يلي: التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي إن الكفرة كانت صنفين صنف جازمون بنفيها وصنف مترددون متحيرون فيها.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي: يحتمل اتحاد قائل ذلك وقائل هذا إلا أن كل قول في وقت وحال فهو مضطرب مختلف الحالات تارة يحزم بالنفي وتارة يظن بالنفي. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بأصول العام والخاص وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري²: "قوله تعالى: وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً إِلَّا نَحْنُ وَلَا ظَنُّ إِلَّا ظَنُّنَا وَمَا نَحْنُ بِمُتَشَاقِقِينَ بِرَبِّد: وما أظنها تكون، فإن كانت على طريق التوهم إنَّ لي عند الله الحالة الحسنى من للكرامة والنعمة، قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا، وعن بعضهم: للكافر أمنيان، يقول في الدنيا: ولن رجعت إلى ربِّي إنَّ لي عنده للحسنى، ويقول في الآخرة: يا ليتني كنت ترابا"³.

قال الإمام أبو السعود العمادي⁴: "إن نظن إلا ظنا أي ما نفعل إلا نظن ظنا وقيل ما نظن إلا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى: وما نحن بمستقين أي لا مكانه فإن مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هلاؤلاء غير القائلين ما هي إلا حياتنا الدنيا"⁵.

قال الإمام الصاوي¹: "ويمكن الجواب بأن الكفار لعلمهم افترقوا فرقتين فرقة جازمة بنفي البعث وفرقة متحيرة فيه"².

1 تفسير روح المعاني (156/13)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير الزمخشري (205/4)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير أبي السعود (75/8)

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

سورة الأحقاف:

أصل المسألة: إن النبي يعلم ماذا يفعل معه في الآخرة أم لا؟

"قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ³، لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا⁴"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن النبي ﷺ لا يعلم ماذا يفعل بالنبي ﷺ في الآخرة؟ ولكن الآية الثانية تدل على أن النبي ﷺ يعلم كقوله تعالى "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"، فكيف يمكن الجمع بين الآيتين؟

يجيب الإمام الألوسي بأوجه مختلفة لدفع توهم التعارض بين الآيتين كما يلي:

الوجه الأول: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ" أي في الدارين على التفصيل ويشهد على هذا التفسير برواية ابن جبر عن الحسن. وأخرج ابن جرير عن الحسن أنه قال في الآية: أما في الآخرة فمعاذ الله تعالى قد علم صلى الله عليه وسلم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل.

قال الإمام الألوسي: حكى ابن جرير الطبري عن مالك بن أنس وقتادة وعكرمة والحسن أيضا. وابن عباس أن المعنى ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة.

الوجه الثاني: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "ولكن ما أدري ما يفعل بي" أي في الدنيا أخرج كما أخرج الأنبياء عليهم السلام من قبلي أم أقتل كما قتلت الأنبياء عليهم السلام من قبلي ولا بكم أمتي المكذبة أم أمتي المصدقة أم أمتي المرمية بالحجارة من أسماء قذفا أم المخسوف بما خسفا ثم أوحى إليه "وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ⁵" يقول سبحانه: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك فعرف عليه الصلاة والسلام أنه لا يقتل ثم أنزل الله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا⁶"

1 سبقت ترجمته

2 حاشية الصاوي (73/4)

3 سورة الأحقاف: 9.

4 سورة (الفتح): 2.

5 سورة الإسراء: 60.

6 سورة الفتح: 28.

يقول: أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الأديان ثم قال سبحانه له عليه الصلاة والسلام في أمته: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ"¹ فأخبره الله تعالى بما صنع به وما يصنع بأمته².

إن الآية الأولى متعلقة بالدنيا عند الكلبي أيضا³.

الوجه الثالث: قال الإمام الألوسي: وأخرج أبو داود في ناسخه من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال في الآية: نسختها الآية التي في الفتح "لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ"⁴ فخرج صلى الله عليه وسلم إلى الناس فبشرهم بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال رجل من المؤمنين: هنيئا لك يا نبي الله قد علمنا الآن ما يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى في سورة الأحزاب "وَيَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا"⁵ وقال سبحانه: "لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ"⁶ فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم⁷. واستشكل على تقدير صحته بأن النسخ لا يجري في الخبر فلعل المنسوخ الأمر بقوله تعالى: "قُلْ" إن قلنا: إنه هنا للتكرار أو المراد بالنسخ مطلق التغيير⁸.

الوجه الرابع: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "لا أدري" ما أومر به ولا ما تؤمرون به في باب التكليف والشرائع والجهد ولا في الابتلاء والامتحان.

التفسير المختار عند الإمام الألوسي: والذي اختاره أن المعنى على نفي الدراية من غير جهة الوحي سواء كان الدراية تفصيلية أو إجمالية وسواء كان ذلك في الأمور الدنيوية أو الأخروية وأعتقد أنه صلى الله عليه وسلم لم ينتقل من الدنيا حتى أوتي من العلم بالله تعالى وصفاته وشؤونه والعلم بأشياء يعد العلم بها كمالا ما لم يوتيه أحد غيره من العالمين، ولا أعتقد فوات كمال بعدم العلم بمحوادث دنيوية جزئية كعدم العلم بما يصنع زيد مثلاً في بيته

1 سورة الأنفال: 33.

2 تفسير الطبري (640/14-122/21)، و انظر: تفسير روح المعاني (167/13)

3 انظر: تفسير روح المعاني (167/13)

4 سورة الفتح: 2.

5 سورة الأحزاب: 47.

6 سورة الفتح: 5.

7 تفسير الطبري (121/21) و انظر: تفسير روح المعاني (167/13)

8 انظر: تفسير روح المعاني (167/13)

وما يجري عليه في يومه أو غده، ولا أرى حسناً قول القائل: إنه عليه الصلاة والسلام يعلم الغيب وأستحسن أن يقال بدله: إنه صلى الله عليه وسلم أطلعه الله تعالى على الغيب أو علمه سبحانه إياه أو نحو ذلك¹.

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي توجيهات مختلفة لدفع التعارض بين الآيات القرآنية كما يلي:

التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي إن الآية متعلقة بالدارين أو الآخرة كما روي عن الحسن.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي إن الآية متعلقة بالدنيا.

التوجيه الثالث: قال الإمام الألوسي إن الآية الأولى منسوخة بآية الثانية والمراد من النسخ مطلق التغيير.

التوجيه الرابع: قال الإمام الألوسي والذي اختاره المراد من قوله تعالى: "ما أدري ما يفعل الخ" نفي الدراية من غير جهة الوحي سواء كان الدراية تفصيلية أو إجمالية وسواء كان ذلك في الأمور الدنيوية أو الأخروية.

إن الإمام الألوسي دفع التعارض بأصول العام والخاص وبيان معرفة اختلاف الأمكنة والأزمنة وبأصول النسخ وبيان تفسير القرآن بالقرآن.

أقوال العلماء:

قال الإمام أبو جعفر الطبري²: "وما أدري ما يفعل بي ولا بكم"³، اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: عني به رسول الله ﷺ وقيل له: قل للمؤمنين بك ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، وإلام نصير هنالك، قالوا: ثم بين الله لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين به حالهم في الآخرة، فقيل له⁴: "إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"⁵، وقال: ليدخل المؤمن والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم"⁶.

قال الإمام الزمخشري⁷: "وما أدري لأنه لا علم لي بالغيب - ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله، ويقدر لي ولكم من قضاياه إن أتبع إلا ما يوحى إليّ وعن الحسن: وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا، ومن الغالب منا والمغلوب. وعن الكلبي: قال له أصحابه، وقد ضجروا من أذى للمشركين: حتى متى نكون

1 تفسير روح المعاني (168/13)

2 سبقت ترجمته

3 سورة الأحقاف: 9.

4 تفسير الطبري (120/21)

5 سورة الفتح: 2.

6 سورة الفتح: 5.

7 سبقت ترجمته

على هذا؟ فقال: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم، آترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لي ورأيتهما، يعني في منامه، ذات نخيل وشجر؟ وعن ابن عباس: ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة، وقال: هي منسوخة بقوله: لِيُخَفِّرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ¹.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع الإمام الطبري والإمام الزمخشري لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص وقد اتفق مع الإمام الطبري لرفع الإشكال في بيان تفسير القرآن بالقرآن وقد اتفق مع الإمام الزمخشري لرفع الإشكال في أصول النسخ وقد أضاف الأصول الآخر وهو بيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

المبحث الثالث: من بداية سورة محمد إلى آخر سورة الحجرات

سورة محمد:

أصل السألة: إن الله تعالى يطلب أموال الناس أم لا؟
"إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ¹، خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"²
فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الله تعالى لا يطلب أموالكم ولكن الآية الثانية تدل على أن الله تعالى أحكم النبي ﷺ "خذ من أموالهم" فكيف الجمع بين الآيتين؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً كاملاً في تفسيره وذكر التوجيهات المختلفة لحل الإشكال المذكور كما يلي:
"وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ" عطف على الجزاء والإضافة للاستغراق، وللمعنى إن تؤمنوا لا يسألكم جميع أموالكم كما يأخذ من الكافر جميع ماله، وفيه مقابلة حسنة لقوله تعالى: "يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ" كأنه قيل: يعطكم كل الأجر ويسألكم بعض المال أو ربع العشر وهو ما شرعه سبحانه من الزكاة، ويشهد على هذا التفسير بقول سفيان بن عيينة. وقيل: أي لا يسألكم ما هو ما لكم حقيقة وإنما يسألكم ماله عز وجل وهو المالك لها حقيقة وهو جل شأنه المنعم عليكم بالانتفاع بها. وقيل: أي لا يسألكم أموالكم لحاجته سبحانه إليها بل ليرجع إنفاقكم إليكم، وقيل: أي لا يسألكم الرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من أموالكم أجراً على تبليغ الرسالة³ كما قال تعالى: "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ"⁴.

النتيجة: التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي: إن الله تعالى لا يستلکم جميع أموالکم كما يأخذ الکافر جميع ماله.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي إن الله تعالى لا يسألكم أموالكم لحاجته سبحانه إليها بل ليرجع إنفاقكم إليكم ويسألكم بعض المال أو ربع العشر. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيتين بأصول العام والخاص. أقوال العلماء:

1 سورة محمد: 36.

2 سورة التوبة: 103.

3 انظر: تفسير روح المعاني (235/13)

4 سورة ص: 86.

قال الإمام الزمخشري¹: "وَلَا يَسْأَلُكُمْ" أي ولا يسألكم جميعها، إنما يقتصر منكم على ربع العشر².
 قال الإمام القرطبي³: "وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ" أي لا يأمركم بإخراج جميعها في الزكاة، بل أمر بإخراج البعض، قاله
 ابن عيينة وغيره. وقيل: "لَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ" لنفسه أو لحاجة منه إليها، إنما يأمركم بالإتفاق في سبيله ليرجع ثوابه
 إليكم. وقيل: "لَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ" إنما يسألكم أمواله، لأنه المالك لها وهو المنعم بإعطائها. وقيل: ولا يسألكم
 محمد أموالكم أجرا على تبليغ الرسالة. نظيره: "قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ"⁴ الآية⁵.
 قال الإمام الرازي⁶: "لَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ" كلها، وإنما يسألكم شيئا يسيرا منها وهو ربع العشر، وهو قليل جدا
 لأن العشر هو الجزء الأقل⁷.
 خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام
 والخاص.

سورة الفتح: لم أجد أي تعارض في سورة الفتح بضوء تفسير روح المعاني.
 سورة الحجرات: لم أجد أي تعارض في سورة الحجرات بضوء تفسير روح المعاني.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الكشاف (330/4)

3 سبقت ترجمته

4 سورة الفرقان : 57.

5 تفسير القرطبي (257/16)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير الرازي (62/28)

المبحث الرابع: من بداية سورة ق إلى آخر سورة الواقعة

سورة ق: لم أجد أي تعارض في سورة ق بضوء تفسير روح المعاني.

سورة الذاريات:

أصل المسألة: إن الناس يفرون من الله تعالى أو يحذرونه؟

"فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِيَّايَ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ¹، يَوْمَ يُجَذُّ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ شَوْءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ"²

إن الآية الأولى تدل على أن الله تعالى يرغب العباد إلى نفسه ولكن الآية الثانية تدل على التحذير، وإن الإنسان لم يفروا إلى التحذير بل يبعد من التحذير يعني الآية الأخرى تدل على عدم رغبة الله تعالى، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين المذكورتين؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً شافياً ببيان توجيه الآيتين كما يلي:

"وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ" قيل: ذكره أولاً للمنع عن موالاة الكفار وهنا حثاً على عمل الخير والمنع من عمل السوء مطلقاً. وجوز أن يكون معطوفاً على تَوَدُّ أي تحاب من ذلك اليوم ومن العمل السيء "وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ" بإظهار قهاريته وهو مما لا يكاد ينبغي أن يخرج الكتاب العزيز عليه.³

"فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ" لمكان "إِيَّايَ لَكُمْ مِنْهُ" أي من عقابه تعالى المعد لمن لم يفر إليه سبحانه ولم يوحد، وقيل: إن المراد بقوله تعالى: "فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ" الأمر بالإيمان وملازمة الطاعة⁴ قوله تعالى: "فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا"⁵ وقوله سبحانه: "وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا"⁶

النتيجة: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "يحذركم الله نفسه" في الحقيقة حين ينشئ التحذير في قلب المؤمن هو يعمل الخير ويمنع نفسه من عمل السوء، وفي الحقيقة المطيع الإنسان يحذر من الله تعالى والتحذير لم يبعد الإنسان من الله تعالى بل بواسطة التحذير حصل القرب إلى الله تعالى. فإذاً لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيتين بأصول العام والخاص واللغة.

1 سورة الذاريات: 50.

2 سورة آل عمران: 30.

3 انظر: تفسير روح المعاني (124/2)

4 انظر: تفسير روح المعاني (19-18/14)

5 سورة الكهف: 110.

6 سورة النساء: 36.

أقوال العلماء:

قال الإمام الفراء¹: "معناه: فَرُّوا إِلَيْهِ إِلَى طَاعَتِهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ"².

قال الإمام ابن الجوزي³: "فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ، بِالتَّوْبَةِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَالْمَعْنَى: اهْرَبُوا مِمَّا يُوجِبُ الْعِقَابَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ إِلَى مَا يُوجِبُ الثَّوَابَ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْإِيمَانِ"⁴.

قال الإمام الزمخشري⁵: "قوله: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه وَاللَّهُ زَوَّفَ بِالْعِبَادِ، يعنى أنا تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه، وعن الحسن من رآفته بهم أن حذرهم نفسه، ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذوراً لعلمه وقدرته، مرجو لسعة رحمته"⁶ كقوله تعالى: "إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ".

خلاصة الكلام: إن الإمام الآلوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أضاف الأصول الآخر وهو العام والخاص.

سورة الطور: لم أجد أي تعارض في سورة الطور بضوء تفسير روح المعاني.

سورة النجم:

أصل المسألة: إن سعي الناس يفيد فقط أو مفيد للآخرين؟

"وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى⁷، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ"⁸

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن سعي الإنسان يفيد فقط بدون الآخرين كما جاء في قوله تعالى "ليس للإنسان إلا ما سعى" ولكن الآية الثانية تدل على أن سعي الإنسان لا يفيد فقط بل أيضا مفيد للآخرين، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين؟

1 سبقت ترجمته

2 معاني القرآن للفراء (43/5)

3 سبقت ترجمته

4 زاد المسير (173/4)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير الزمخشري (353/1)

7 سورة النجم: 39.

8 سورة الطور: 21.

يجيب الإمام الألوسي جواباً كاملاً في تفسير كما يلي:

قال: وأنه تعالى لما قال هناك في المؤمنين: "أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ"¹ إلخ قال سبحانه هنا في الكفار، أو في الكبار: "وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى"² خلاف ما دخل في المؤمنين الصغار³.

"أَلَّا تَرَىٰ وَاِزْرًا وُزِّرَ أُخْرَىٰ" أي إنه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى، فقيل: هو "أَلَّا تَرَىٰ" إلخ، والمعنى أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه، ولا يقدر في ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: "من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة"⁴ فإن ذلك وزر الإضلال الذي هو وزر لا وزر غيره، وقوله تعالى: "وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى" بيان لعدم إثابة الإنسان بعمل غيره إثر بيان عدم مواخذته بذنب غيره.

واستشكل بأنه وردت أخبار صحيحة بنفع الصدقة عن الميت، منها ما أخرجه مسلم والبخاري عن عائشة (أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن أمتي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم)⁵ وكذا بنفع الحج. أخرج البخاري عن ابن عباس قال: "أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: إن أختي نذرت لأن تحج وأنها ماتت فقال النبي عليه الصلاة والسلام: لو كان عليها دين أكننت قاضيه؟ قال: نعم قال: فحق الله أحق بالقضاء"⁶.

أجاب الإمام الألوسي بنفسه بعد ورود الأحاديث وأقوال العلماء المفسرين وقال: أجيب بأن الغير لما نوى ذلك الفعل له صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعاً فكأنه بسعيه، وهذا لا يتأتى إلا بطريق عموم المجاز، أو الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يجوز، وأجيب أيضاً بأن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنياً على سعي نفسه من الإيمان فكأنه سعيه، ودل على بقاءه على ذلك ما أخرجه أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن العاص بن

1 سورة الطور: 21.

2 سورة النجم: 39.

3 تفسير روح المعاني (44/14)

4 صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (704/2)، رقم الحديث: 1017.

5 صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب موت الفجأة البغنة (385/3)، رقم الحديث: 1388.

6 صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب من مات وعليه نذر (142/8)، رقم الحديث: 6699.

وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة وأن هشاما ابنه نحو حصته خمسين وأن عمرا سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك فقال: "وأما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك"¹.

وأجيب بهذا عما قيل: إن تضعيف الثواب الوارد في الآيات ينافي أيضا القصر على سعيه وحده، وأنت تعلم ما في الجواب من النظر، وقال بعض أجلة المحققين إنه ورد في الكتاب والسنة ما هو قطعي في حصول الانتفاع بعمل الغير وهو ينافي ظاهر الآية فتقيد بما لا يهيه العامل، وسأل والي خراسان عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله تعالى: **وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ**² فقال: ليس له بالعدل إلا ما سعى وله بالفضل ما شاء الله تعالى فقبل عبد الله رأس الحسين وقال عكرمة: كان هذا الحكم في قوم إبراهيم وموسى عليهما السلام، وأما هذه الأمة فلا إنسان منها سعي غيره يدل عليه حديث سعد بن عباد "هل لأمي إذا تطوعت عنها؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم: نعم"³.

وقال الربيع: الإنسان هنا الكافر، وأما للمؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره، وعن ابن عباس أن الآية منسوخة⁴ بقوله تعالى: **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**⁵.

النتيجة: التوجيه الأول: قال الإمام الألوسي إن الآية الأولى مخصوصة بالكفار والآية الثانية متعلقة بالمؤمنين.

التوجيه الثاني: قال الإمام الألوسي إن الآية الثانية ناسخة لآية الثانية كما قال ابن عباس.

التوجيه الثالث: قال الإمام الألوسي إن هذا الحكم كان في قوم إبراهيم وموسى عليهما السلام، وأما هذه الأمة فلا إنسان منها سعي غيره كما استدلل الإمام الألوسي بالأحاديث على التفسير المذكور.

التوجيه الرابع: أجاب الإمام الألوسي بلفظ "أجيب" وقال: بأن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعي نفسه من الإيمان فكانه سعيه. إن الإمام الألوسي دفع التعارض بتخصيص الآيتين بالكفار والمسلمين أو في قوم إبراهيم وموسى عليهما السلام وبمعرفة الحديث والنسخ. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيتين بأصول العام والخاص وبيان الحديث والنسخ.

1 مسند أحمد، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما (307/11)، رقم الحديث: 6704. حكم الحديث: قال الشيخ الألباني هذا حديث صحيح، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (873/1)

2 سورة البقرة: 261.

3 صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب إذا قال: أرضي أو يستاني صدقة لله عن أمي فهو جائز، وإن لم يبين لمن ذلك (385/3)، رقم الحديث: 2756.

⁴ تفسير روح المعاني (67/14)

5 سورة الطور: 21.

أقوال العلماء:

قال أبو جعفر الطبري¹: "قوله: ألا تزر وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى²، إلى قوله: من النذر الأول³، قال: هذا في صحف إبراهيم وموسى، وإنما عني بقوله: ألا تزر وزر أخرى⁴، الذي ضمن للوليد بن المغيرة أن يتحمل عنه عذاب الله يوم القيامة، يقول: ألم يخبر قائل هذا القول، وضامن هذا الضمان بالذي في صحف موسى وإبراهيم مكتوب: أن لا تأثم آثمة إثم أخرى غيرها، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى⁵، يقول جل ثناؤه: أولم ينبا أنه لا يجازى عامل إلا بعمله، خيراً كان ذلك أو شراً⁶."

قال الإمام ابن الجوزي⁷: "وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، قال الزجاج: هذا في صحفهما أيضاً ومعناه: ليس للإنسان إلا جزاء سعيه، إن عمل خيراً جزى عليه خيراً، وإن عمل شراً جزى شراً⁸."

قال الإمام القرطبي⁹: "وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، قلت: ويحتمل أن يكون قوله: وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، خاص في السيئة؛ بدليل ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبها له حسنة فإن عملها كتبها له عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبها سيئة واحدة¹⁰."

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع الإمام الطبري والإمام ابن الجوزي لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص وقد اتفق مع الإمام القرطبي لرفع الإشكال في بيان الحديث وقد أضاف الأصول الآخر وهو النسخ.

1 سبقت ترجمته

2 سورة النجم: 39.

3 سورة النجم: 56.

4 سورة النجم: 38.

5 سورة النجم: 39.

6 تفسير الطبري (79/22)

7 سبقت ترجمته

8 زاد المسير (80/8)

9 سبقت ترجمته

10 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت و إذا هم (117/1)، رقم الحديث: 131.

قال الإمام القرطبي³: "في يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ أي في يوم كان مشؤوما عليهم، وقال ابن عباس: أي في يوم كانوا يتشاءمون به، الزجاج: قيل في يوم أربعاء، ابن عباس: كان آخر أربعاء في الشهر أفنى صغيرهم وكبيرهم، وقرأ هارون الأعور نَحْسٍ، بكسر الحاء وقد مضى القول فيه في فصلت: في أَيَّامِ نَحْسَاتٍ⁴، و في يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ، أي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوه، واستمر عليهم فيه العذاب إلى الهلاك، وقيل: استمر بهم إلى نار جهنم"⁵.
قال الإمام البيضاوي⁶: "إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا، باردا أو شديد الصوت، في يوم نحس شؤم، مستمر أي استمر شؤمه، أو استمر عليهم حتى أهلكهم، أو على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم أحدا، أو اشتد مرارته وكان يوم الأربعاء آخر الشهر"⁷.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة.

أصل المسألة: نظرية نسب العقر

"فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ⁸، فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَنَّدَمْ عَلَيْهَمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا⁹، فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ¹⁰"

أورد الإمام الألوسي الإشكال بين الآيتين بنفسه وقال: فَعَقَرُوهَا نسب العقر إليهم كلهم مع أن عاقرها واحد منهم وهو قدار بن سالف كما جاء في الآية الأولى، فكيف يدفع التعارض بين الآيات؟

يجيب الإمام الألوسي جوابا شافيا في تفسيره لدفع توهم التعارض بين الآيات المذكورة كما يلي:

قال الإمام الألوسي: "فَعَقَرُوهَا" نسب العقر إليهم كلهم مع أن عاقرها واحد منهم وهو قدار بن سالف وكان نساجا على ما ذكره غير واحد، وجاء في رواية أن مسطعا ألجأها إلى مضيق في شعب فرماها بسهم فأصاب

1 سورة مريم: 33.

2 تفسير الرازي (303/29)

3 سبقت ترجمته

4 سورة فصلت: 16.

5 تفسير القرطبي (135/17)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير البيضاوي (132/4)

8 سورة القمر: 29.

9 سورة الشمس: 14.

10 سورة الشعراء: 157.

رجلها فسقطت ثم ضربها قدار لما روي أن عاقرها قال: لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقول: أترضين؟ فتقول: نعم وكذلك الصبيان فرضوا جميعا، وقيل: لأن العقر كان يأمرهم ومعاونتهم جميعا كما يفصح عنه¹ قوله تعالى: "فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ"².

"فَعَقَرُوا النَّاقَةَ" أن نحرها. قال الأزهري: أصل العقر عند العرب قطع عرقوب البعير ثم استعمل في النحر لأن ناجر البعير يعقره ثم ينحره وإسناده إلى الكل مع أن المباشر البعض مجاز للملابسة الكل لذلك الفعل لكونه بين أظهرهم وهم متفقون على الضلال والكفر أو لرضا الكل به أو لأمرهم كلهم به كما ينبيء عنه³ قوله تعالى: "فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ"⁴.

النتيجة: قال الإمام الألوسي: ما عقر الناقة قدار بن سائق مفردا بل بمشاورتهم ومعاونتهم لذا قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين، فإذا لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيتين بمعرفة اختلاف الأمكنة والأزمنة والرواية الإسرائيلية.

أقوال العلماء:

قال أبو جعفر الطبري⁵: "فقال الغلام ابن العاشر: هل لكم في أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم، فأظهروا دينهم، فأتابها الغلام، فلما بصرت به شدت عليه، فهرب منها، فلما رأى ذلك، دخل خلف صخرة على طريقها فاستتر بها، فقال: أحيشوها علي، فأحاشوها عليه، فلما جازت به نادوه: عليك، فتناولها فعقرها، فسقطت، فذلك قوله تعالى: فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر"⁶، وأظهروا حينئذ أمرهم، وعقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم"⁷.

قال الإمام الرازي⁸: "ثم قال تعالى: فنادوا صاحبهم، نداء المستغيث كأنهم قالوا: يا لقدار للقوم، كما يقول القائل: بالله للمسلمين وصاحبهم قدار وكان أشجع وأهجم على الأمور ويحتمل أن يكون رئيسهم. وقوله تعالى: فتعاطى فعقر، يحتمل وجوها الأول: تعاطى آلة العقر، فعقر الثاني: تعاطى الناقة فعقرها وهو أضعف الثالث:

1 تفسير روح المعاني (113/10)

2 سورة القمر: 29.

3 تفسير روح المعاني (403/4)

4 سورة القمر: 29.

5 سبقت ترجمته

6 سورة القمر: 29.

7 تفسير الطبري (284/10)

8 سبقت ترجمته

التعاطي يطلق ويراد به الإقدام على الفعل العظيم والتحقيق هو أن الفعل العظيم يقدم كل أحد فيه صاحبه ويرى نفسه منه فمن يقبله ويقدم عليه يقال: تعاطاه كأنه كان فيه تدافع فأخذه هو بعد التدافع أن القوم جعلوا له على عمله جعلاً فتعاطاه وعقر الناقة" ¹.

قال الإمام البيضاوي ²: "فنادوا أصحابهم، قدار بن سالف أحيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف" ³.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اختلاف الأمكنة والأزمنة والرواية الإسرائيلية.

سورة الرحمن:

أصل المسألة: كم المشار والمغارب في هذا العالم؟

"رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ" ⁴، فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ⁵، رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⁶.

فإن قيل إن لفظ المشرق والمغرب جاء في الآية الأولى بالثنى وفي الآية الثانية بالجمع وفي الآية الثالثة بالمفرد فكيف يدفع التعارض بين الآيات؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً شافياً في تفسيره لدفع توهم التعارض المذكور بقول ابن عباس رضي الله عنهما والتفسير الإشاري كما يلي: وقال: المراد بالمشارك عند جمع مشارق الشمس لأنها المعروفة الشائعة فيما بينهم وهي بعدد أيام السنة فإنها في كل يوم تشرق من مشرق وتغرب من مغرب فالمغارب متعددة تعدد المشارق، وعن ابن عطية أن مشارق الشمس مائة وثمانون ⁷، وإن نظر إلى تغايرها كانت ثلاثمائة وستين، وفي هذا إسقاط الكسر فإن السنة الشمسية تزيد على ذلك العدد بنحو ستة أيام على ما بين في موضعه، وفسرت المشارق أيضاً بمشارق الكواكب، ورجح بأنه المناسب لقوله تعالى بعد إِنَّا زَيْنًا أَلْحَ، وهي للسيارات منها متفاوتة في العدد، وأكثرها

1 تفسير الرازي (311/29)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير البيضاوي (167/5)

4 سورة الرحمن: 17.

5 سورة المعارج: 40.

6 سورة المزمل: 9.

7 تفسير ابن عطية (465/4)

مشارك على ما هو المعروف عند المتقدمين، وتثنية المشرق والمغرب في قوله تعالى: "رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ"¹ على إرادة مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما، وإعادة رَبُّ هنا مع المشارك لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجدها كل يوم².

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن "الْمَشْرِقَيْنِ" مشرق الفجر ومشرق الشفق، و"الْمَغْرِبَيْنِ" مغرب الشمس ومغرب الشفق³. "رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ" رب مشرق شمس النبوة ومشرق قمر الولاية في العالم الجسماني ورب مغربهما في العالم الروحاني⁴. "رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا" وذلك لأنه لم يكن في الجواب الأول تصريح باستناد حركات السماوات وما فيهما وتغيرات أحوالها وأوضاعها وكون الأرض تارة مظلمة وأخرى منورة إلى الله تعالى، وفي هذا إرشاد إلى ذلك فإن ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السماوات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الأوضاع الرصينة وكل ذلك أمور حادثة لا شك في افتقارها إلى محدث قادر عليم حكيم⁵.

النتيجة: قال الإمام الألوسي: إن الشمس في كل يوم تشرق من مشرق وتغرب من مغرب فالمغارب متعددة تعدد المشارق والمراد من تثنية المشرق والمغرب: مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما.

وذكر الإمام الألوسي موقف المتصوفة: المراد من قوله تعالى: "رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ" رب مشرق شمس النبوة ومشرق قمر الولاية في العالم الجسماني ورب مغربهما في العالم الروحاني.

قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا" أي ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السماوات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الأوضاع الرصينة.

إن الإمام الألوسي دفع التعارض بين الآيات بمعرفة اختلاف الأمكنة والأزمنة والتفسير الإشاري.

أقوال العلماء: قال أبو جعفر الطبري⁶: قوله: رب المشرقين ورب المغربين⁷ "قال: مشارق الصيف ومغارب الصيف، مشرقان تجري فيهما الشمس ستون وثلاث مئة في ستين وثلاث مئة برج، لكل برج مطلع، لا تطلع

1 سورة الرحمن: 17.

2 تفسير روح المعاني (66/12)

3 تفسير ابن أبي حاتم (3323/10)، انظر: تفسير روح المعاني (105/14)

4 تفسير روح المعاني (126/14)

5 تفسير روح المعاني (73/10)

6 سبقت ترجمته

7 سورة الرحمن: 17.

يومين من مكان واحد وفي المغرب ستون وثلاث مئة برج، لكل برج مغيب، لا تغيب يومين في برج، قوله: (رب المشرق¹)، قال: المشرق ستون وثلاث مئة مشرق، والمغرب مثلها، عدد أيام السنة، ومن قوله موسى عليه السلام: رب المشرق والمغرب²)، وحاصله يرجع إلى أن أفول الشمس وطلوعها يدلان على كونها تحت تدبير مدبر قاهر فكانت العبادة لقاهاها والمتصرف فيها أولى³.

قال الإمام القرطبي⁴: "قوله تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ⁵، أراد بالمشرقين أقصى مطلع تطلع منه الشمس في الأيام الطوال، وأقصر يوم في الأيام القصار⁶، رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ أي ليس ملكه كملكك، لأنك إنما تملك بلدا واحدا لا يجوز أمرك في غيره، ويموت من لا تحب أن يموت، والذي أرسلني يملك المشرق والمغرب، رَبُّ الْمَشْرِقِ، ومن علم أنه رب المشرق والمغرب انقطع بعمله وأمله إليه⁷.

قال الإمام الرازي⁸: "اللام في قوله تعالى: والله المشرق والمغرب لام الاختصاص أي هو خالقهما ومالكهما، وهو كقوله: رب المشرقين ورب المغربين⁹، وقوله: رب المشرق والمغرب¹⁰، ورب المشرق والمغرب¹¹، ثم إنه سبحانه أشار بذكرها إلى ذكر من بينهما من المخلوقات¹²، كما قال: ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين¹³".

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اختلاف الأمكنة والأزمنة وقد أضاف الأصول الآخر وهو التفسير الإشاري.

1 سورة الصافات: 5.

2 سورة الشعراء: 28.

3 تفسير الطبري (198/22، 496/19، 553/24)

4 سبقت ترجمته

5 سورة الرحمن: 17.

6 تفسير القرطبي (64/15)

7 تفسير القرطبي (45/19، 45/19)

8 سبقت ترجمته

9 سورة الرحمن: 17.

10 سورة المعارج: 40.

11 سورة المزمل: 9.

12 تفسير الرازي (21/4)

13 سورة فصلت: 11.

سورة الواقعة:

أصل المسألة: الفرق بين حطاما وأجاجا

"لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ"¹، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ"²

فإن قيل قال الله تعالى في الآية الأولى "حطاما" وفي الآية الثانية "أجاجا" فكيف يدفع التعارض بين الآيتين المذكورتين؟

يجيب الإمام الألويسي جوابا كاملا في تفسيره لدفع توهم التعارض بين الآيتين المذكورتين كما يلي: قال الإمام الألويسي المراد من قوله تعالى: "لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ حُطَامًا" هشيما متكسرا متفتتا لشدة يسه بعد ما أنبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله. المراد من قوله تعالى "نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا" ملححا ذعاقا لا يمكن شربه من الأجيح وهو تلهب النار. وقيل: الأجاج كل ما يلذع الفم ولا يمكن شربه فيشمل الملح والمر والحار. وأما المطعوم فإن جعله حطاما من الأشياء الخارجة عن المعتاد³.

النتيجة: قال الإمام الألويسي: حطاما وأجاجا جاء في القرآن الكريم بالفاظ مختلفة ولكن معناها سواء، فإذا لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألويسي اندفع التعارض بأصول معرفة المعنى المشترك اللفظي واللغة. أقوال العلماء: ما وجدت أقوال علماء الآخرين لدفع توهم التعارض بين الآيتين كما ذكر الإمام الألويسي.

1 سورة الواقعة:65.

2 سورة الواقعة:70.

3 تفسير روح المعاني (148/14)

المبحث الخامس: من بداية سورة الحديد إلى آخر سورة التحريم
سورة الحديد:

أصل المسألة: إن الله تعالى في كل مكان أم لا؟

"هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ¹، إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَبِيبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ²"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الله تعالى استوى على العرش ولكن الآية الثانية تدل على أن الله تعالى معكم أين ما كنتم، فكيف يدفع توهم التعارض بين الآيتين المذكورتين؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً شافياً لدفع توهم التعارض بين الآيتين المذكورتين كما يلي: وقال: "استوى على العرش" وهو في المشهور الجسم المحيط بسائر الأجسام وهو فلك الأفلاك سمي به إما لارتفاعه أو للتنشيه بسرير الملك فإنه يقال له عرش ومنه قوله تعالى: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ³" لأن الأمور والتدبيرات تنزل منه، ويكنى به عن العز والسلطان والملك فيقال: فلان ثل عرشه أي ذهب عزه وملكه وأنشدوا قوله:

إذا ما بنو مروان ثلث عروشهم ... وأودت كما أودت إباد وحمير

وقوله: إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب⁴

قال الإمام الألوسي إن العرش مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم ويشهد على هذا التفسير بقول الراغب⁵، وما روي عن مالك رضي الله تعالى عنه أنه سئل كيف استوى؟ فأطرق رأسه ملياً حتى علتة الرخصاء ثم رفع رأسه فقال: الاستواء غير مجهول. والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة⁶.

1 سورة الحديد:4.

2 سورة الأعراف:54.

3 سورة يوسف: 100.

4 نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ((الفتح المعلق في التاريخ المعلق))، لابن سعيد الأندلسي، ت: الدكتور نصرت عبد الرحمن، كلية الآداب في الجامعة الأردنية (ص:161)

5 المفردات في غريب القرآن (ص:558)

6 تفسير روح المعاني (374/4)

"وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ" تمثيل لإحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما كانوا، وقيل: المعية مجاز مرملة عن العلم بعلاقة السببية والقرينة السباق واللاحاق مع استحالة الحقيقة، وقد أول السلف هذه الآية بذلك، و عن ابن عباس أنه قال فيها: عالم بكم أينما كنتم. وأخرج أيضا عن سفيان الثوري أنه سئل عنها فقال: علمه معكم¹.

التهجيعة: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى "استوى على العرش" أي العز والسلطان والملك والمراد من الآية الثانية: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ" أي تمثيل لإحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما كانوا فإذا لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بأصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام الرازي²: "تحت قوله تعالى: وهو معكم، قال المتكلمون: هذه المعية إما بالعلم وإما بالحفظ والحراسة"³. قال الإمام القرطبي⁴: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ يعني بقدرته وسلطانه وعلمه، وقد يؤول العرش في الآية بمعنى الملك، أي ما استوى الملك إلا له جل وعز، وهو قول حسن"⁵.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص.

1 تفسير روح المعاني (168/14-169)، الأسماء والصفات للبيهقي، لأحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقل بن هادي الوادعي، ن: مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م، عدد الأجزاء: 2 (311/2)

2 سبقت ترجمته

3 تفسير الرازي (449/29)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير القرطبي (237/17، 221/7)

سورة الحشر:

أصل المسألة: إن ولاء المسلمين مع الكفار جائز أم لا؟

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ فَلْقُونِ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَيَاكُمُ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ¹، لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ²"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن أحكم الله تعالى للمؤمنين لا تتخذوا الكافرين أولياء ولكن الآية الثانية تدل على أن الله لم يمنع المؤمنين باتخاذ الكافرين أولياء، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً شافياً لدفع توهم التعارض بين الآيتين بالأحاديث وأقوال العلماء كما يلي:
قال الإمام الألوسي: بقوله عز قائلًا: "لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ" قال ابن عباس: كان الحجاج بن عمرو، وكهمس بن أبي الحقيق، وقيس بن زيد - والكل من اليهود - يباطنون نفراً من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة ابن المنذر، وعبد الله بن جبير، وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فأبى أولئك النفر إلا مباظنتهم وملازمتهم فأنزل الله هذه الآية، والآية الأولى نزلت مرة واحدة ولكن القصص المذكورة وقعت مراراً فأشار النبي ﷺ إلى الآية الأولى ففهم الصحابة نزلت حتى الآن في الحقيقة ليس هكذا" فمنسوخ بأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم استعان بيهود بني قينقاع ورضخ لهم واستعان بصفوان بن أمية في هوازن، وذكر بعضهم جواز الاستعانة بشرط الحاجة والوثوق أما يدونهما فلا يجوز³.

قال الإمام الألوسي "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ" أي لا ينهاكم سبحانه وتعالى عن البر هؤلاء كما يقتضيه كون "أَنْ تَبَرُّوهُمْ" بدل اشتغال من الموصول "وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ" أي تفضوا إليهم بالقسط أي العدل، فالفعل مضمن معنى الإفضاء ولذا عدي بـإلى "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" أي العادلين⁴. أخرج البخاري وغيره عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت: أنتني أمة رغبة وهي

1 سورة النساء: 44، و سورة الحشر: 1.

2 سورة الممتحنة: 8.

3 تفسير روح المعاني (2/116/118)

4 تفسير روح المعاني (14/268)

مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أصلها؟ فأنزل الله تعالى "لا ينهاكم الله" إلخ، فقال عليه الصلاة والسلام: "نعم صلي أملك"¹.

النتيجة: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "لا ينهاكم الله" إن الله تعالى لم ينه المؤمنين من كل كفار و يهود ونصاري بل الكفار واليهود والنصاري الذين يقتلون المؤمنين و يجادلون المؤمنين في الدين ويخرجون المسلمين من أرضهم فمنعهم الله تعالى المؤمنين والمسلمين منهم أن يتخذواهم أولياء. إن الإمام الألوسي اندفع التعارض بمعرفة بيان الحديث وأقوال العلماء وسبب النزول وبيان أصول العام والخاص.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري²: "والمعنى: لا ينهاكم، عن ميرة هؤلاء، وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء، وهذا أيضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم، حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم، وقيل: أراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه"³.

قال القاضي ثناء الله باني بتي⁴: "ومن هاهنا يظهران المنهي عنه إنما هو موالة أهل الحرب دون مبرتهم بشرط أن لا يضربا لمومنين وقد قال الله تعالى في الأسارى من أهل الحرب أماننا بعد وأما فداء وللمن نوع من البر"⁵.

قال الإمام ابن الجوزي: "إنما عامة في جميع الكفار، وهي منسوخة بقوله عز وجل: فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ أَوْ نَزَلَتْ فِي النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ"⁶.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع الإمام الزمخشري لحل الإشكال المذكور في أصول العام والخاص وقد اتفق مع الإمام ابن الجوزي في أصول سبب النزول لحل رفع الإشكال المذكور وقد أضاف الإمام ابن الجوزي لحل رفع الإشكال الأصول الآخر وهو النسخ.

و في سورة الحشر، و الممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم لم أجد أي تعارض في السور المذكورة.

1 صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صلة المرأة أمها ولها زوج (513/6)، رقم الحديث: 5979.

2 سبقت ترجمته

3 تفسير الكشاف (516/4)

4 سبقت ترجمته

5 التفسير المظهر (262/9)

6 زاد المسير (237/8)

المبحث السادس: من بداية سورة الملك إلى آخر سورة الناس

في سورة الملك، وسورة القلم لم أجد أي تعارض في سورة الملك وسورة القلم بضوء تفسير روح المعاني.

سورة الحاقة

أصل المسألة: من الطعام يعطى أهل جهنم؟

"وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ¹، لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ²"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الطعام الغسلين يكون للناس الذين يدخلون في جهنم ولكن الآية الثانية

تدل على أن يكون لهم الطعام الضريع، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين؟

يجب الإمام الألوسي جواباً كاملاً في تفسيره لدفع توهم التعارض بين الآيتين كما يلي: قال الإمام الألوسي المراد

من قوله تعالى: "وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ" قال اللغويون هو ما يجري من الجراح إذا غسلت فعلين من الغسل

وقال ابن عباس في رواية ابن أبي حاتم وابن المنذر من طريق عكرمة عنه أنه الدم والماء الذي يسيل من لحوم أهل

النار وفي معناه قوله في روايتهما من طريق علي بن أبي طلحة عنه هو صديد أهل النار. وأخرج ابن أبي حاتم من

طريق عنه أنه قال: ما أدري ما الغسلين ولكني أظنه الزقوم والأكثرون على الأول. وأخرج الحاكم وصححه عن

أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم لو أن دلوا من غسلين يهراق في الدنيا لأنن بأهل الدنيا³ وجعله

بعضهم متحداً مع الضريع فلا تناقض بين هذا الحصر والحصر في قوله تعالى: "لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ"⁴ إذ

المحصور في الآيتين هو من شيء واحد⁵.

النتيجة: قال الإمام الألوسي إن لفظ "الغسلين" و"ضريع" ألفاظهما مختلف ولكن معناهما سواء. إن الإمام

الألوسي دفع التعارض بين الآيتين بأصول معرفة اللغة.

أقوال العلماء:

قال الإمام القرطبي: "في موضع آخر: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، يجوز أن يكون الضريع من الغسلين، فَلَيْسَ

لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ، وقال هنا: إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، وهو غير الغسلين، ووجه الجمع أن النار

1 سورة الحاقة: 36.

2 سورة الفاشية: 6.

3 المستدرک علی الصحیحین للحاکم (544/2)، حکم الحديث: قال الإمام الذهبي هذا حديث صحيح على شرط البخاري

ولم يخرجاه (التعليق - من تلخيص الذهبي) (المستدرک علی الصحیحین (544/2)

4 سورة الفاشية: 6.

5 تفسير روح المعاني (58/15)

دركات؛ فمنهم من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الغسلين، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من شربه الحميم، ومنهم من شربه الصديد"¹.

قال الإمام الزمخشري: "فإن قلت: كيف قيل: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، وفي الحاقة: وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ؟ قلت: العذاب ألوان، والمعذبون طبقات، فمنهم، أكلة الزقوم، ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع"².

قال الإمام ابن الجوزي: "فإن قيل: إنه قد أخبر في هذه الآية: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ، وفي مكان آخر: وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ، فكيف الجمع بينهما؟ فالجواب: أن النار دركات، وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات، فمنهم من طعمائه الزقوم، ومنهم من طعامه غسولين، ومنهم من شربه الحميم، ومنهم من شربه الصديد"³.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة.

سورة المعارج:

أصل المسألة: إن السماء في أي حال يكون في يوم القيامة؟

"يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ⁴، فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ⁵"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن السماء في يوم القيامة يكون كالمهل ولكن الآية الثانية تدل على أنه في يومه كالدّهان، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين المذكورتين؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً شافياً في تفسيره لدفع توهم التعارض بين الآيتين المذكورتين كما يلي حيث قال: والمهل أخرج أحمد والضياء في المختارة وغيرها عن ابن عباس أنه دردي الزيت وهو ما يكون في قعره. وقال غير واحد: المهل ما أذيب على مهل من الفلزات والمراد يوم تكون السماء واهية وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في الآية أن السماء الآن خضراء وأنها تحول يوم القيامة لونا آخر إلى الحمرة⁶. "فَكَانَتْ وَرْدَةً" أي كالورد في الحمرة، والمراد بها النور المعروف قاله الزجاج وقاتدة، وقال ابن عباس وأبو صالح: كانت مثل لون الفرس الورد، والظاهر أن مرادها كانت حمراء.

1 تفسير القرطبي (273/18، 31/20)

2 تفسير الزمخشري (743/4)

3 زاد المسير (435/4)

4 سورة المعارج: 8.

5 سورة الرحمن: 37.

6 تفسير روح المعاني (66-67/15)

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (319)

وقوله تعالى: كَالِدِهَانِ خَيْرٌ ثَانٍ لَكَانَتْ أَوْ نَعْتَ لَوْرْدَةٌ أَوْ حَالٍ مِنْ أَسْمِ كَانَتْ عَلَى رَأْيٍ مِنْ أَجَازِهِ أَيْ كَدَهْنِ الزَّيْتِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: كَالْمُهْلِ¹ وهو دردي الزيت، وهو ما جمع دهن كقرط وقرط، أو اسم لما يدهن به كالحزام والأدام².

النتيجة: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "كالمهل" و"وردة" إن ألفاظهما مختلف ولكن معناها سواء فإن لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي رفع الإشكال بين الآيتين بأصول معرفة اللغة. أقوال العلماء:

قال الإمام أبو جعفر الطبري³: قوله: "يوم تكون السماء كالمهل"⁴، تتحول يومئذ لونا آخر إلى الحمرة"⁵. قال الإمام الزمخشري⁶: "كالمهل وهو دردي الزيت، ويدل عليه قوله تعالى: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ مع قوله فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ"⁷.

قال الإمام القاضي ثناء الله هاني بقى⁸: "يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، المذاب من النحاس وغيره من الفلزات أو دردي الزيت اخرج البيهقي عن ابن مسعود قال السماء يكون الوانا تكون كالمهل وتكون وردا كالدّهان وتكون والهيّة تشقق فيكون حالا بعد حال"⁹.

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة. في سورة نوح، وسورة الجن وسورة المزمل وسورة المدثر وسورة القيامة: لم أجد أي تعارض في السور المذكورة بضوء تفسير روح المعاني.

1 سورة الكهف: 29، وسورة الدخان: 45، وسورة المعارج: 8

2 تفسير روح المعاني (113-12/14)

3 سبقت ترجمته

4 سورة المعارج: 8.

5 تفسير الطبري (256/23)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير الزمخشري (281/4)

8 سبقت ترجمته

9 التفسير للظهري (63/10)

سورة الدهر: (الإنسان)

أصل المسألة: من الأساور يلبسون لأهل الجنة؟

"عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعًا أُسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا¹، أُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا²"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن المدخلين بالجنة يلبسون فضة فقط ولكن الآية الثانية تدل على ذهب، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين ؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً شافياً في تفسيره لدفع توهم التعارض بين الآيتين المذكورتين كما يلي: حيث قال: وَخُلُوعًا أُسَاوِرَ جمع سوار وهو معروف وذكر الراغب أنه معرب دستواره مِنْ فِضَّةٍ هي فضة لائقة بتلك الدار، والظاهر أن هذا عطف على "يَطُوفُ عَلَيْهِمْ" واختلافهما بالمضي والمضارعة لأن الحالية مقدمة على الطواف المتجدد ولا ينافي ما هنا قوله تعالى: "أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ"³ لإمكان الجمع بتعدد الأساور لكل والمعاقبة بلبس الذهب تارة الفضة أخرى، والتبعض بأن يكون أساور بعض ذهباً وبعض فضة لاختلاف الأعمال. وجوز أن يكون المراد بالأساور الأنوار الفاتضة على أهل الجنة المتفاوتة لتفاوت الأعمال تفاوت الذهب والفضة والتعبير عنها بأساور الأيدي لأنه جزء ما عملته أيديهم، ولا يخفى أن هذا مما لا يليق بالتفسير⁴.

النتيجة: ذكر الإمام الألوسي التوجيهين لرفع الإشكال: الأول: قال الإمام الألوسي ممكن من الإمكان: هذا ممكن بتعدد الأساور لكل والمعاقبة بلبس الذهب تارة الفضة أخرى.

الثاني: هذا ممكن تكون الفضة لشخص واحد والذهب لآخر لتفاوت أعمالهما والتعبير عنها بأساور الأيدي لأنه جزء ما عملته أيديهم. إن الألوسي رفع الإشكال بين الآيات بأصول معرفة اللغة وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

1 سورة الدهر: 21.

2 سورة الكهف: 31.

3 سورة الدهر: 21 ، وسورة الكهف: 31، وسورة الحج: 23، وسورة فاطر: 33.

4 تفسير روح المعاني (15/180-181)

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري¹: "فإن قلت: ذكر هاهنا أنَّ أساورهم، من فضة، وفي موضع آخر أنها من ذهب، قلت: هب أنه قيل: وحلوا أساور من ذهب ومن فضة، وهذا صحيح لا إشكال فيه، على أنهم يسوّرون بالجنسين: إما على المعاقبة، وإما على الجمع، كما تزوج نساء الدنيا بين أنواع الحلّي وتجمع بينها، وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران: سوار من ذهب، وسوار من فضة"².

قال الإمام الرازي³: "إن الطبائع مختلفة فرب إنسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب، فالله تعالى يعطي كل أحد ما تكون رغبته فيه أتم، وميله إليه أشد، أن هذه الأسورة من الفضة إنما تكون للولدان الذين هم الخدم وأسورة الذهب للناس"⁴.

قال الإمام القرطبي⁵: "أساور من فضة، وفي سورة فاطر: يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَّهَبٍ، وفي سورة الحج: يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَّهَبٍ وَلَوْلُؤَ، فقيل: حلّي الرجل الفضة وحلي المرأة الذهب، وقيل: تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة، وقيل: يجمع في يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ، ليجتمع لهم محاسن الجنة، قاله سعيد بن المسيب، وقيل: أي لكل قوم ما تميل إليه نفوسهم"⁶.

مخالصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وبيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

وفي سورة المرسلات وسورة النبا وسورة النازعات وسورة عبس وسورة التكويد:

سورة الانفطار وسورة المطففين لم أجد أي تعارض في ضوء تفسير روح المعاني.

1 سبقت ترجمته

2 تفسير الزمخشري (674-673/4)

3 سبقت ترجمته

4 تفسير الرازي (755/30)

5 سبقت ترجمته

6 تفسير القرطبي (147/19)

سورة الإنشقاق:

أصل المسألة: نظرية إتياء كتاب الأعمال في يوم القيامة

"وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ¹، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً²"

فإن قيل إن الآية الأولى تدل على أن الكتاب يؤتى وراء ظهره، و لكن الآية الثانية تدل على أن الكتاب يؤتى بشماله، فكيف يدفع التعارض بين الآيتين المذكورتين؟

يجيب الإمام الألوسي جواباً في تفسيره لدفع توهم التعارض بين الآيتين كما يلي: حيث قال "وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ" أي يؤتاه بشماله من وراء ظهره، قيل: تغل بمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله. وروي أن شماله تدخل في صدره حتى تخرج من وراء ظهره فيأخذ كتابه بها فلا تدافع بين ما هنا وما في سورة الحاقة حيث لم يذكر فيه الظهر ثم هذا إن كان في الكفرة وما قبله في المؤمنين المتقين فلا تعرض هنا للعصاة.³

النتيجة: قال الإمام الألوسي المراد من قوله تعالى: "وراء ظهره" أي يؤتاه بشماله من وراء ظهره فإذن لا تعارض بين الآيتين المذكورتين. إن الإمام الأوسى دفع التعارض بين الآيتين بمعرفة المشترك المعنوي واللغة.

أقوال العلماء:

قال الإمام الزمخشري⁴: "قيل: تغل بمناه إلى عنقه، وتجعل شماله وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره"⁵.

قال الإمام أبو السعود العمادي⁶: "وأما من أوتى كتابه وراء ظهره أي يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل بمناه إلى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره"⁷.

قال الإمام البيضاوي⁸: "وأما من أوتى كتابه وراء ظهره أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، قيل تغل بمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره"¹.

1 سورة الإنشقاق:10.

2 سورة الحاقة:25.

3 تفسير روح المعاني (299/15)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير الزمخشري (726/4)

6 سبقت ترجمته

7 تفسير أبي السعود (132/9)

8 سبقت ترجمته

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة. كذلك في سورة البروج وسورة الطارق وسورة الأعلى وسورة الفاشية وسورة الفجر وسورة البلد وسورة الشمس لم أجد أي تعارض في ضوء تفسير روح المعاني.

سورة الليل:

أصل المسألة: إن الله تعالى يهدي القوم الفاسقين أم لا؟
 "إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"³

إن الآية الأولى تدل على أن الهداية على الله تعالى ولكن الآية الثانية تدل على أن الله تعالى لا يهدي القوم الفاسقين فكيف يدفع توهم التعارض بين الآيتين المذكورتين؟

ذكر الإمام الألوسي توجيهها لدفع توهم التعارض بين الآيتين كما يلي: حيث قال "إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ" استئناف مقرر لما قبله أي إن علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أي ندلهم ونرشدهم إلى الحق أو أن نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي إليه من طريق الضلال وما يؤدي إليه وقد فعلنا ذلك بما لا يريد عليه. إن علينا طريقة الهدى على معنى أن من سلك الطريقة المبينة بالهدى والإرشاد إليها يصل إلينا كما قيل في قوله تعالى: "وَعَلَى اللَّهِ فَصْلُ السَّبِيلِ"⁴ أي من سلك السبيل القصد أي المستقيم وصل إليه سبحانه.⁵

"وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" فإن الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده، والمراد منه فإن لم تتقوا وتسمعوا كنتم فاسقين خارجين عن الطاعة في موالة المشركين وتقديم محبة من ذكر على محبة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم⁶، والله تعالى لا يهدي القوم الخارجين عن طاعته إلى ما ينفعهم أو إلى طريق الجنة.⁷

1 تفسير البضاوي (297/5)

2 سورة الليل: 12.

3 سورة المنافقون: 6.

4 سورة النحل: 9.

5 تفسير روح المعاني (368/15-369)

6 تفسير روح المعاني (265/5)

7 تفسير روح المعاني (52/4)

"وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" فإن الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده، والمراد بالهداية الدلالة الموصلة لا الدلالة على ما يوصل لأنها واقعة لكن لم يقبلوها لسوء اختيارهم، والجملة تذييل مؤكد لما قبله من الحكم¹.

النتيجة: قال الإمام الألوسي إن الله يرشد ويهدي الناس إلى الحق وطريقة الهدى في البداية ولكن إذا لم يقبلوا طاعة الله تعالى وأحكامه فذهبوا إلى العصاة والتجاوز عن الحد ثم ختم الله تعالى عليهم بقوله تعالى "إن الله لا يهدي القوم الفاسقين" فإذا لا تعارض بين الآيتين. إن الإمام الألوسي دفع الإشكال بين الآيتين بأصول معرفة اختلاف الأمكنة والأزمنة وبأصول تفسير القرآن بالقرآن واللغة.

أقوال العلماء:

قال الإمام الفراء²: "من سلك الهدى فعلى الله سبيله، ومثله قوله: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ، يقول: من أراد الله فهو على السبيل القاصد، ويقال: إن علينا للهدى"³.

قال الإمام الزمخشري⁴: "إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى، إن الإرشاد إلى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع⁵، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ، لا يلفظ بهم؛ لأنهم ليسوا من أهل اللطف"⁶.

قال الإمام القرطبي: "إن علينا ثواب هداه الذي هديناه⁷، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ، فسق يفسق ويفسق إذا خرج من الطاعة إلى المعصية،⁸

خلاصة الكلام: إن الإمام الألوسي اتفق مع آراء العلماء المذكورين لحل الإشكال المذكور في أصول اللغة وقد أضاف الأصول الأخرى وهو بيان تفسير القرآن بالقرآن و بيان اختلاف الأمكنة والأزمنة.

لم أجد أي نوع من التعارض في ضوء تفسير روح المعاني من: سورة الضحى إلى سورة الناس.

1 تفسير روح المعاني (338/5)

2 سبقت ترجمته

3 معاني القرآن للفراء (217/5)

4 سبقت ترجمته

5 تفسير الزمخشري (763/4)

6 تفسير الزمخشري (524/4)

7 تفسير القرطبي (86/20)

8 تفسير القرطبي (360/6)

الختاتمة:

وهي تشتمل على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث

فمن المعلوم لدى كل عالم وباحث أن الإمام الألوسي من كبار علماء القرن الثالث عشر حيث يعد من كبار المفسرين كما أن تفسيره من أبرز التفاسير لدى العلماء والطلبة فدرس تفسيره دراسة تطبيقية في مجالات متعددة -تفصيلها في ثنايا البحث- من سورة الأعراف إلى سورة الناس، ووصلت إلى النتائج التالية:

1. إن موهم التعارض والتناقض أهم مبحث من مباحث الأصول الفقهية والتفسيرية، لذا اهتم العلماء اهتماما بالغاً لدفعها في كتب أصول الفقهية والتفسيرية كما ذكرتها في الدراسة النظرية.

2. إن التعارض الحقيقي لم يوجد بين الآيات القرآنية بل يوهم التوهم في بعض أذهان الباحثين لقلة العلم.

3. إن الإمام الألوسي اهتم ببيان دفع موهم التعارض والتناقض في تفسيره كما ذكرتها في الباب الثاني.

4. قد تبين للباحث -مما لا يدع للشك مجالاً- الجهود القيمة التي قدمها الإمام الألوسي في خدمة كتاب الله تعالى وتحليل آياته، ودفع موهم التعارض والتناقض بين الآيات القرآنية في تفسيره.

5. من منهجه أنه يذكر الآية القرآنية أولاً ثم يذكر الآية الثانية التي تتعارض مع الأولى ثم يقدم الأجوبة التي ذكرها المفسرون لدفع التعارض بين الآيتين حيث يكتفي أحياناً بأجوبتهم، وأحياناً يرجع أحد المواقف من أجوبتهم، وأحياناً يجيب بنفسه بكلمة "أجيب".

6. اختار الإمام المناهج العقلية والنقلية في دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية.

7. اعتمد الإمام على المصادر المعتمدة في حل مشكلات القرآنية.

8. إن الإمام يفسر الآيات المشككة بالتصريح معظم الأحيان، وأقل بالتضمن.

9. استوفى الإمام معظم الأماكن التي يوهم ظاهرها التعارض في تفسيره.

10. استخدم الإمام طرقاً مختلفة لحل التعارض والتناقض بين الآيات القرآنية في ضوء أصول التفسير وهي يلي:

■ أن الإمام اهتم في تفسيره التفسير للمأثور -جانبا من الجوانب التفسيرية- لدفع التوهم والتعارض بين الآيات القرآنية.

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (326)

- أنه اختار في تفسيره منهج التفسير الإشاري— جانباً من الجوانب التفسيرية— لدفع التوهم والتعارض بين الآيات القرآنية بالأقل.
- أنه يحلل التعارض والتناقض الظاهري بمعرفة سبب النزول.
- أنه يدفع التعارض والتناقض الظاهري بمعرفة الناسخ والمنسوخ.
- أنه يدفع التعارض والتناقض الظاهري بمعرفة العام والخاص.
- أنه اهتم في تفسيره السياق القرآني— جانباً من الجوانب التفسيرية— لدفع التوهم والتعارض بين الآيات القرآنية.
- أنه يرتفع التعارض والتناقض الظاهري بأصول معرفة اللغة العربية.
- أنه يدفع التعارض والتناقض الظاهري بمعرفة اتفاق الموضوع مع اختلاف أمكنته وأزمته في الآيات.
- أنه يحلل التعارض والتناقض الظاهري بمعرفة متشابهات القرآن من خلال تفسيره.
- إن الإمام الألوسي يستخدم الأصول لحل التعارض الظاهري أكثر بنسبة المفسرين الآخرين.
- إن موضوعي كان مشروعا وأما الجزء الأول كان لزميلى مطلوب عالم من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الأنعام وأنه ذكر حوالي 185 آيات لحل التعارض الظاهري بين الآيات القرآنية وأنا ذكرت حـ. بـ مـتين وتسعة عشرة آيات في رسالتي لحل التعارض الظاهري بين الآيات.

التوصيات والمقترحات التي أرجو أن تتحقق وهي:

- 1- ينبغي على المسلمين أن يلقنوا أولادهم كلام الله تعالى المسطور في المصحف منذ الصغر، وأن يعودهم العناية به؛ لأنه المصدر الأول، الذي به تعرف الشريعة الإسلامية الخالدة، وعلى الناشئة من أبناء المسلمين أن يلقنوا القرآن من أفواه العلماء المتقنين، لأنه طريقة ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- 2- أقترح على المفسرين وعلمائهم كافة أن يواصلوا اهتمامهم بنشر الكتب التي توضح للمسلمين وبخاصة طلبة العلم أهمية علم دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية وتبين لهم حقيقة هذا العلم وأصوله، كذلكحث طلبة الدراسات العليا العمل على استخراج الكنوز المكنونة في تفاسير علمائنا من خلال البحث في مناهجهم والاستفادة منها.
- 3- أن تتبنى الجهات ذات العلاقة لخدمة القرآن برامج إذاعية وتلفزيونية تهدف إلى توعية المسلمين بحقيقة علم دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية ومعرفة اختلافها وتنوعها، وتقوية الصلة بهذا الفن. و في الختام نسأل الله —عزوجل— أن يوفقنا لخدمة الدين. وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين.

فهرس الآيات القرآنية

م	فهرس الآيات القرآنية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
1.	وإن كنتم في ريب مما نزلنا على...	البقرة: 23	47
2.	فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار...	البقرة: 24	47
3.	وأنتوا به متشاجها	البقرة: 25	71
4.	ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات	البقرة: 29	283
5.	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا	البقرة: 34	211
6.	ولن يتمنوه أبدا	البقرة: 95	78
7.	ما يؤد الذين كفروا من أهل الكتاب	البقرة: 105	151
8.	ما نستخ من آية أو نسيها تأب يختبر بينها...	البقرة: 106	60
9.	وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها	البقرة: 189	73
10.	رؤى للذين كفروا الحياة الدنيا	البقرة: 212	253
11.	واعلموا أن الله بكل شيء عليم	البقرة: 231	71
12.	أن يأتي يوم لا ينفع فيه ولا حيلة ولا شفاعة	البقرة: 254	112
13.	من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه	البقرة: 255	273
14.	ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا	البقرة: 260	171
15.	والله يضاعف لمن يشاء	البقرة: 261	304
16.	ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا	البقرة: 269	205
17.	ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء	البقرة: 272	256
18.	رؤى ولا نحملنا ما لا طاقة لنا به....	البقرة: 284	70
19.	ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله...	آل عمران: 7	44
20.	رؤى للناس حب الشهوات	آل عمران: 14	253
21.	ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد	آل عمران: 30	301
22.	إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه...	آل عمران: 59	271
23.	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته...	آل عمران: 102	68
24.	وجن عرشها السماوات والأرض أعدت	آل عمران: 123	219

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (328)

236	آل عمران: 192	وَرَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ	25.
277	آل عمران: 185	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ	26.
73	النساء: 3	فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ...	27.
88	النساء: 25	فَإِذَا أُخْصِرَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ	28.
301	النساء: 36	وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا	29.
192	النساء: 42	وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا	30.
315	النساء: 44	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ	31.
41	النساء: 59	فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ...	32.
4	النساء: 82	وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا...	33.
130	النساء: 102	وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ	34.
83	النساء: 141	وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ	35.
114	النساء: 164	وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ	36.
46	النساء: 166	لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ...	37.
152	المائدة: 5	وَالْمُخَصَّنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ	38.
283	المائدة: 6	إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ	39.
194	المائدة: 19	قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ	40.
239	المائدة: 33	ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ	41.
93	المائدة: 90	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ	42.
62	المائدة: 106	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ...	43.
97	المائدة: 109	يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ	44.
84	المائدة: 116	يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي	45.
85	المائدة: 119	هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ	46.
99	الأنعام: 23	وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ	47.
101	الأنعام: 38	مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ	48.
264	الأنعام: 61	تَوَقَّئْهُ رُسُلُنَا	49.
50	الأنعام: 82	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ	50.
161	الأنعام: 94	وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ	51.

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (329)

253	الأنعام: 137	زَيْنَ لِكَيْبٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ	52.
172	الأنعام: 160	مَنْ جَاءَ بِالسَّبْتَةِ فَلَا يَجْزِي إِلَّا مِثْلُهَا	53.
189	الأنعام: 164	وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى	54.
ولا يخلو صفحة من صفحات البحث من آيات سورة الأعراف إلى الناس لكونها صلب وأصل البحث			

فهرس الأحاديث والآثار

المسلسل	طرف الحديث والآثر	الصفحة
1.	أندرون مم ضحكت	251
2.	أعرف الناسخ من المنسوخ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت	59
3.	اتق الله تعالى فيجل قلبه	147
4.	أحمه فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة	260
5.	أدنه	83
6.	إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: ربنا ألم تعدنا أن نرد النار	238
7.	إذا سألتهم عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان	75
8.	إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الأولين والآخرين	91
9.	اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر	102
10.	ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه	100
11.	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل	74
12.	إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم	130
13.	أن الكافر يخرج له يوم القيامة كتاب فيقول	107
14.	إن الله تعالى بعث نبيا أسود في الحبش فهو ممن لم يقصص	106
15.	إن الله تعالى وكل ملك الموت عليه السلام بقبض الأرواح	264
16.	إن الله سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى ما يظلمهم منه شيء	137

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (331)

17.	إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي	186
18.	أن المؤمنين يرون ربهم عزوجل يوم القيامة في الدار الآخرة	79
19.	إن أمتي افتلكت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت	303
20.	أنزل في هذا القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء ولكن علمنا	101
21.	انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم	149
22.	أنه الموحّد	220
23.	أنه أمر بقتل المحرم الزنور	102
24.	أنه يقال للذين أرسل إليهم	97
25.	إنه يلقي العبد ربه فيقول الله تعالى له أي فل ألم أكرمك إلى	251
26.	إني لا أحل إلا ما أحل الله تعالى في كتابه ولا أحرم إلا ما حرم الله	101
27.	أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر	117
28.	آية ذلك أن تزود حوتا ملحا فهو حيث تفقده	214
29.	أما داع دعا إلى هدي فاتبع عليه وعمل به فله مثل أجور الذين	190
30.	بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ	62
31.	بعث الله تعالى عبدا حبشيا نبيا فهو ممن لم يقصص على محمد	106
32.	بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعيه إن كادت لتسبقني	241
33.	تزوجت امرأة من الأنصار	81
34.	تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهي	238

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (332)

267	ثم ينفخ في الصور فأول من يسمعه رجل يلوط حوضه	35.
93	حرم الله تعالى الخمر بعينها القليل منها والكثير والسكر	36.
151	حرم الله تعالى المشركات على المسلمين ولا أعرف شيئاً	37.
106	حينما يحاسب الله تعالى أعمال الكافر فقال الكافر	38.
214	خذ نوتا ميتا فهو حيث ينفخ فيه الروح فأخذ ذلك	39.
283	خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد والاثنين	40.
211	خلقوا من النور	41.
103	دعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافراً	42.
101	ستكون فتن، قيل: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله تعالى فيه نبأ ما	43.
305	قال الله عز وجل إذا هم عبيد بحسنة ولم يعملها كتبها	44.
70	قال قد فعلت	45.
149	كان فيكم إمامان مضى أحدهما وبقي الآخر وتلا	46.
92	كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سبي ونسي	47.
268	لا تخيروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة	48.
178	لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة	49.
1	لا يَشْكُرُ الله من لا يَشْكُرُ الناس	50.
206	لأن الكثرة والقلّة من الأمور الإضافية فالشيء	51.
102	لعن الله تعالى الواشحات والمتوشحات والمتنمصات والمتفلجات للحسن	52.

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (333)

317	لو أن دلوا من غسلين يهراق في الدنيا لأنتن بأهل الدنيا	53.
303	لو كان عليها دين أكننت قاضيه؟	54.
220	ليس من أحد إلا وله في الجنة منزل وأزواج فإذا كان يوم القيامة	55.
234	ما أنا من دد ولا الدد مني	56.
233	ما بين النفختين أربعون قيل أربعون يوما يا أبا هريرة قال أبيت	57.
46	ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر	58.
105	مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا	59.
100	من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها	60.
189	من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير	61.
316	نعم صلي أملك	62.
147	هذا الوجل في قلب المؤمن كضربة السعفة	63.
70	هل تدري ما حق الله علي العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم	64.
118	هل تضارون في القمر ليلة البدر؟	65.
261	والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه	66.
117	والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض	67.
304	وأما أبوك فلو كان أفقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك	68.
226	ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شئاله ما تنفق بمينه	69.
180	يا عبد الرحمن لا تسأل الأمانة فإنك إن أوتيتها عن مسألة	70.

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (334)

247	يا مرثد "الزَّائِي لَا يَنْجِي إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً	71.
263	يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن	72.
250	يدعي الكافر والمنافق للحساب فيعرض ربه	73.
97	يسئل العبد يوم القيامة عن أربع خصال	74.

فهرس الأعلام المترجم لهم

المسلسل	أسماء الأعلام	الصفحة
1.	ابن الجوزي	146
2.	ابن تيمية	76
3.	ابن جني	114
4.	ابن حجر	37
5.	ابن عطية	197
6.	ابن فارس	59
7.	ابن قتيبة	44
8.	ابن قدامة	35
9.	ابن كثير	48
10.	ابن منظور	80
11.	أبو السعود العمادي	121
12.	أبو المعالي	23
13.	أبو بكر الجصاص	249
14.	أبو حنيفة النعمان	23
15.	أبو حيان الأندلسي	124
16.	الإسفرائيلي	38
17.	البرزنجي	36
18.	البيضاوي	148
19.	التفتازاني	35
20.	ثناء الله بابي بتي	142
21.	الجلال الدين المحلي	102
22.	حسين العشاري	13
23.	الحازن	78
24.	الدبوسي	103

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (336)

25.	الرازي	48
26.	الراغب الأصفهاني	82
27.	الزبيدي	84
28.	الزركشي	38
29.	الزركلي	26
30.	الزحشري	78
31.	السرخسي	36
32.	السيوطي	37
33.	الشاطبي	76
34.	الشاذلي	69
35.	الشوكاني	145
36.	شيخ رشيد رضا	46
37.	الصاوي المالكي	186
38.	صديق حسن خان	26
39.	الطبري	83
40.	عبد الباقي	22
41.	عبد الحميد بن عبد الله	22
42.	عبد الرحمن الألوسي	21
43.	عبد السلام الشواف	22
44.	عبد الغفار الأخرس	21
45.	عبد الفتاح الشواف	22
46.	عبد الله	22
47.	عضد الدين الإيجي	49
48.	علاء الدين	14
49.	الغزالي	34
50.	الفراء	132
51.	القرطبي	137

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (337)

45	الماوردي	52.
22	نُجْد أمين بن نُجْد الأدمي	53.
171	نُجْد بن أبي بكر الرازي	54.
22	نُجْد بن حسين آل عبد اللطيف	55.
26	نُجْد بحجة الأثري	56.
27	نُجْد حسين الذهبي	57.
22	نُجْد سعيد أفندي	58.
101	المرسي	59.
83	مسلم بن يسار البصري	60.
59	النحاس	61.
36	النسفي	62.
21	نعمان خير الدين الألوسي	63.
163	النيسابوري	64.
59	الهمداني	65.
83	يسيع الحضرمي	66.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الاتجاهات الفكرية عند العرب، ن: الدار الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان 1987م.
3. إتمام الأعلام لنزار أباظة-عُجْد رياض المالح، دار صادر-بيروت-لبنان، سنة النشر: 1999م.
4. أحكام القرآن، لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، ت: عُجْد صادق القمحاي-عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، ن: دار إحياء التراث العربي-بيروت، تاريخ الطبع: 1405هـ.
5. الإحكام في أصول الأحكام، لأبي عُجْد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عُجْد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، عدد الأجزاء: 8.
6. الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، ت: عُجْد فؤاد عبد الباقي، ن: دار البشائر الإسلامية-بيروت، الطبعة: الثالثة، 1409، عدد الأجزاء: 1.
7. أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، ت: عُجْد باسل عيون السود، ن: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، 1419هـ-1998م عدد الأجزاء: 2.
8. الإشارة في أصول الفقه، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث النجيب القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ)، ت: محمد حسن عُجْد حسن إسماعيل، ن: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، 1424هـ-2003م، عدد الأجزاء: 1.
9. أصول التفسير وقواعده، للشيخ خالد عبد الرحمن العك، ط: ثانية: 1406هـ، ن: دار النفائس بيروت.
10. أصول السرخسي، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، ن: دار المعرفة-بيروت، عدد الأجزاء: 2.
11. الاعتبار في بيان النسخ والمنسوخ من الآثار، لأبي بكر عُجْد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (المتوفى: 584هـ)، ن: دائرة المعارف العثمانية-حيدر آباد، الدكن، الطبعة: الثانية، 1359هـ.
12. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ)، ن: دار الكتاب العربي-بيروت، ط: الثامنة-142هـ-2005م، عدد الأجزاء: 1.
13. إعجاز القرآن، للباقلاني أبو بكر عُجْد بن الطيب 403هـ ت: السيد أحمد صقر، ط: الثالثة، ن: دار المعارف بمصر-1119هـ كورنيش النيل-القاهرة ج.م.ع، عدد الأجزاء: 1.

14. أعلام العراق، للأثري محمد بحجة، ن: الدار العربية للموسوعات، ط: 2002م.
15. أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، ن: دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط: الأول - 1409هـ، عدد الأجزاء: 1.
16. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبحجة المسامع والنواظر)، لعبد الحفي بن فخر الدين، ن: دار ابن حزم - بيروت، لبنان، ط: أولى، 1420 هـ، 1999م، عدد الأجزاء: 8
17. الإعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، ن: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.
18. اعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، لأحمد تيمور، ن: دار الأفاق العربية، ن: 1421-2001، عد المجلدات: 1.
19. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط: سابعة، ن: دار عالم الكتب، تاريخ النشر: 1419هـ-1999م، عدد الصفحات: 506، عدد الأجزاء: 1.
20. الألوسي مفسراً، لمحسن عبد الحميد، ن: مطبعة المعارف، بغداد، ط: 1388هـ-1968م.
21. الألوسي مفسراً، لمحسن عبد الحميد، ن: مطبعة المعارف، بغداد، تاريخ النشر 1968م.
22. أمالي السيد المرتضي، للشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة 436هـ (في التفسير والحديث والأدب)، الطبعة الأولى: 1325هـ-1907م، صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدرالدين النعساني)، ط: بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد إسماعيل، عدد الأجزاء: 3
23. أمالي السيد المرتضي، للشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة 436هـ (في التفسير والحديث والأدب)، الطبعة الأولى: 1325هـ-1907م، صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدرالدين النعساني)، ط: بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد إسماعيل، عدد الأجزاء: 3
24. أمالي المرتضي غرر الفوائد و درر القلائد، للشريف المرتضي علي بن الحسين الموسوي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، عدد الأجزاء: 2، ن: دارالفكر العربي.
25. الأمالي في لغة العرب، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، سنة الولادة 288هـ/ سنة الوفاة 356هـ
26. الأمالي في لغة العرب، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، (سنة الولادة 288هـ/ سنة الوفاة 356هـ)، ن: دار الكتب العلمية، سنة النشر 1398هـ 1978م، بيروت، عدد الأجزاء: 3*2.

27. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)،
ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، 1376هـ-1957م، ن: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي
الحلي وشركائه، (ثم صوّرت دار المعرفة، بيروت، لبنان-وبنفس ترقيم الصفحات)، عدد الأجزاء: 4.
28. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)،
ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، 1376هـ-1957م، ن: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي
الحلي وشركائه، عدد الأجزاء: 4.
29. ت: ن: دار الكتب العلمية، سنة النشر 1398هـ 1978م، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 2*3
30. تاج التراجم في طبقات الحنفية، لأبي الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السوداني، المتوفى سنة
(879هـ)، ت: محمد خير رمضان، الطبعة الأولى: 1413هـ-1992م، ن: دار القلم-بيروت.
31. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، ت: مجموعة من
المحققين، ن: دار الهداية. معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت الحموي، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي،
ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى 1417هـ-1997م.
32. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن
لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ)، ن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر،
ط: الأولى، 1428هـ-2007م، عدد الأجزاء: 1.
33. تاريخ ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون (المتوفى: 808هـ)، ت: خليل شحادة، ن:
دار الفكر، بيروت
34. تاريخ الدولة العثمانية، لليلماز يوزتونا، ن: مؤسسة فيصل للتمويل تركيا، تاريخ الطبعة: 2008م.
35. تاريخ الدولة العلمية العثمانية، لمحمد فريد بك، ت: إحسان حقي، ن: دار النفائس، بيروت، ط: ثانية
1403هـ.
36. تاريخ السليمانية، لمحمد أمين زكي، ن: شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة-بغداد، سنة
النشر: 1370هـ-1951م.
37. تاريخ العراق الحديث، لعبد العزيز سليمان نوار، ن: دارالكتاب العربي، القاهرة، مصر، تاريخ
النشر: 1388هـ-1968م.
38. تاريخ العراق بين احتلالين، للعباس العزاوي، ن: الدار العربية للموسوعات، تاريخ الطبعة: 1425م.
39. التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، ط: دائرة
المعارف العثمانية، حيدرآباد-الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: 8.
40. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ن: مكتبة الخانجي، تاريخ النشر: 1931م.

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية.....(341)

41. تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، ت: عمرو بن غرامة العمروي، ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م، عدد الأجزاء: 80 (74 و 6 مجلدات فهارس)
42. تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، ت: عمرو بن غرامة العمروي، ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م، عدد الأجزاء: 80.
43. تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر، ليونس الشيخ إبراهيم السامرائي، ن: مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بدون التاريخ.
44. تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، ت: إبراهيم شمس الدين، ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
45. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، ت: أبو قتيبة نظر محمد الفارابي، ن: دار طيبة، عدد الأجزاء: 2.
46. تسهيل الوصول إلى علم الأصول للشيخ محمد عبد الرحمن المحلاوي الحنفي، ط: مصطفى الحلبي، سنة: 1441هـ.
47. التعارض والترجيح، بين الأدلة الشرعية، لعبد اللطيف عبد الله البرزنجي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ.
48. تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد الحلبي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ن: دار الحديث - القاهرة.
49. تفسير القرآن الحكيم (تفسير للنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م، عدد الأجزاء: 12.
50. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، ت: محمد حسين شمس الدين، ن: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط: أولى - 1419هـ.
51. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، ت: أسعد محمد الطيب، ن: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط: ثالثة - 1419هـ.

52. التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، ن: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثالثة - 1420هـ، عدد الأجزاء: 32.
53. تفسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ن: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، عدد الأجزاء: 6.
54. التفسير والمفسرون، للدكتور السيد محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى عليه، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، عدد الأجزاء: 3.
55. التفسير ورجاله، لابن عاشور، ط: 1، ن: دار الكتب الشرقية، تونس، سنة 1966م، ويشار له بـ التفسير ورجاله.
56. تكملة معجم المؤلفين، وفيات (1397 - 1415 هـ) = (1977 - 1995 م)، لمحمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، ن: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م، عدد الأجزاء: 1.
57. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني (المتوفى: 742هـ)، ت: د. بشار عواد معروف، ن: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1400 - 1980، عدد الأجزاء: 35.
58. تيسير التحرير، لمحمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (المتوفى: 972 هـ)، ن: مصطفى البابي الحلبي - مصر (1351 هـ - 1932 م)، وصورته: دار الكتب العلمية - بيروت (1403 هـ - 1983 م)، ودار الفكر - بيروت (1417 هـ - 1996 م)، عدد الأجزاء: 4.
59. تيسير التحرير، لمحمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (المتوفى: 972هـ)، ن: مصطفى البابي الحلبي - مصر (1351 هـ - 1932م)، وصورته: دار الكتب العلمية - بيروت (1403هـ - 1983م)، ودار الفكر - بيروت (1417 هـ - 1996 م)، عدد الأجزاء: 4.
60. الثقات، لابن حبان، ن: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط: أولى، 1393هـ.
61. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، ن: مؤسسة الرسالة، ط: أولى، 1420هـ - 2000م، عدد الأجزاء: 24.
62. جلاء العين في محاكمة الأحمدين، لنعمان الألوسي، ن: دار المدني، ط: القاهرة مصر، 1981م.

63. المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، لأبي الفرج المعاني بن ذكريا بن يحيى المروفي بابن طرار الجريز النهرواني (المتوفى: 390هـ)، ضبطه وصححه: عبد الكريم سامي الجندى: عدد الأجزاء: 1، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
64. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، ن: السعادة - بحوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، ثم صورتها عدة دور منها، 1 - دار الكتاب العربي - بيروت، 2 - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 3 - دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة 1409هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: 10
65. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، للشيخ عبد الرزاق البيطار، ن: دار صادر بيروت، ط: ثانية، ت: محمد مجتهد البيطار، نقلا عن الأستاذ محمد بحجة الأثري في ترجمة السيد محمود الألوسي.
66. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، سنة الولادة (1030/ سنة الوفاة 1093هـ)، ت: محمد نبيل طريفي/ أميل بديع يعقوب، ن: دار الكتب العلمية، سنة النشر 1998م، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء: 13.
67. دفع أيهام الإضطراب عن آيات الكتاب، للشيخ العلامة محمد الأمين بن مختار الحكفي الشنقيطي، ن: دار علم الفوائد، ط: أولى: 1426هـ.
68. دلالة السياق منهج مأمون، لعبد الوهاب أبو صفية الحارثي.
69. ديوان ديك الجن الحمصي، للديك الجن الحمصي، ن: دار الثقافة - بيروت - لبنان، تاريخ النشر: 2009م.
70. ديوان مجنون ليلى، لقيس بن الملوح، ن: دار الكتب العلمية، تاريخ النشر: 2009م.
71. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، ت: علي عبد الباري عطية، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، 1415هـ، عدد الأجزاء: 16.
72. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، ن: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الطبعة الثانية 1423هـ - 2002م، عدد الأجزاء: 2.
73. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، ن: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.
74. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، ن: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ..

75. الزهد ويليهِ الرقائق، لعبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، عدد الأجزاء: 1
76. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، ن: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (مكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: 6.
77. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ)، ن: دار المعارف، الرياض-المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى: 1412هـ/1992م، عدد الأجزاء: 14.
78. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (المتوفى: 1206هـ)، ن: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة: الثالثة، 1408هـ-1988م، عدد الأجزاء: 4.
79. السنة قبل التدوين، لمحمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، ص: 15، 16، ط: 3: 1400هـ - 1980م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان. والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى بن حسني السباعي (ت: 1384هـ)، ص: 48، ط: 3: 1402هـ - 1982م، المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت - لبنان.
80. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ن: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، عدد الأجزاء: 4.
81. سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: 385هـ). (حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004م، عدد الأجزاء: 5
82. السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير و علوم القرآن، أعداد الباحث: عبد الرحمن سرورجرمان المطيري، إشراف: الدكتور خالد بن عبد الله القرشي في جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين في قسم الكتاب والسنة بالمملكة العربية السعودية .

83. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحمي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ن: دار بن كثير، سنة النشر 1406هـ، مكان النشر دمشق، عدد الأجزاء 10.
84. الشرح المختصر لنخبة الفكر، لابن حجر العسقلاني، لأبي المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، ن: المكتبة الشاملة، مصر، ط: الأولى، 1432هـ-2011م، عدد الأجزاء: 1.
85. شرح معاني الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ)، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتيبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، ن: عالم الكتب، الطبعة: الأولى - 1414 هـ، 1994 م، عدد الأجزاء: 5
86. شرح نهج البلاغة، لأبي حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني، ن: دار الكتب العلمية-بيروت/لبنان-1418هـ-1998م، ط: أولى، ت: محمد عبد الكريم النمري، عدد الأجزاء/20.
87. شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخشروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي-الهند، ن: مكتبة الرشد، للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: أولى، 1423هـ-2003م، عدد الأجزاء: 14.
88. الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، ن: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: 1423هـ، عدد الأجزاء: 2.
89. الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، ت: سيد بن عباس الجليعي، ن: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد البامكة المكرمة، ط: أولى، 1413هـ-1993م، عدد الأجزاء: 1.
90. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مقبذ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: 354هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط، ن: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الثانية، 1414 - 1993، عدد الأجزاء: 18
91. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ن: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، عدد الأجزاء: 9.

92. صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، ن: المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: 2.
93. صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، ن: المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: 2.
94. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: 5.
95. صفة الجنة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، ت: علي رضا عبد الله، ن: دار المأمون للتراث - دمشق / سوريا، عدد الأجزاء: 2x3.
96. صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، لأبي عبد الله أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميري الحراني الحنبلي (المتوفى: 695هـ)، ن: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الرابعة - 1404، ت: محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء: 1.
97. ضعيف سنن الترمذي ضعف أحاديثه، لمحمد ناصر الألباني، ن: المكتب الإسلامي، الطبعة: الطبعة الأولى 1411هـ - 1991م، عدد الأجزاء: 1.
98. الطبعة: 1 - 1968م، عدد الأجزاء: 8.
99. الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م، عدد الأجزاء: 1.
100. طبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطي، ط: أولى: 1403هـ، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان.
101. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ)، ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلوي، ن: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1413هـ، عدد الأجزاء: 10.
102. الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، ت: إحسان عباس، ن: دار صادر - بيروت.
103. طبقات المفسرين للسيوطي، ت: علي محمد عمر، ناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة الأولى: 1396هـ.
104. العظمة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بابي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: 369هـ)، ت: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ن: دار العاصمة - الرياض، ط: الأولى، 1408، عدد الأجزاء: 5.
105. علم البيان للدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت.
106. غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، لمحمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ)، ن: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1405، عدد الأجزاء: 1.

107. غرائب الاغتراب، لأبي المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي النشاء الألويسي (المتوفى : 1342هـ)، ن: مكتبة الققاعة بدون تاريخ.
108. غرائب القرآن وزغائب الفرقان، (المعروف بتفسير النيسابوري) لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، ت: الشيخ زكريا عميرات، ن: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى-1416هـ.
109. الفتاوى العالمكبرية المعروفة بالفتاوى الهندية وبهامشه فتاوى قاضي خان والفتاوى البزازية، لنظام - حسن بن منصور الأوزجندی فخر الدين حالة الفهرسة: غير مفهرس، ن: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق - مصر، سنة النشر: 1310، عدد المجلدات: 6، رقم الطبعة: 2
110. فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليماني (المتوفى: 1250هـ)، ن: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ
111. الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمداني الملقب إلكيا(445-509هـ)، ت: السعيد بن بسبوني زغلول، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة النشر: 1406هـ - 1986م، عدد الأجزاء: 5.
112. فصول في أصول التفسير، ل-د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، تقديم: د، محمد بن صالح الفوزان، ن: دار ابن الجوزي، ط: الثانية، 1423هـ، عدد الأجزاء: 1.
113. فضائل القرآن، لأبي عبيد، ت: وهي سليمان، ن: بيروت: دار الكتب العلمية، ط: أولى 1411هـ، 1991م.
114. فوات الوفيات، لمحمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: 764هـ)، ن: إحسان عباس، ن: دار صادر-بيروت.
115. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، العلامة أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، ناشر: مطبعة السعادة- القاهرة، الطبعة الأولى، والجواهر المضوية في طبقات الحنفية.
116. الفوائد، لأبي القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي الرازي ثم الدمشقي (المتوفى: 414هـ)، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، ن: مكتبة الرشد- الرياض، ط: أولى، 1412، عدد الأجزاء: 2.
117. في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، ن: دار الشروق-بيروت- القاهرة، ط: سابعة عشر-1412هـ، عدد الأجزاء: 6.
118. قمر الأقمار علي نور الأنوار شرح المنار، للعلامة محمد عبد الحليم الكنوي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

119. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ت: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ن: المكتبة العصرية، سنة النشر 1406هـ-1986م، بيروت، عدد الأجزاء: 1.
120. كتاب المواقف، لعبد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ن: دار الجليل - بيروت، ط: الأولى، 1997م، ت: د. عبد الرحمن عميرة، عدد الأجزاء: 3.
121. الكتاب، لعمر بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، ن: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ثالثة، 1408هـ-1988م، عدد الأجزاء: 4.
122. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جارا لله (المتوفى: 538هـ)، ن: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: ثالثة - 1407هـ، عدد الأجزاء: 4.
123. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، لعبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: 730هـ)، ن: دار الكتاب الإسلامي، ط: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: 4.
124. كشف الأسرار شرح المنار، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، ط: 1406هـ، ن: دار الكتب العلمية، بيروت.
125. كشف الطرة عن الغرة للآلوسي، لخالد حامد البدوي، ن: دار الآفاق، دمشق، بدون التاريخ.
126. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (1017-1067)، ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، سنة النشر: 1413هـ-1992م، عدد الأجزاء: 6.
127. الكشكول، لشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، ن: دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان - 1418هـ-1998م، ط: أولى، ت: محمد عبد الكريم النمر، عدد الأجزاء: 2.
128. اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري (363-449هـ)، ت: محمد سعيد المولوي، ن: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط: الأولى، 1429هـ-2008م، عدد الأجزاء: 1.
129. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي، ط: ثانية 1375هـ، ن: مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
130. اللباب في تهذيب الأنساب، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، ن: دار صادر/بيروت - لبنان، سنة النشر: 1400هـ-1980م.
131. اللباب في تهذيب الأنساب، لعز الدين ابن الأثير الجزري، ط: دار صادر، بيروت 1400هـ.
132. لسان العرب، لأبي الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظور الأنصاري الأفرقي، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - 1414هـ، عدد الأجزاء: 15.

133. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) ن: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - 1414هـ، عدد الأجزاء: 15.
134. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ويلييه كتاب الفلك الدائر على المثل السائر، لضياء الدين ابن الأثير، المؤلف للفلك: ابن أبي الحديد، شهرته: ابن الأثير، ت: أحمد الحوفي + بدوي طبانة، ن: دار تحفة مصر للطبع والنشر، البلد: العجالة - القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: 4.
135. مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد السلام ابن تيمية، ن: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، ط: أولى 1432هـ.
136. المحصول، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، ت: الدكتور طه جابر فياض العلواني، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، 1418هـ - 1997م.
137. مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، ت: يوسف الشيخ محمد، ن: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط: الخامسة، 1420هـ / 1999م، عدد الأجزاء: 1.
138. مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قاتماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، ن: المكتبة الإسلامية، ط: الطبعة الثانية 1412هـ - 1991م، عدد الأجزاء: 1.
139. المختصر في المنطق، لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: 803هـ)
140. مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، ن: المكتبة العلمية، 15 - شارع مدرسة البنات، لاهور، ط: ثالثة، من شهر سبتمبر 1980م.
141. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: أولى، 1411 - 1990، عدد الأجزاء: 4.
142. المستصفي من علم الأصول، لأبي حامد محمد الغزالي الطوسي، ت: محمد بن سلمان الأشقر، ط: الأولى: 1417هـ / 1997م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
143. المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر، لأبي المعالي الألوسي، ت: عبد الجبوري، ن: دار العلوم، الرياض 1402هـ - 1982م.
144. مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللحمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ن: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى، 1405 - 1984، عدد الأجزاء: 4

145. مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1405 - 1984، عدد الأجزاء: 4
146. مشاهير علماء نجد وغيرهم، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ن: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، 1392هـ / 1972م عدد الأجزاء: 1.
147. مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: 741هـ)، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ن: المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985، عدد الأجزاء: 3.
148. معاني القرآن للفراء موافقا للمطبوع، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، القرن : الثاني، ن: دار المصرية للتأليف والترجمة، مكان الطبع : مصر، عدد الأجزاء : 3، ت: أحمد يوسف نجاتي / محمد علي نجار / عبد الفتاح إسماعيل شلبي
149. معجم أعلام المورد، لمنير البعلبكي، ن: دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1992م.
150. المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، ت: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ن: دار الحرمين - القاهرة، عدد الأجزاء: 10
151. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ن: مكتبة ابن تيمية-القاهرة، ط: ثانية، عدد الأجزاء: 25.
152. معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل ن: عالم الكتب، ط: الأولى، 1429هـ-2008، عدد الأجزاء: 4.
153. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ن: المكتبة الوقفية 1414هـ-1993م، عدد المجلدات: 4.
154. المعجم الوسيط، ل-إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، ن: دار الدعوة، ت: مجمع اللغة العربية، عدد الأجزاء: 2.
155. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، ن: دار الفكر، ط: 1399هـ-1979م، عدد الأجزاء: 6.
156. معيار العلم في فن المنطق، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، ت: الدكتور سليمان دنيا، ن: دار المعارف، مصر، عام النشر: 1961 م، عدد الأجزاء: 1.

157. معيار العلم في فن المنطق، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، ت: الدكتور سليمان دنيا، ن: دار المعارف، مصر، عام النشر: 1961م، عدد الأجزاء: 1.
158. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي، ن: دار القلم، الدار الشامية-دمشق بيروت، ط: أولى-1412هـ.
159. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: 1367هـ)، ن: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الطبعة الثالثة، عدد الأجزاء: 2.
160. منهج الإمام الطحاوي في دفع التعارض بين النصوص الشرعية (من خلال كتابه "شرح مشكل الآثار")، رسالة مقدمة لنيل درجة "الماجستير" في أصول الفقه الإسلامي، إعداد الطالب: حسن بن عبد الحميد بن عبد الحكيم البخاري، جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
161. الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ن: دار ابن عفان، ط: الطبعة الأولى 1417هـ/1997م، عدد الأجزاء: 7.
162. الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)، بتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط: 1: 1417هـ - 1997م، دار ابن عفان.
163. موسوعة التاريخ الإسلامي، لأحمد شلبي، ن: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر.
164. مؤلف التعليقات الحسان، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، ن: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة-المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1424هـ-2003م، عدد الأجزاء: 12.
165. الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، ت: د. محمد عبد السلام محمد، ن: مكتبة الفلاح-الكويت، ط: أولى، 1408، عدد الأجزاء: 1.
166. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تقي بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: 874هـ)، ن: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، عدد الأجزاء: 16.
167. النحو والدلالة، لمحمد عبد اللطيف حماسة، ن: دارالشروق: مصر، ط: أولى: 1420هـ، 2000م.
168. نشوة الشمول، للمحمود آلوسي، ن: دارالكتب العلمية، بدون التاريخ.
169. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ((القدح الملقى في التاريخ الملقى))، لابن سعيد الأندلسي (610هـ-685هـ)، ت: الدكتور نصرت عبد الرحمن، كلية الآداب في الجامعة الأردنية.

170. نظرية السياق القرآني، لأستاذ المثني عبد الفتاح محمود، ن: دار وائل عمان الأردن، ط: 2008م.
171. نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، لمحمد بن أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحيي، ن: دار الكتب العلمية-بيروت/ لبنان-1426هـ-2005م، ط: أولى، ت: أحمد عناية، عدد الأجزاء: 6.
172. النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د. محمد رجب البيومي، معاصر، ن: دار القلم- بيروت 1425هـ.
173. نواسخ القرآن-ناسخ القرآن ومنسوخه، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(المتوفى: 597هـ)، ت: محمد أشرف علي الملياري، وأصله رسالة ماجستير-الجامعة الإسلامية-الدراسات العليا-التفسير-1401هـ، ن: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: 1.
174. الوحي المحمدي، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، ن: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م، عدد الأجزاء: 1.
175. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، للإمام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني(المتوفى: 973هـ)، ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد علي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: 2.

فهرس الموضوعات

العنوان	رقم الصفحة
كلمة الشكر والتقدير.....	1
المقدمة	3
التمهيد.....	12
الأول: ترجمة الإمام الألوسي وعصره:.....	12
الثاني: منهج الإمام الألوسي في تفسيره:	27
الباب الأول: الدراسة النظرية، وهو يشتمل على فصلين:	33
الفصل الأول: علم توهم التعارض والتناقض في القرآن:	33
المبحث الأول: التعارض والتناقض لغة واصطلاحاً والفرق بين التعارض الحقيقي والظاهري	33
المبحث الثاني: بيان سلامة القرآن من الاختلاف والتناقض مع حكمة وجود الآيات التي توهم	
ظواهرها التعارض	43
الفصل الثاني: أسباب توهم التعارض والتناقض:	55
التمهيد:	55
المبحث الثاني: اتفاق الموضوع مع اختلاف أمكنته وأزمته في الآيات:	66
المبحث الثالث: متشابهات القرآن التي تعبر نوعاً من مشكل القرآن:	71
المبحث الرابع: عدم معرفة بدقائق اللغة العربية	75
المبحث الخامس: عدم معرفة السياق القرآني.....	80
الباب الثاني: الدراسة التطبيقية وهو يشتمل على فصلين.....	95

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (354)

الفصل الأول: منهج الإمام الألوسي في الاستفادة من علوم القرآن وأصول التفسير لدفع التعارض والتناقض المتوهم في بعض الآيات: 95

وهو يشتمل على مبحثين: 95

المبحث الأول: جمع الآيات التي يتفق موضوعها ولكن تختلف أزمته أو أمكته 95

المبحث الثاني: الرجوع إلى الأحاديث الصحيحة والآثار الصحيحة 100

الفصل الثاني: منهج الإمام الألوسي في الاستفادة من علوم القرآن وأصول التفسير لدفع التعارض والتناقض المتوهم في بعض الآيات 109

وهو يشتمل على مبحثين: 109

المبحث الأول: أسلوب القرآن في العام والخاص 109

المبحث الثاني: دلالة اللغة العربية 114

الباب الثالث: المواضع التي يوهم ظاهرها التعارض وبيان موقف الإمام الألوسي منها وطريقته في دفعها: 119

الفصل الأول: من بداية سورة الأعراف إلى آخر سورة الروم 119

المبحث الأول: من بداية سورة الأعراف إلى آخر سورة التوبة 120

المبحث الثاني: من بداية سورة يونس إلى آخر سورة النحل 160

المبحث الثالث: من بداية سورة الإسراء إلى آخر سورة الأنبياء 203

المبحث الرابع: من بداية سورة الحج إلى سورة النور 244

المبحث الخامس: من بداية سورة الفرقان إلى آخر سورة الروم 253

الفصل الثاني: من بداية سورة لقمان إلى آخر سورة الناس 259

دفع توهم التعارض بين الآيات القرآنية (355)

المبحث الأول: من بداية سورة لقمان إلى آخر سورة الزمر	260
المبحث الثاني: من بداية سورة غافر إلى آخر سورة الأحقاف	280
المبحث الثالث: من بداية سورة محمد إلى آخر سورة الحجرات	299
المبحث الرابع: من بداية سورة ق إلى آخر سورة الواقعة	301
المبحث الخامس: من بداية سورة الحديد إلى آخر سورة التحريم	313
المبحث السادس: من بداية سورة الملك إلى آخر سورة الناس	317
الخاتمة:	325
فهرس الآيات القرآنية	327
فهرس الأحاديث والآثار	330
فهرس الأعلام المترجم لهم	335
المصادر والمراجع	338
فهرس الموضوعات	353

